

اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية



جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الكوفة / كلية الآداب

قسم اللغة العربية

أُدْعِيَةُ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ دِرَاسَةٌ فِي ضَوْءِ عِلْمِ اللُّغَةِ النَّصِّيِّ

رسالة قَدَّمَهَا

محمد عبدالرضا محيسن الكناني

إلى مجلس كلية الآداب في جامعة الكوفة

وهي من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

أ.م.د. عادل عبدالجبار زاير

تشرين الثاني ٢٠١٧م

صفر الخير ١٤٣٩هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ...﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

سورة الفرقان / من الآية: ٧٧

إقرار المشرف العلمي:

أقرُّ بأنَّ إعداد هذه الرسالة (أدعية الإمام علي عليه السلام دراسة في ضوء علم اللغة النصِّي) قد جرى بإشرافي بمراحلها كافة، وأرسلتها للمناقشة .

إمضاء المشرف العلمي:

اللقب العلمي والاسم: أ.م.د. عادل عبد الجبار زاير

التاريخ: / / ٢٠١٧

بناءً على ترشيح المشرف العلمي وتقرير الخبيرين اللغوي والعلمي أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

إمضاء رئيس القسم:

اللقب العلمي والاسم: أ.د. علي كاطع خلف

رئيس القسم

التاريخ: / / ٢٠١٧

قرار لجنة المناقشة

استناداً إلى محضر الجلسة الثانية لمجلس كلية الآداب المنعقدة في ٢٠١٧/١٠/٨ بشأن تأليف لجنة مناقشة رسالة الدكتوراه الموسومة (أدعية الإمام علي عليه السلام دراسة في ضوء علم اللغة النصي) للطالب (محمد عبدالرضا محيسن الكناني)، نقرّ نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاءها بأننا اطلعنا على الرسالة أنفة الذكر، وناقشنا الطالب في محتواها وفيما له علاقة بها في ٢٠١٧/١١/٢٦، فوجدناها جديرة بالقبول لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، بتقدير () .

الإمضاء :

اللقب العلمي والاسم: أ.م.د. حيدر غضبان

التاريخ : ٢٠١٧ / /

عضواً

الإمضاء :

اللقب العلمي والاسم: أ.د. حسن عبدالمجيد عباس

التاريخ : ٢٠١٧ / /

عضواً

محسن

الإمضاء :

اللقب العلمي والاسم: أ.م.د. عبدالجبار

التاريخ : ٢٠١٧ / /

عضواً

الإمضاء :

اللقب العلمي والاسم: أ.م.د. أحمد رسن صحن

التاريخ : ٢٠١٧ / /

عضواً

عبدالأمير هاني

الإمضاء :

اللقب العلمي والاسم: أ.د. محمد عبد مشكور

التاريخ : ٢٠١٧ / /

رئيساً

الإمضاء :

اللقب العلمي والاسم: أ.م.د. عادل عبدالجبار زاير

التاريخ : ٢٠١٧ / /

عضواً ومشرفاً

أقرّ مجلس كلية الآداب – جامعة الكوفة قرار لجنة المناقشة .

الإمضاء :

اللقب العلمي والاسم: أ.د. عقيل عبد الزهرة مبدر الخاقاني

عميد كلية الآداب – جامعة الكوفة

التاريخ : ٢٠١ / /

المحتويات

المقدمة	١
التمهيد: مباحث تأسيسية	٥
أدعية الإمام علي عليه السلام	٦
النص في التراث العربي	١٠
النص في الدرس اللساني	١٤
علم اللغة النصي: نشأته وتطوره	٢٤
الباب الأول: السبك النصي في أدعية الإمام علي عليه السلام	٣٤
مفهوم السبك وأهميته	٣٥
الفصل الأول: السبك النحوي	٣٨
المبحث الأول: الإحالة	٣٩
أنواع الإحالة	٤٢
أ- الإحالة بالضمائر	٤٧
ب- الإحالة بأسماء الإشارة	٥٧
ج- الإحالة بأدوات المقارنة	٦٥
د- الإحالة بالأسماء الموصولة	٧٠
المبحث الثاني: الاستبدال	٧٣
أ- الاستبدال الاسمي	٧٤
ب- الاستبدال الفعلي	٧٥
ج- الاستبدال الجملي	٧٦
المبحث الثالث: الحذف	٧٨
أ- الحذف الحرفي	٨٠
ب- الحذف الاسمي	٨١
ج- الحذف الفعلي	٨٣

د- الحذف الجملي ٨٥

المبحث الرابع: الوصل ٨٧

أ- الوصل الإضافي ٨٨

ب- الوصل الاستدراكي ٩٠

ج- الوصل السببي ٩٢

الفصل الثاني: السبك المعجمي ٩٥

المبحث الأول: التكرار ٩٦

أ- تكرار الكلمة نفسها ٩٨

١- التكرار المباشر للعنصر المعجمي ٩٨

٢- التكرار الجزئي ١٠١

٣- الاشتراك اللفظي ١٠٢

ب- الترادف أو شبه الترادف ١٠٣

ج- الكلمة الشاملة ١٠٦

د- الكلمة العامة ١٠٧

المبحث الثاني: المصاحبة المعجمية أو التضام ١٠٨

أ- التضاد ١٠٩

ب- علاقة التدرج في سلسلة مرتبة ١١٢

ج- علاقة الجزء بالكل ١١٤

د- علاقة الجزء بالجزء ١١٥

هـ- علاقة الصنف العام ١١٥

و- علاقة التلازم الذكري ١١٦

الباب الثاني: الحبك النصي في أدعية الإمام علي عليه السلام ١١٨

الفصل الأول: مفهوم الحبك وعلاقاته ١١٩

المبحث الأول: مفهوم الحبك وأهميته ١٢٠

المبحث الثاني: البنية الكبرى والبنية العليا ١٢٣

البنية الكبرى ١٢٣

البنية العليا ١٣١

المبحث الثالث: علاقات الحَبْك النصِّيَّة ١٤٢

أ- علاقة الإجمال والتفصيل ١٤٣

ب- علاقة السببية ١٥٠

ج- علاقة المقابلة ١٥٢

د- علاقة حسن الابتداء بمضمون الدَّعاء ١٥٥

هـ- التناص ١٥٧

الفصل الثاني: الحَبْك النصِّي في دعاء كميل ١٦٤

المرحلة الأولى: التمهيد ١٦٥

المرحلة الثانية: في حرم الله: ١٧٩

المرحلة الثالثة: الخاتمة: ١٨٨

الخاتمة ١٩٤

كشف المصادر والمراجع ١٩٩

خلاصة البحث في اللغة الإنجليزية A-B

((مُقَدِّمَةٌ))

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ ، وَدَلِيلًا عَلَى آلَائِهِ وَعَظَمَتِهِ ،
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ ، وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ ، وَالْمُعَلِّمِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ ، وَالِدَّافِعِ
جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ ، وَالِدَّامِغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ ، وَعَلَى آلِهِ الْأَخْيَارِ الْمُصْطَفِيِّينَ الْأَبْرَارِ ... وبعد ..

فالدَّعاء عند أهل البيت مدرسة تنفتح على شؤون الحياة جميعها ، ففضلاً على الجانب الديني
التعبدي ، تجد في أدعيتهم ^{للصلاة} الجانب المعرفي المتمثل في علوم الفكر والعقيدة ، والجانب الاجتماعي
الذي يمس أدق تفاصيل الحياة الاجتماعية للإنسان ، فيوجه إليه مساره سواء في علاقته بربه ، أو علاقته
بنفسه ، أو علاقته بمجتمعه . وفي دراسة هذا التراث الثرّ في ضوء مختلف المناهج اللغوية والنقدية ،
يمكن أن تتضح جوانب من بنيتها اللغوية ، وخصائصها الفنية والجمالية بما يكشف سرّ أدبيتها ، ومن
هذه المناهج علم اللغة النصّي ، الذي يتخذ من النصّ - ما كان مكتوباً منه أو منطوقاً - مجالاً لبحثه
بوصفه وحدة لغوية واحدة ، تمثل طبيعة التفاعل اللغوي بين المتكلمين ، الذي يتمّ بإنجازات لغوية تتعدى
مفهوم الجملة إلى النصّ بما يتسم به من اتساق وانسجام ، فيصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال
اللغوي وأشكال الاتصال اللغوي ويوضحها في ترابطها الداخلي والخارجي . وقد أفاد من مجالات شتى ،
واستوعب مفهومات من نظريات متعددة ، فلم يخضع لنظرية محدّدة ، أو طريقة واحدة حتى وصفه "فان
دايك" بأنّه (علم متداخل الاختصاصات)^(١) ، وكانت الغاية من ذلك صوغ نظرية نصيّة عامة ، تنفتح
على أبعاد العملية التواصلية كافة ، من المرسل والمتلقي ، فضلاً على ظروف الإنتاج التي تحيط
بالنصّ وتحدّد له مسار تلقيه .

وتقع هذه الدراسة في صنف الدراسات التي تقوم على المزوجة بين مرجع من النظر اللساني
طريف ، ومعطى من المنجز التراثي تلبد بحسب قول الدكتور: نهاد الموسى في تقديمه لدراسات من هذا

(١) ينظر: علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات ، ص ١١ .

النوع^(١)، لتعمل على توظيف معطيات علم اللغة النصّي ووسائله في مقارنة تطبيقية على أدعية الإمام علي عليه السلام، وبغية التوثيق من ضبط النصّ بالصورة التي ورد فيها ، رجعت في تخريجها إلى كتب الأدعية المشهورة، والمصادر القديمة التي وردت فيها والتأكد منها . ولمّا كان التماسك النصّي يمثل أهم مظاهر التحليل النصّي^(٢)، اقتضت طبيعة البحث أن يكون من بابين ، وكل باب يتكون من فصلين ، تسبقها مقدمة وتمهيد وتلحقها خاتمة .

فجاء التمهيد بعنوان: (مباحث تأسيسية)، تناولت فيه نبذة مختصرة وفكرة موجزة عن أدعية الإمام علي عليه السلام ومراحل تجميعها ، ولم يستبعد البحث - بعدما وجد من الإشارات - وجود صحيفة تضمّها قبل ذلك . ثمّ عرضت مفهوم النصّ في التراث العربي وتطور دلالاته من المفهوم اللغوي في أصل الوضع إلى ما يرمز إليه في الاصطلاح الآن ، وما لحق به من تهافت في استعمال الدلالة الاصطلاحية . فضلاً عن مفهوم النصّ في الدرس اللساني الحديث مروراً بمدارسه المختلفة وتداخله مع مصطلح الخطاب ، وقد حاول البحث أن يستقي بعد ذلك تعريفاً للنصّ يكون جامعاً لكل ما لحق به من حيثيات . وبعد ذلك تعرّضت للجذور التاريخية لنشأة علم اللغة النصّي ، ومراحل تطوره ، والغايات التي تنبأها علماءه . وقد تجنبت في التمهيد الحديث عن شخصية الإمام علي عليه السلام بعد أن أفاضت في ذلك عديد الدراسات المختصة التي تناولت حياة الإمام علي عليه السلام وسيرته^(٣) .

وجاء الباب الأول بعنوان: (السبّك النصّي في أدعية الإمام علي عليه السلام)، وتضمن بعد توضيح مفهوم السبّك فصلين ، كان الأول منهما بعنوان: (السبّك النحوي)، وتألّف من أربعة مباحث على عدد وسائل السبّك النحوي المعروضة، وهي: الإحالة بنوعيتها: النصّيّة والمقاميّة ، مع التعرّض إلى عناصرها، وهي: الإحالة بالضمائر، والإحالة بأسماء الإشارة ، والإحالة بأدوات المقارنة ، والإحالة بالأسماء الموصولة . وتكفّل المبحث الثاني الحديث عن الاستبدال بأنواعه: الاستبدال الاسمي ، والاستبدال

(١) ينظر: نحو النصّ اطار نظري ودراسات تطبيقية ، ص ١ .

(٢) ينظر: علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق ، ١ / ١٦ .

(٣) ينظر: على سبيل المثال: الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام للسيد جعفر مرتضى العاملي ، وموسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للشيخ باقر شريف القرشي ، وموسوعة الإمام علي عليه السلام للدكتور علي صادق البيلاني .

الفعلية، والاستبدال الجملي . أمّا المبحث الثالث فكان للحديث عن الحذف ، وشمل الحذف الحرفي، والحذف الاسمي ، والحذف الفعلي ، والحذف الجملي . واختتم الفصل بالمبحث الرابع وكان مخصصاً للحديث عن (الربط) بأقسامه: الربط الإضافي ، والربط الاستدراكي، والربط السببي .

أمّا الفصل الثاني فكان بعنوان: (السبك المعجمي) ، وتضمّن مبحثين ؛ يتناول الأول منهما التكرار بوصفه وسيلة من وسائل السبك المعجمي ، وقد تمثل في تكرار الكلمة نفسها وما يندرج فيها من أنواع ، والتزادف أو شبه التزادف ، والكلمة الشاملة ، والكلمة العامة . وتكفل المبحث الثاني في البحث عن الوسيلة الأخرى للسبك المعجمي ، وهي المصاحبة المعجمية أو التضام ، وقد تمثلت في التضاد، وعلاقة التدرج في سلسلة مرتبة ، وعلاقة الجزء بالكل ، وعلاقة الجزء بالجزء ، وعلاقة الصنف العام، وعلاقة التلازم الذكري .

وأعرض البحث عن السبك الصوتي لاعتقادنا بأنّ السبك الصوتي بمفرده لا يحقق نصيّة النصّ، ونعني به الاستمرارية الدلالية له ؛ وإن كان له نوع من الإحالة ، ولكنها إحالة شكلية لا تحقق الربط الدلالي ، فضلاً على أنّ بعض مفرداته تدخل في عنوانات في معايير آخر .

أمّا الباب الثاني: فقد حمل عنوان: (الحبك النصّي في أدعية الإمام علي عليه السلام)، وتألّف من فصلين ؛ الأول بعنوان (في مفهوم الحبك وعلاقاته)، وتضمّن ثلاثة مباحث ؛ تكفل الأول في بيان مفهوم الحبك وما يقصد به في الدراسات النصيّة ، وأثر المتلقي في تكوينه . والمبحث الثاني عن مفهوم (البنية الكبرى والبنية العليا)، والمبحث الثالث في (علاقات الحبك النصيّة)، وتتاول منها علاقة الإجمال والتفصيل ، وعلاقة السببية ، وعلاقة المقابلة ، وعلاقة حسن الابتداء بمضمون النصّ، والتناص . وقد رافق مباحث هذه الفصول في البابين تطبيقاتها على نماذج مختارة من أدعية الإمام علي عليه السلام .

وكان الفصل الثاني دراسة تطبيقية للحبك النصّي على دعاء كميل ، بوصفه من الأدعية التي تسير سيراً منطقياً في الانتقال من محور إلى آخر، وقد حاول البحث أن يكشف عن خطة النصّ التي

يتسلسل فيها في الربط بين قضاياها في المستوى (الجواني) عن طريق رؤية المتلقي له ، بوصفه شريكاً في إنتاج المعنى .

واختتم البحث بخاتمة ضمت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

وفي هذا المقام وعرفاناً بالجميل أقدم الشكر والامتنان لأستاذي الدكتور عادل عبدالجبار ، الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على هذه الرسالة ، لما بذله معي من صبر وجهد ووقت في إنجازها ، وقد كان لآرائه العلمية المخلصة وتوجيهاته الأثر في خروجها بصورتها الحالية ، وفقه الله لكل خير ، ووفقني لردّ هذا الجميل إليه .

ولا أنسى فضل أساتذتي في قسم اللغة العربية ، فلهم منّي خالص الشكر والامتنان ، وإلى من مدّ لي يد العون ، ووقف إلى جانبي برأي علمي أو نصيحة أفدت منها .

وأخيراً فإنّي لا ادعي الكمال لهذا العمل ، وحسبي أنّي بذلت وسعيت واستقصيت بكلّ جهدي ، فإن أخطأت فمن نفسي ، وإن أصبت فله المنة ومنه التوفيق ، هو حسبي عليه توكلت وإليه أنيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

الباحث

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧ م

التمهيد

مباحث تأسيسية

أدعية الإمام علي عليه السلام:

الدعاء من خصائص الشيعة التي امتازوا بها ، وقد ألفوا في فضله وآدابه ، وفي الأدعية المأثورة عن آل البيت ما يبلغ عشرات الكتب ، من مطولة ومختصرة ، وقد أدع في هذه الكتب ما كان ينبغي إليه النبي وآل بيته صلى الله عليهم وسلم في الحث على الدعاء والترغيب فيه^(١)، وهو في حقيقته وسيلة اتصال بين العبد وخالقه ، وحلقة ارتباط من عالم الملك إلى عالم الملكوت ، الذي هو من أهم الأسباب الطبيعية الاختيارية الواقعية لنجح المطلوب والنيل إلى المقصود^(٢)، وقد فتح الإمام علي عليه السلام بما تعلمه من رسول الله صلى الله عليه وآله باب هذا الاتصال^(٣)، اتصالاً يقوم على العبودية المطلقة للإنسان تجاه ربه وخالقه، فعلمنا كيف ندعو الله تعالى ، وكيف نتضرع ونلجأ إليه ، وكيف نقف أمامه بخشوع وتذلل ، لا نرى لأنفسنا أية قيمة أو وجود . وكانت أدعيته وسائر أدعية الأئمة الطاهرين من أبنائه لا تقتصر على مناجاة الله تعالى وطلب عفوه ومغفرته فحسب ، بل تعرض بعضها إلى الشؤون التربوية والاجتماعية، وقد صور بعضها الحالة السياسية وما يعانيه المسلمون في عصرهم^(٤). فكان خطاب الدعاء يمثل بعداً معرفياً تأسس على نمط من الرؤية الكونية ، ونموذج من الأداء التعبيري يفضي إلى كينونة أدبية بمستوى من الحساسية الجمالية^(٥). فهو من حيث المضمون وسيلة لنشر تعاليم القرآن وآداب الإسلام، وتلقين أصول العقيدة وتهذيب النفوس وصفائها ، وتنمية نزعاتها الخيرة ؛ لتصل إلى درجات الطاعة والفضيلة^(٦).

(١) ينظر: عقائد الإمامية ، ص ٩٤ .

(٢) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، ٧٠/٣ .

(٣) ورد عن أبي جعفر عليه السلام، قال: ((قال علي عليه السلام: علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب يفتح ألف باب))، كتاب الخصال، ص ٦٤٧ .

(٤) ينظر: شرح أدعية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ص ١١ .

(٥) ينظر: الخطاب في نهج البلاغة ، ص ٢١٧ .

(٦) ينظر: الدعاء ، حقيقته ، آدابه ، آثاره ، ص ٨ .

ونحن مع أدعية الإمام علي عليه السلام أمام تراث ربّاني ، وكنز محمّدي ، وذخيرة علوية ، ستبقى على مرّ الأزمنة والدّهور جامعة أخلاق ونبل ، ومدرسة تهذيب وتربية ، ونبراس نور وهداية ، ومعين رقرق عذب يستقي منه كلّ ضمّان لاهث لمعرفة الحقائق ، باحث عن مفتاح الفلاح ، ومصباح النجاح ، طالب للجنته الواقية ، والجنته الباقية ، راغب في بلوغ المعالي . وكيف لا تكون كذلك ، وهي صادرة عن شخص جمع من أسباب الكمال ، ومحمود الخلال ، وصفات الجلال ، وما صاحبها من نفح إلهي ، وتسديد سماوي ، وإلهام قدسي ما يفنّده غيره^(١). وعلى الرغم من أنّ أدعية الإمام علي عليه السلام لم تصل إلينا مجموعة في كتاب مستقل إلا في وقت متأخر على يدّ الشيخ عبدالله بن صالح بن عبدالله السماهيجي (ت ١١٣٥هـ) إلا إن هذا ليس قاطعاً بعدم وجود جمع متقدم عليها ، مع لحظ الظروف التي مرّ بها تراث أهل البيت عليه السلام ، فعلى الرغم مما بذله أصحاب الأئمة (رض) من جهد في ((حفظ تلك الأحاديث المشتملة بيان الوظائف والآداب ، وفي ضبط ألفاظ الأدعية المأثورة عنهم ، وإدراجها في أصولهم وكتبهم التي ضاعت علينا منها عدة وافرة ، وضاعت تراجم مؤلفيها عن أئمة الرجال ... وما دُكرت أسماؤها من تلك الكتب عند تراجم مؤلفيها في أصولنا الرجالية كان جلّها باقياً بعينها إلى أواسط القرن الخامس كما صرّح به ياقوت في (معجم البلدان) في مادة بين السورين^(٢)، فذكر أن بين السورين في كرخ بغداد من أحسن محالها وأعمرها قال: وبها كانت خزانة الكتب التي وقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة ابن عضد الدولة . ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها ، كانت كلّها بخطوط الأئمة المعتمدة وأصولهم المحررة ، واحتترقت فيما أحرق من محال الكرخ عند ورود طُغُرل بيك أول ملوك السلجوقية إلى بغداد في ٤٤٧هـ))^(٣). وعلى الرغم من هذا هناك إشارات يستشف منها وجود هذا الجمع، نحو ما ذكره العلامة المجلسي (ت ١١١١هـ) عند شرحه لدعاء الصباح ، إذ قال: ((قال الشريف يحيى بن القاسم العلوي: ظفرت بسفينة طويلة مكتوب فيها بخط سيّدي وجدّي أمير المؤمنين وقائد الغرّ المحجلّين ، ليث

(١) ينظر: الصحيفة العلوية الجامعة ، ص ١٣ .

(٢) ينظر: معجم البلدان ، ٥٣٤/١ .

(٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، ١٧٣/٨ - ١٧٤ .

بني غالب علي بن أبي طالب عليه أفضل التحيات ما هذه صورته: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا دعاء علمني رسول الله ﷺ، وكان يدعو به في كل صباح وهو " اللهم يا من دلح لسان الصباح ... "، وكتب في آخره: كتبه علي بن أبي طالب في آخر نهار الخميس حادى عشر ذي الحجة سنة خمس وعشرين من الهجرة . وقال الشريف: نقلته من خطه المبارك ، وكان مكتوباً بالقلم الكوفي على الرق في السابع و العشرين من ذي القعدة سنة أربع وثلاثين وسبعمائة))^(١). ونسب بروكلمان في كتابه (تاريخ الأدب العربي) إلى الإمام علي عليه السلام صحيفة تدعى ب (الصحيفة الكاملة)، وذكر أنها تنسب أيضاً إلى الإمام زين العابدين عليه السلام^(٢). ويبدو من التردد بينهما أن المقصود بها الصحيفة السجادية ، مع لحظ أن بعض أدعية الإمام علي عليه السلام تروى عن الإمام زين العابدين عليه السلام أيضاً^(٣).

وقد طُبع جمع الشيخ السماهيجي في ايران سنة ١٢٧٩هـ بعنوان (الصحيفة العلوية والتحفة المرتضوية)، وقد جمعها من كتب (الأصحاب) مرسله من دون ذكر سند ، وكان مجموع أدعيته مائة وستة وخمسين دعاء^(٤)، بذكر الأدعية التي صحت عنده روايتها ، وثبتت لديه إجازتها، وردّ حذفه للإسناد بخوفه من الإكثار، واعتماده على الاشتهار؛ لأنها منقولة من الكتب المعتمدة المشهورة^(٥).

وكان الجمع الثاني من قبل الميرزا حسين بن محمد النوري (ت ١٣٢٠هـ) بعنوان (الصحيفة العلوية الثانية)، وهي مشتملة على مائة وثلاثة دعاء من أدعيته جعلها تكملة واستدراكاً للصحيفة الأولى^(٦)، وتتماز بالإشارة إلى سند كل دعاء ، والى المصدر الذي أخذ منه^(٧). وذكر الشيخ آغا بزرك

(١) بحار الأنوار ، ٢٤٧/٩٤ .

(٢) تاريخ الأدب العربي ، ١٨٣/١ .

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٥/٦ .

(٤) ينظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، ٢٢/١٥ .

(٥) ينظر: الصحيفة العلوية المباركة ، ص ٧ .

(٦) ينظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، ٢٣/١٥ .

(٧) ينظر: شرح أدعية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ص ١٣ .

الطهراني (ت ١٣٨٩هـ) جمعاً ثالثاً بعنوان (الصحيفة العلوية) للسيد مهدي الغريفي البحراني (ت ١٣٤٣هـ) مذكورة في فهرس تصانيفه^(١).

وكان الجمع الأخير باعتناء السيد محمد باقر الموحّد الأبطحي الأصفهاني بعنوان (الصحيفة العلوية الجامعة) ضمّنها ما تجمع لديه من الأدعية عن طريق البحث والتتقيب في مختلف الكتب، وأنواع المؤلفات المعتمدة ولا سيّما كتب الأدعية المعتمدة ، نحو مصباح المتهدّد ، وإقبال الأعمال، والبلد الأمين ، والجنة الواقية ، وفلاح السائل ، وغيرها ، زيادة على ما كان عنده من الأدعية الموجودة في الصحيفتين العلويتين للسماهيجي والنوري ، بعد رفع المكررات منهما. ومن أجل توثيق الدّعاء مصدرياً، فقد ألحق بكل دعاء عدداً من التخريجات المتضمنة للكتب والمصادر، ووضعها في آخر الصحيفة مرتبة بحسب تسلسل الأدعية^(٢) .

(١) ينظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، ٢٣/١٥ .

(٢) ينظر: الصحيفة العلوية الجامعة ، ص ١٤-١٥ .

النص في التراث العربي :

إذا عدنا إلى مادة (نصص) في المعاجم العربية نجدها تحيل إلى معانٍ متعددة هي:

١- الرفع : فالنصّ ((رفعك الشيء))^(١) ، ومنه ((نصّ الحديث إلى فلان أي رفعه وكذلك نصصته إليه))^(٢) .

٢- أقصى الشيء وغايته: وهو من المعنى السابق ((نصّ " ناقته " يُصصها نصّاً : إذا استخرج أقصى ما عندها من السير ، وهو كذلك من الرفع فإنه إذا رفعها في السير فقد استقصى ما عندها من السير))^(٣) . وقد ورد عن الإمام علي (عليه السلام): ((إذا بلغ النساء نصّ الحقائق فالعصبَةُ أولى))^(٤) . ويعلق صاحب تاج العروس على ذلك: ((أي بلغ الغاية التي عقلن فيها ، وعرفن حقائق الأمور ، أو قدرن فيها على الحقائق ، وهو الخصام ، أو حوق فيهن ، فقال كل من الأولياء أنا أحق . وقال الأزهري : نصّ الحقائق إنما هو الإدراك وأصله منتهى الأشياء ومبلغ أفصاها . وقال المبرد : نصّ الحقائق : منتهى بلوغ العقل وبه فسّر الجوهري أي إذا بلغت من سنّها المبلغ الذي يصلح أن تُحقيق وتُخاصم عن نفسها ، وهو الحقائق ، فعصبتها أولى بها من أمّها))^(٥) .

٣- الظهور والبروز : ((وكل ما أظهر فقد نُصّ))^(٦) ، وقد جاء عن ثعلب (ت ٢٩١هـ) في مجالسه قوله: ((نصّه، أي: أظهره ؛ وكلّ مُظْهَر فهو منصوص ... وكلّ تبين وإظهار فهو نصّ))^(٧) ، ومن ذلك المنصة ((والماشطة تنص العروس أي تقعدها على المنصة ، وهي تنتص أي تقعد

(١) تهذيب اللغة ، ١١٦/١٢ ، مادة (نص) .

(٢) لسان العرب ، ١١٧/١٤ ، مادة (نصص) .

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس ، ١٧٨/١٨ ، مادة (نصص) .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ١٠٨/١٩ .

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس ، ١٨٠/١٨-١٨١ ، مادة (نصص) .

(٦) لسان العرب ، ١٧٧/١٤ ، مادة (نصص) .

(٧) مجالس ثعلب ، ١٠/١ .

عليها أو تشرف لترى من بين النساء))^(١) ، وبهذا قد يصل الظهور إلى غاية الشهرة والوضوح والفضيحة)) وُضِعَ على المِنْصَّةِ أي على غاية الفُضِيحَةِ والشهرة والظهور ... وفي حديث عبدالله بن زمعة أَنَّهُ تَزَوَّجَ بِنْتَ السائب فلما نُصِّتْ لثُهْدَى إِلَيْهِ طَلَّقَهَا أَي أُقْعِدَتْ على المِنْصَّةِ))^(٢) .

٤- التراصّ : ((ونَصَّ المتاعَ نصّاً: جعلَ بعضه على بعض))^(٣) .

٥- التوقيف والتعيين على شيء ما وتحديدّه^(٤) .

٦- صوت الشواء : ((نَصَّ الشَّوَاءُ يَنْصُ نَصِيصاً ... : صَوَّتَ على النَّارِ))^(٥)، ومنه ((نَصَّتْ القِدْرُ نَصِيصاً : " غَلَّتْ))^(٦) .

٧- التحريك: ((يقال نَصَّنَصَّتْ الشيءَ حركته ... ونَصَّ الشيءَ حركه ونَصَّنَصَّ لسانه حركه))^(٧) .

٨- الاستقصاء : ((نَصَّصْتُ الرجلَ: إذا استقصيت مسأَلته عن الشيء حتى يستخرج كلَّ ما عنده))^(٨) .

٩- الاستواء والاستقامة : ((انْتَصَّ الشيءُ وانتصب إذا استوى واستقام))^(٩) .

١٠- ((صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف))^(١٠) . وقد عُدَّ من المؤلّد .

وبالنظر في المعاني السابقة نجد أن الجامع المشترك لهذه المعاني هو: الرفع والارتفاع

والانتهاء ، وهذا ما قاله ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) : ((النون والصاد أصلٌ صحيح يدلُّ على رَفَعٍ وارتفاعٍ

(١) كتاب العين ، ٨٧/٧ ، مادة (نص) .

(٢) لسان العرب ، ١٧٧/١٤ ، مادة (نصص) .

(٣) السابق نفسه ، ١٧٧/١٤ ، مادة (نصص) .

(٤) ينظر: تهذيب اللغة ، ١١٦/١٢ ، مادة (نص) .

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس ، ١٧٩/١٨ ، مادة (نصص) .

(٦) السابق نفسه ، ١٧٩/١٨ ، مادة (نصص) .

(٧) لسان العرب ، ١٧٨/١٤ ، مادة (نصص) .

(٨) تهذيب اللغة ، ١١٧/١٢ ، مادة (نص) .

(٩) لسان العرب ، ١٧٨/١٤ ، مادة (نصص) .

(١٠) المعجم الوسيط ، ص ٩٢٦ .

وانتهاء في الشيء))^(١) . ويرى الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) أن المعنى الحقيقي للنص هو: الرفع والانتصاب، يقول: ((الماشطة تنص العروس فتقدها على المنصة ، وهي تنتص عليها، أي ترفعها. وانتص السنام: ارتفع وانتصب))^(٢)، ويعد ما سوى هذا المعنى من المجاز، قال: ((ومن المجاز: نص الحديث إلى صاحبه، قال:

ونص الحديث إلى أهله فإن الوثيقة في نصه^(٣)

ونص فلان سيّداً : نصّب؛ قال حازر بن الجعيد الأزدي :

أأن قد نصصت بعد ما شبت سيّداً تقول وتؤدي من كلامك ما تؤدي

ونصصت الرجل إذا أحفيته في المسألة ورفعته إلى حد ما عنده من العلم حتى استخرجته. وبلغ الشيء نصّه أي منتهاه))^(٤) .

وتحدّد مفهوم النص اصطلاحاً عند الفقهاء والأصوليين بإطلاقه على الكتاب والسنة وما لا يحتمل إلا معنى واحداً^(٥) ، فقد تحول إلى ((مصطلح دلاليّ يشير إلى البين بذاته الواضح وضوحاً لا يحتاج معه إلى بيان آخر، وذلك بالمقارنة بأنماط دلالية أخرى تحتاج إلى بيان وشرح مستقلين عنها))^(٦) . فالنص في اصطلاح الأصوليين يستعمل في مقابل الظاهر والمؤول والمجمل^(٧) ، وهذا ما أشار إليه الشافعي (ت ٢٠٤هـ) ، ولعله أول من حدّد مفهوم النص اصطلاحاً^(٨) ، جاء ذلك في حديثه عن أوجه البيان في الفرائض المنصوصة في كتاب الله تعالى ، فذكر في أحدها أنه ((ما أتى الكتاب على

(١) معجم مقاييس اللغة ، ٣٥٦/٥ ، مادة (نص) .

(٢) أساس البلاغة ، ٢٧٥/٢ ، مادة (نصص) .

(٣) ديوان طرفة بن العبد ، ص ١٦٥ .

(٤) أساس البلاغة ، ٢٧٥/٢ ، مادة (نصص) .

(٥) ينظر: الكليات ، ص ٧٦٥ .

(٦) النص والسلطة والحقيقة ، ص ١٥١ .

(٧) دروس في أصول فقه الإمامية ، ٣٢٦/١ .

(٨) ينظر: إشكالات النص ، ص ٢٦ .

غاية البيان فيه ، فلم يُحتَجَّ مع التنزيل فيه إلى غيره))^(١) . وتتشترك هذه الدلالة الاصطلاحية مع دلالة النصّ اللغوية على التوقيف والتعيين ، فاللفظ ينصّ على معناه ويعينه ، فيمنع احتمال إرادة غيره . وتشترك كذلك مع دلالة النص على الرفع والظهور ، وبها قال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) : ((وأما النص : " فهو كل خطاب يمكن أن يعرف المراد به " ... والذي يدل على صحة ما اخترناه: أن النص إنما يسمى نصاً لأنه يظهر المراد ويكشف عن الغرض تشبيهاً بالنص المأخوذ من الرفع نحو قولهم: "منصة العروس" إذا أظهرت))^(٢) . وهذا ما حدّده الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) في تعريفاته بقوله : ((النص: ما لا يحتمل إلا معنى واحداً ، وقيل : ما يحتمل التأويل))^(٣) . وعدّ الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) هذه الدلالة من المجاز ، فقد جاء في تاج العروس : ((قال ابن الأعرابي : " النص : الإسناد إلى الرئيس الأكبر . والنص : التوقيف . والنص : التّعيين على شيء ما " وكلّ ذلك مجاز من النصّ بمعنى الرفع والظهور . قلتُ : ومنه أخذ نصّ القرآن والحديث ، وهو اللفظ الدالّ على معنى لا يحتمل غيره))^(٤) . وهذا يشير إلى أن مصطلح النصّ بقي ملتصقاً بمعناه اللغوي ، وأن المصطلح الحديث للنصّ هو مصطلح جديد على الثقافة العربية ، ولعلّ أقرب مصطلح يقابله في التراث هو المتن . وهذا من المفارقات الغربية ، فعلى الرغم من أن الحضارة العربية حضارة (نصّ) إلا أنها لم تستعمل هذه اللفظة بهذه الدلالة إلا متأخراً ، ((ولولا أن النصّ مصطلح أدبي متداول اليوم بين العرب لما كان له في أصل الوضع اللغوي أي دلالة قاطعة ملائمة للوظيفة التي ينهض بها))^(٥) .

وقد ولّد هذا الأمر تهافتاً في استعمال المصطلح لدى الكتاب العرب المحدثين الذين يشتغلون في المصطلح في حقل علم الأصول ، فقد أوقعوا أنفسهم بمأزق كبير بإطلاقهم مصطلح (النصّ) بمفهومه الحديث على (الكتاب والسنة) في عناوانات مؤلفاتهم في محاولة منهم لفهمه وتأويله ، على

(١) الرسالة ، ص ٣٢ .

(٢) عدة الأصول ، ١/٤٠٧ .

(٣) معجم التعريفات ، ص ٢٠٣ .

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس ، ١٨/١٨٠ ، مادة (نصص) .

(٥) ثلاثة مفاهيم نقدية بين التراث والحداثة ، بحث منشور ضمن كتاب (قراءة جديدة لتراثنا النقدي) ، ١/٢٦٧ .

الرغم من أنهم لا يقولون بوجود (النصّ) بمفهومه الأصولي وفي أحسن الأحوال يقولون بندرتّه . على حين أن (النصّ) عند الذين يقولون به في هذا الحقل يعني الظهور التام للمعنى ونفي التأويل ، ويقصدون به (نصّ) الكتاب والسنة . فكيف يعنونون كتبهم بعنوانات مثل (مفهوم النصّ ، والنصّ والسلطة والحقيقة ، ونقد النصّ، والنصّ والتأويل) . فهل هو في الوقت نفسه اعتراف وعدم اعتراف بوجود النصّ^(١) ؟ فما الذي يقصدونه بالنصّ ؟ وأية دلالة يعطونها له ؟ هل هي دلالة النصّ بالمفهوم الاصطلاحي الأصولي ؟ أو النصّ بالمفهوم الحديث المتداول ؟ وكيف يمكن أن يكون لمؤلف واحد أن يجمع في عنوانه بين داليتين متناقضتين لمصطلح واحد هو (النصّ) ؟!

النصّ في الدرس اللساني الحديث:

يرجع الأصل اللغوي لكلمة نصّ (text) إلى الأصل اللاتيني (textus)، وهي تعني أصلاً النسيج أو الأسياخ المضففة ، مأخوذاً من الفعل اللاتيني (textere) بمعنى نَسَجَ أو ضَفَرَ^(٢) . وقد حاول بعض الباحثين العرب التقريب بين أصل كلمة (نصّ) في اللغة العربية والأصل اللغوي الذي تعود إليه في اللاتينية إلى النسيج ، مما أدى إلى تحميل أصل مفهوم كلمة (نصّ) ما لا يحتمل ؛ لربط المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي الحديث غير عابئين بالفروق المختلفة بين اللغتين ، فالأصل اللغوي لكلمة (نصّ) في اللغة العربية لا يؤيد ربطه بالنسيج كما في اللاتينية^(٣) . وتذهب نهلة الأحمد للقول بصورة قاطعة: ((إن مفهوم (نصّ) الذي تشغل عليه الدراسات العربية الحالية مفهوم اجنبي لمصطلح غرّب خطأ ولم يجد ما يطابقه في اللغة العربية))^(٤) . وإذا أردنا بشيء من التكلف محاولة التقريب بين المفهومين ، فإن من معاني النصّ التراصّ ، ومادة (رصاص) في المعجم العربي تشير إلى ((رَصّ

(١) ينظر: ما هو النصّ (بحث)، ص ٩٣ .

(٢) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصّي ، ص ٤ .

(٣) ينظر: إشكالات النصّ ، ص ٢٤ .

(٤) ما هو النصّ (بحث)، ص ٩٣ .

البُنيانَ يَرْصَهُ رَصّاً ، فهو مَرْصُوصٌ وَرَصِيصٌ ، وَرَصَصَهُ وَرَصْرَصَهُ: أَحْكَمَهُ وَجَمَعَهُ وَضَمَّ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ . وَكُلُّ مَا أُحْكِمَ وَضُمَّ فَقَدْ رُصَّ وَرَصَصْتُ الشَّيْءَ أَرْصُهُ رَصّاً أَيْ أَلَصَقْتُ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ ، وَمِنْهُ: بُنيان مَرْصُوصٌ))^(١) ، وهذا المعنى يتطابق ومفهوم النسيج ، فالنسيج في الأصل يعني ((ضَمُّ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ))^(٢) ، والنصّ نسيج من الكلمات يضم بعضها إلى بعض ، وعلى الرغم من هذا يذهب الباحث إلى رأي من يقول: ((إن المفهوم الاصطلاحي لكلمة (نص) مفهوم حديث في الفكر العربي المعاصر . وهو ليس وليد هذا الفكر ، وإنما هو كغيره من مفاهيم كثيرة في شتى العلوم الحديثة ، وافد علينا من الحضارة الغربية . وهذا ما يجعل البحث عن أصول هذا المصطلح في التراث الفكري العربي ، وربط ذلك بما يدل عليه في وقتنا الحاضر، ضرباً من التحمل الذي لا ترجى منه فائدة))^(٣) . فالنصّ يمثل إشكالية معقدة وكبيرة ، وهو مفهوم شائك وملتبس وعائم ؛ لارتباطه بحقول معرفية مختلفة من لسانيات وسيميائيات ونظريات نصّية ، فلم يعد يقتصر على دلالاته المعجمية والاصطلاحية ، بل تداخل واكتسب دلالات جديدة مع عدد من المصطلحات المجاورة مثل مصطلحي الخطاب والعمل أو الأثر الأدبي^(٤) . فهناك مَنْ يرى في النصّ مرادفاً للخطاب ، ومنهم مَنْ يفرق بين الاصطلاحين^(٥) ، ومنهم مَنْ يرى أنّ النصّ أكثر ارتباطاً باللغة المكتوبة ، والخطاب يرتبط باللغة المنطوقة^(٦) ، وفي هذا الصدد يقول "بول ريكور Paul Ricoeur": ((لنسمّ نصّاً كلّ خطاب تثبته الكتابة))^(٧) ، ومنهم مَنْ يفرق بينهما بعدّ الخطاب نصّاً مضافة إليه السياقات المصاحبة له ((فالنصّ يتكون من نسيج لساني وبنية

(١) لسان العرب ، ٢٦٥/٥ ، مادة (رصص) .

(٢) السابق نفسه ، ١٣٠/١٤ ، مادة (نسج) .

(٣) مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه ، ص ١٨ .

(٤) ينظر: اللغة الثانية ، ص ٧١ . وتقابلات النصّ وبلاغة الخطاب ، ص ١٣١ .

(٥) ينظر: انفتاح النصّ الروائي ، ص ١٠-١١ . ومن النصّ إلى النصّ المترابط (بحث) ، ص ٧٥ .

(٦) ينظر: إشكالات النصّ ، ص ٢٢-٣٩ . وعلم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق ، ٥٦/١ . والحد بين النصّ

والخطاب (بحث) ، ص ٤١ .

(٧) من النصّ إلى الفعل ، ص ١٠٥ .

نحوية شاملة، والخطاب يتكون من تلفظ مرتبط بمقام تلفظي ووضعية خطابية تفاعلية^(١) ، وفي هذا الاتجاه يوضح "جان ميشال آدم J.M.Adam" الفرق بين الاصطلاحين في صورة معادلة رياضية بالشكل الآتي^(٢):

$$\text{الخطاب} = \text{النص} + \text{ظروف الإنتاج} .$$

$$\text{النص} = \text{الخطاب} - \text{ظروف الإنتاج} .$$

فالنص في هذا المعنى هو مجمل القوالب الشكلية: النحوية ، والصرفية ، والصوتية ، بعيداً عما يحيط به من ظروف ومقاصد ، على حين يحيل الخطاب في إنتاجه وتشكيله اللغوي وتأويله على عناصر السياق الخارجية ، فضلاً على أن الخطاب قد ينتج بعلامات غير لغوية ، مثلما هي الحال في الخطاب الإعلانوي وما شاكله^(٣) . وهذا الفهم للنص أقرب لمفهومه عند البنيويين بحسب ما سيأتي. ويرى الباحث أن الخطاب يتكون من ثلاثة عناصر هي: المرسل والنص والمستقبل ، وهذه العناصر إذا اجتمعت أمكن أن يطلق على الحدث التواصلّي عنوان الخطاب ، وتأسيساً على هذا فالنص هو أحد أجزاء الخطاب الذي يربط طرفيه بصرف النظر عن حجمه أو شكله سواء أكان منطوقاً أم مكتوباً، وليس هو الخطاب ، وأما ظروف الإنتاج فليست من الخطاب ، وإنما هي عامل خارجي يؤثر في توجيه الخطاب - شكلاً ومضموناً - من جهة الإرسال ، ويسهم في فهم النص وتفسيره من جهة الاستقبال، وعليه تكون المعادلة كالآتي :

$$\text{الخطاب} = \text{المرسل} + \text{النص} + \text{المستقبل} .$$

$$\text{النص} = \text{الخطاب} - \text{المرسل} - \text{المستقبل} .$$

(١) المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم ، ص ١٨٢ .

(٢) ينظر: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية ، ص ٣١٥ .

(٣) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، ص ٣٩ .

وبحسب تعدد معايير تعريف النص ، ومداخله ، ومنطقاته ، ومضامينه ، وخلفياته المعرفية ،
يجمع كثير من النقاد والدارسين على صعوبة الأمر في البحث عن تعريف لمفهوم النص^(١) ؛ وذلك لعدم
وجود قَدْر مشترك من ملامح التوافق حول مصطلح (النص)^(٢) ، وقد وضعت له تعريفات متنوعة ، وعلى
الرغم منها ليس هناك تعريف جامع مانع^(٣) ، بل تعريفات شديدة التباين ومتفاوتة تنطلق من منطقات
شتى^(٤) ، حتى قال "كلاوس برينكر K.Brinker": ((توجد تعريفات مختلفة للنص ، ولا يوجد حتى الآن
تعريف مقبول بوجه عام))^(٥) .

وفي ضوء الكلام السابق تنوعت تعريفات (النص) على أكثر من تحديد ، فقد عُرِف في قاموس
الأسنوية الذي أصدرته مؤسسة لاروس بأنه: ((إنَّ المجموعة الواحدة من الملفوظات ، أي الجمل
المنفذة ، حين تكون خاضعة للتحليل تسمى: (نصاً) ، فالنص عينة من السلوك الأسني ، وإنَّ هذه العينة
يمكن أن تكون مكتوبة ، أو محكية))^(٦) ، وهذا يعني أنَّ النص عينة لغوية ، فيستبعد بذلك العلامات
غير اللغوية ، وهذه العينة عندما تُولف كلاً واحداً - وهو إشارة إلى تماسكها - وتكون محل الدراسة
تسمى نصاً ، بصرف النظر عن كونها مكتوبة أو منطوقة .

ويختلف مفهوم النص باختلاف الأسس التي يركز عليها المفهوم ، فالمنهج البنيوي ينظر إلى
النص على أنه عمل مغلق يُقَطَّع عن مؤلفه ، وعن سياقاته التاريخية والاجتماعية والنفسية ، ولا علاقة
له بأي مرجع خارجي ، فهو وحدة فنية مستقلة لها خصائصها الذاتية التي لا تشترك فيها مع أي عمل
آخر ، حتى المؤلف نفسه^(٧) ، فقالت بموته وأزاحت سلطته ، وأقامت على أنقاضها (سلطة النص)^(٨) ،

(١) ينظر: لسانيات النص ، النظرية والتطبيق ، مقامات الهمذاني أنموذجاً ، ص ٢٠ .

(٢) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ص ١١٥ .

(٣) ينظر: النص الغائب ، ص ١٣ . ومدخل إلى علم النص ، زتسيسلاف واورزنيك ، ص ٦٠ .

(٤) ينظر: تطور علم اللغة منذ ١٩٧٠م ، ص ٢٣٦ .

(٥) التحليل اللغوي للنص ، ص ٢١ .

(٦) النص والأسلوبية ، ص ١٥ .

(٧) ينظر: الخطيئة والتكفير ، ص ٢٨ . ونحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية ، ص ١٣ .

فالنص عند البنيويين بناء عضوي ((بمجرد الانتهاء من كتابته ، يصبح كلاً متكاملًا ينظر إليه من داخله فقط ، وأن القوانين التي تحكم العلاقات بين مكوناته هي قوانين العمل نفسه ((^(٢) ، ومن هؤلاء "تودوروف T.Todorov" الذي يرى أن النص قد يكون جملة أو كتاباً بكامله ، ويمتاز بانغلاقه على ذاته واستقلال دلالاته ، وهما الخاصتان اللتان تميزانه ليؤلف نظاماً خاصاً به^(٣) .

وبخلاف المنهج البنيوي المنهج التفكيكي ، الذي يقول بمشروعية (القراءات اللانهائية)، فيعطي للقارئ حرية التصرف الكامل بالمدلولات ، ويسمح له بملء الفجوات ومناطق الصمت التي يحفل بها النص ، وهذا ما يجعل القارئ يقوم بمهمة إعادة كتابة النص^(٤) ؛ لأن العناصر التي يتألف منها النص غير ثابتة الدلالة ، بل متحركة دائماً ، حتى تصل إلى تناقضات لم تكن ببال المؤلف ، فالنص يبدأ بعد فراغ مؤلفه منه بعملية التوليد والتنوع والتعدد ، فينتج عن ذلك نصوص بعدد المتلقين، بل أن النص الواحد يتعدد ويتنوع عند المتلقي نفسه مع فترات التلقي ، فلا يعود للمؤلف سلطة على معاني نصه ودلالاته ؛ لأن كل متلقي يشاركه في هذه المهمة^(٥) . ومن ثم فلا معنى نهائي للنص ، لأن ((العلامات التي تؤلف النص تلعب في مواجهة بعضها البعض لعباً لا نهاية له ، فتحبط بلعبها ذاك أي معنى يمكن تحديده ((^(٦) .

وكانت "جوليا كريستيفا J.Kristeva" في طليعة الباحثين الذين تناولوا النص بالدراسة والتحليل،

فتحدثت عن النصوص بوصفها تتضمن محورين:

الأول: أفقي يربط بين مؤلف النص وقارئه .

(١) ينظر: التلقي والتأويل ، محمد عزام ، ص ٢٠ .

(٢) المرايا المحدبة ، ص ١٥٨ .

(٣) ينظر: النص الغائب ، ص ١٤ . والنص والأسلوبية ، ص ١٥ .

(٤) ينظر: النص المفتوح التفكيك أنموذجاً (بحث) ، ص ٥٤ .

(٥) ينظر: موسوعة النظريات الأدبية ، ص ٢٢٥ .

(٦) ضد التفكيك ، ص ١٥٩ .

والثاني: عمودي يربط بين النصّ والنصوص الأخرى .

ويجمع بين المحورين شفرات مشتركة ، وكلّ نصّ وقراءة يستندان إلى شفرات معروفة مسبقاً^(١).

وبناءً على هذا التصور اقترحت (كريستيفا) تعريفاً للنصّ هو: ((جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة ، (بالربط) بين كلام تواصل يهدف إلى الإخبار المباشر، وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه ، أو المتزامنة معه. فالنصّ إذن إنتاجية ، وهو ما يعني:

أ) أنّ علاقته باللسان الذي يتموقع داخله هي علاقة إعادة توزيع (صادمة بنّاءة) ؛ ولذلك فهو قابل للتناول عبر المقولات المنطقية لا عبر المقولات اللسانية الخالصة .

ب) أنّه ترحال للنصوص وتداخل نصّي ، ففي فضاء نصّ معين تتقاطع وتتفاى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخر))^(٢)

وتبرز أهمية هذا التعريف في أنّه يستوعب العناصر الداخلية للنصّ المشاركة في بنائه، والعناصر الخارجية المرتبطة به والمؤثرة فيه . وقد أطلقت (جوليا كريستيفا) على تقاطع نظام نصّي معين في علاقاته الداخلية مع المقولات التي تقع في فضاءه ، أو التي يحيل عليها في فضاء النصوص الأخرى في علاقاته الخارجية اسم: (الايديولوجيم) ، وهذه العلاقات تتداخل فتظهر مجسدة وممتدة في مستويات بناء كلّ نصّ على طول مساره ، لتشكل سياقه التاريخي والاجتماعي^(٣) .

وينطلق "رولان بارت R.Barthes" في تعريفه الأول للنصّ من المفهوم العام له ، معتمداً على الأصل الاشتقاقي لمصطلح النصّ (text) ، فيعرفه بانه: ((نسيج الكلمات المنظومة في التأليف،

(١) ينظر: أسس السيميائية ، ص ٣٣١-٣٣٢ .

(٢) علم النصّ ، جوليا كريستيفا ، ص ٢١ .

(٣) ينظر: السابق نفسه ، ص ٢١-٢٢ .

والمنسقة بحيث تفرض شكلاً ثابتاً ووحيداً ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً^(١) ، ويوصف هذا النسيج بأنه إنتاج وحجاب جاهز يقف خلفه المعنى إلى حد ما ، وهو يصنع نفسه بتشبيك مستمر، وأن الذات تكون ضائعة فيه ، فتتحل كالعنكبوت التي تذوب هي نفسها في الإفرازات البانية لنسيجها ، حتى يمكن وصف نظرية النصّ بأنها علم صناعة نسيج العنكبوت^(٢) .

وفي تعريفه الثاني يقدم بارت نظرية عن طبيعة النصّ ، فينتقل في رؤيته له وتعامله معه من الموقف السلبي للمتلقّي إلى موقف آخر، يصير فيه النصّ منظومة كتابية ينضوي تحتها الكاتب والقارئ^(٣) ، وقد أفاد من الأبحاث التي قدمتها (جوليا كريستيفا)، فيعرف النصّ بأنه ممارسة دلالية تعيد للكلام طاقته الفاعلة في عملية إنتاج مستمر العطاء من مشاركة صاحب النصّ وقارئه. فالنصّ يعمل طول الوقت وإن كان مكتوباً وثابتاً ، في عملية تفكيك وإعادة بناء ، ليخترع معاني لم يكن مؤلف النصّ قد رصدها ، وقد يكون تخيلها مستحيلاً ، فالدال بحسب ما يؤكد (بارت) ملك لكل الناس، لذلك يقترح بحدود الاستطاعة ألا يقتصر تحليل الإنتاجية على وصف لساني ، بل يجب إضافة مذاهب تحليلية أخرى تسهم في كشف النصّ^(٤) . وقد عدّت هذه المفهومات نوعاً من التطبيق المبكر للتفكيكية التي ازدهرت فلسفياً بعد ذلك عند "دريدا" Derrida^(٥) .

ولما كان التماسك النصّي يمثل الخصيصة الأهم عند الباحثين في علم اللغة النصّي ، فقد جاءت تعريفاتهم مبرزة هذه الخصيصة^(٦) ، فظهر اتجاه يعرف النصّ في إطار علم اللغة النصّي القائم على نظام اللغة ، الذي يحاول بحث الأشكال اللغوية المحضة للنصّيّة^(٧) ، ومن هذا المنظور كان

(١) نظرية النصّ ، ضمن كتاب آفاق التناسية المفهوم والمنظور ، ص ٣٧ .

(٢) ينظر: لذة النصّ ، ص ١٠٩ .

(٣) ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب ، ص ١٢٥ .

(٤) ينظر: نظرية النصّ ، ضمن كتاب آفاق التناسية المفهوم والمنظور ، ص ٤٦-٤٨ .

(٥) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النصّ ، ص ٢٩٨ .

(٦) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، ص ٧٠ .

(٧) ينظر: مدخل إلى علم النصّ مشكلات بناء النصّ ، ص ٥٦ .

تعريف النصّ عند "هارفيج R.Harwig" أنّه: ((ترابط مستمر للاستبدالات السنتجيمية* التي تظهر الترابط النحوي في النص))^(١)، وعند "فاينريش H.Weinrich": ((تكوين حتمي يحدد بعضه بعضاً؛ إذ تستلزم عناصره بعضها بعضاً لفهم الكل))^(٢) .

ويعترض جون لاينز J.Lyons على الاتجاه الذي يحدد النصّ بأنّه عبارة عن جمل متتابعة، ويعدّ هذا التعريف غير مرضٍ وفيه نقص ؛ لأنّه يغفل عن توضيح حقيقة الوحدات التي يتكون منها النصّ ، فهي ليس مجرد وحدات متصلة بعضها ببعض في سلسلة ، بل ينبغي ربطها بطريقة مناسبة من حيث السياق ، وعلى النصّ في مجمله أن يتسم بسمات التماسك والترابط^(٣) .

وفي مقابل هذا اقترحت تعريفات على النقيض مما سبق ، تُعرّف النصّ في إطار علم اللغة النصّي القائم على التواصل^(٤)، ومن أمثلة هذا الاتجاه "شميت S.Schmidt" الذي يُعرّف النصّ: ((هو كل جزء لغوي منطوق من فعل التواصل في حدث التواصل ، يحدد من جهة الموضوع ، وفي وظيفة تواصلية يمكن تعرّفها، أي يحقق كفاءة إنجازيه يمكن تعرّفها))^(٥)، و"جروسه Grosse" بقوله: ((النصّ الجزء المتحقق لغوياً للمنطوق في فعل تواصل))^(٦) .

وحتى يجمع في التعريف بين سمة التماسك النصّي والوظيفة الاتصالية للنصّ ، يقترح (كلوس برينكر) تعريفاً يراعي فيه كلا الاتجاهين ، فيعرفه بكونه ((تتابعاً محدوداً من علامات لغوية ، متماسكة في ذاتها ، وتشير بوصفها كلاً إلى وظيفة تواصلية مدركة))^(٧) .

* ((يعني المصطلح تركيباً نحوياً يجمع بين وحدتين أو أكثر في لغة من اللغات)) معجم اللسانيات الحديثة ، ص ١٣٨

(١) علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات ، ص ١٠٨ .

(٢) علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات ، ص ١٠٨ .

(٣) ينظر: اللغة والمعنى والسياق ، ص ٢١٨-٢١٩ .

(٤) ينظر: مدخل إلى علم النصّ مشكلات بناء النصّ ، ص ٥٦ . وعلم لغة النصّ نحو آفاق جديدة ، ص ١١٤ .

(٥) مدخل إلى علم النصّ مشكلات بناء النصّ ، ص ٥٨ .

(٦) تطور علم اللغة منذ ١٩٧٠م ، ص ٢٣٨ .

(٧) التحليل اللغوي للنصّ ، ص ٢٧ .

وفي محاولات بناء نحو توليدي للنصّ قائم على أساس دلالي ، يرى " فان دايك Van Dijk " أن التفريق بين البنية السطحية والبنية العميقة للنصّ له أهمية محورية للنصوص أيضاً ، فيعرف النصّ ((بأنه بنية سطحية توجهها وتحفزها بنية عميقة دلالية))^(١) . ثم رأى بعد ذلك في كتابه (النصّ والسياق) أن العبارات المنطوقة يجب أن تعاد صياغتها تبعاً لوحدة أوسع ما تكون هي النصّ ، والمقصود بهذا الاصطلاح ((الصياغة النظرية المجردة المتضمنة لما يسمى عادة بالخطاب))^(٢) ، وبهذا المعنى يفرق (فان دايك) بين النصّ والخطاب ، فالنصّ وحدة مجردة لا تتجسد إلا من خلال الخطاب بوصفه فعلاً تواصلياً ، وبتعبير آخر إنّ النصّ هو الموضوع المجرد والمفترض ، والخطاب هو الموضوع المجسد أمامنا كفعل^(٣) .

وتفريق (فان دايك) هذا بين النصّ والخطاب يقترب من ثنائية (دي سوسير) عن اللغة والكلام ، فاللغة تنتم بطابعها الاجتماعي بوصفها ظاهرة اجتماعية كامنة في أذهان أفراد المجتمع ، والكلام فعل فردي ينشأ عن الاستعمال الفعلي للغة ، أي إنه ناتج النشاط الذي يقوم به مستعمل اللغة عندما ينطق بأصوات لغوية مفيدة^(٤) .

وفي تعريف "هاليداي، ورقية حسن M.A.Halliday and R.Hasan" اهتمام بالجانب الدلالي، وتركيز على الوحدة والانسجام في النصّ ، وهذه الوحدة ليست وحدة شكل ، بل وحدة معنى تتحقق في شكل جمل متعلقة^(٥) ، فيذهب إلى أنّ ((النصّ وحدة لغوية في الاستعمال ، وليس وحدة نحوية كالعبارة أو الجملة ولا يُحدّد بمدى حجمه . ويُنظر إليه أحياناً على أنه نوع يمثل ما فوق الجملة ، أي وحدة لغوية أوسع من الجملة ، لكنها ترتبط بالجملة بطريقة تماثل طريقة ارتباط الجملة بالعبارة والعبارة بالمجموعة وهكذا ، فمن حيث التكوين: تركيب وحدات كبرى من وحدات صغرى ، غير أن هذه

(١) مدخل إلى علم النصّ مشكلات بناء النصّ ، ص ٥٦ .

(٢) النصّ والسياق ، ص ٢١ .

(٣) ينظر: انفتاح النصّ الروائي ، ص ١٥-١٦ .

(٤) ينظر: علم اللغة العام ، ص ٣٢ . ومدخل إلى اللسانيات ، ص ٥٣ .

(٥) ينظر: انفتاح النصّ الروائي ، ص ١٧ .

الفكرة مضللة. فالنصّ ليس شيئاً يشبه الجملة غير أنه أكبر، بل هو شيء يختلف عنها من حيث النوع. ويُستحسن النظر إلى النصّ على أنه وحدة دلالية: وحدة لا من حيث الشكل بل من حيث المعنى ، فهو يتصل بالعبارة أو الجملة لا من حيث الحجم ، بل من حيث التحقيق (realization) أي تفسير نظام رمزي في آخر. لا يتكون النصّ من جمل بل يتحقق بواسطتها ، أو مشفر فيها ((^(١) . ويتضمن مفهوم النصّ عند (هاليداي، ورقية حسن) المكتوب والمنطوق بشرط أن يكون وحدة متكاملة من دون تحديد حجمه طولاً أو قصراً^(٢) .

ويتفق "روبرت دي بوجراند R.D.Baugrand" مع (هاليداي، ورقية حسن) في تعريفه للنصّ، في أنّه ليس المهم حجم النصّ ، أن يكون مجموعة من الجمل ، أو جملة واحدة ، أو كلمات مفردة مادام يحقق الاتصال ، فيعرفه بأنّه: ((تشكيلة لغوية ذات معنى تستهدف الاتصال ، ويضاف إلى ذلك ضرورة صدوره - أي النصّ - عن مشارك واحد ضمن حدود زمنية معينة ، وليس من الضروري أن يتألف النصّ من الجمل وحدها، فقد يتكون النصّ من جمل ، أو كلمات مفردة ، أو أية مجموعات لغوية تحقق غايات الاتصال. ومن جهة أخرى فقد يكون بين بعض النصوص من الصلة المتبادلة ما يؤهلها لأن تكون خطاباً Discourse))^(٣) ، ويظهر من هذا التعريف أنّ (دي بوجراند) يراعي في تعريف النصّ وقوعه في الاتصال ، فيفرق بين الخطاب والنصّ ، فالخطاب يرتبط بالأقوال ذات الطابع الأدائي؛ ليؤدي وظيفة عمل وتفاعل^(٤) .

وتقترح الدراسة تعريفاً للنصّ يمكن أن يزداد على مجموعة التعريفات السابقة ، وهو: " النصّ بنية لغوية مغلقة مجردة ، ذات علاقات تماسك متنوعة ، تُفكّك في عملية إعادة بناء وإنتاج إلى دلالة أو دلالات ملائمة للسياق عند تحققها في الاتصال " . على أنّ ما يقصد بالنصّ (النصّ المفتوح)

(١) الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب (Cohesion in English) لـ هاليداي، ورقية حسن (رسالة ماجستير) ، ص ٦٨ .

(٢) ينظر: نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص ٢٢ .

(٣) مدخل إلى علم لغة النصّ ، ص ٩ .

(٤) ينظر: النصّ والخطاب والإجراء ، ص ٣٧٩-٣٨٠ .

وباللغة العلامة ، فاللغة علامات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، وبذلك تدخل فيها الإشارة ، والعقد ، والخط ، النصبة^(١) .

وعلى هذا المعنى تكون للنص مرتبتان: الأولى: قبل الاتصال وفيها يكون مجرداً ليس له تحقق في الخارج ، وليس له وجود فعلي إلا وجوده الذهني عند المرسل ، ودلالته تكون مغلقة . والثانية: عند الاتصال وفيها يتحقق ضمن عملية الخطاب بوصفه جزءاً منها ، وليس شكلاً مستقلاً ، وفيها يكون خاضعاً للتفكيك في عملية إعادة بناء وإنتاج دلالات مفتوحة بعدد التلقي .

علم اللغة النصّي : نشأته وتطوره:

علم اللغة النصّي اتجاه جديد ظهر في الدرس اللساني الحديث^(٢)، موضوعه الوحدة الطبيعية للتعامل بين المتكلمين هي (النص) ، مع الإشارة إلى أنّ المقصود بهذه الكلمة كلّ فعل تواصل لغوي، كتابياً كان أو شفوياً ، فيدرس بنية النصوص وكيفيات اشتغالها ، من منطلق أنّ النصّ وحدة لغوية نوعية ميزتها الاتساق والترابط^(٣) . وهذه الوحدة اللغوية ((وحدة كبرى شاملة لا تضمها وحدة أكبر منها ... تتشكل من أجزاء مختلفة تقع من الناحية النحوية على مستوى أفقي ، ومن الناحية الدلالية على مستوى رأسي . ويتكون المستوى الأول من وحدات نصّية صغرى تربط بينها علاقات نحوية ، ويتكون المستوى الثاني من تصورات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية))^(٤) ؛ ومن هنا جاءت الدعوة إلى ضرورة أن يكون النصّ كلّهُ هو الوحدة الخاضعة للتحليل اللساني بعد أن لم تعد الجملة كافية

(١) ينظر: البيان والتبيين ، ١/ ٧٦ .

(٢) تعددت ترجمات مصطلح هذا العلم ، فمن لسانيات النصّ ، إلى علم لغة النصّ ، أو علم اللغة النصّي ، إلى علم النصّ ، إلى نحو النصّ ، إلى تحليل الخطاب .

(٣) ينظر: مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه ، ص ٥٩ .

(٤) علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات ، ص ١١٩ .

لمسائل الوصف اللغوي كلها من حيث الدلالة والتداول والسياق الثقافي العام^(١)، فجاءت اللسانيات النصّية؛ لتخرج علوم اللسان من ((مآزق الدراسات البنيوية التركيبية التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية))^(٢) ، ولا يعني هذا قطيعة بين اللسانيات النصّية ونحو الجملة ، فعلى الرغم من أنّ هذا العلم لا يعترف باستقلال الجملة في داخل النصّ إلا أنّه ينتفع بما قيل عنها في النحو التقليدي^(٣).

ويرى الدكتور الأزهر الزّناد أنّ اللسانيات النصّية أقدم العلوم موضوعاً وأحدثها نشأة^(٤)، وقد أرجع (دي بوجراند) البدايات الأولى للدراسات النصّية إلى العلوم البلاغية التي سادت العصور الكلاسيكية القديمة ، وفيها اتجه اهتمام البلاغيين إلى تدريب الخطباء في أربعة مجالات هي إنشاء الأفكار ، وتنظيمها ، وإيجاد التعبيرات المناسبة لها ، وحفظها ، وذلك قبل عملية الإلقاء ، فهي تحفل بعملية تنظيم الأفكار في داخل النصوص ، وإيجاد التغييرات التي تتناسب مع الموقف الاتصالي ، وهذا يعني أنّه كان يُنظر إلى النصّ بوصفه وحدة كلامية مخصصة لأغراض الاتصال بعملية التفاعل بين مستويات مختلفة في البيئتين الداخلية والخارجية للنصّ^(٥)؛ وعلى هذا رأى (فان دايك) في البلاغة: ((السابقة التاريخية لعلم النص))^(٦) .

وعلى الرغم من أنّ أكثر الدارسين يشيرون إلى ريادة "زليج هاريس Z.Harris" في هذا المضمار ببحثه المعنون بـ (تحليل الخطاب) عام ١٩٥٢م^(٧) ، فهو أول لساني يعدّ الخطاب موضوعاً

(١) ينظر: مسارات التحول من لسانيات الجملة إلى لسانيات النصّ ، بحث منشور ضمن كتاب (لسانيات النصّ وتحليل الخطاب) ، ١/٣٧٩ .

(٢) مبادئ في اللسانيات ، ص ١٦٧ .

(٣) ينظر: في نظرية الأدب وعلم النصّ ، ص ٢١٩ .

(٤) ينظر: نسيج النصّ ، ص ١٨ .

(٥) ينظر: علم النصّ ونظرية الترجمة ، ص ١١-١٢ .

(٦) علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات ، ص ٢٣ . وفي علاقة البلاغة القديمة بعلم النصّ ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصّي ، فولفجانج هاينه من وديتر فيهفجر ، ص ١٤-١٧ ، ولسانيات النصّ عرض تأسيسيّ ، ص ٢٣-٣٠ .

(٧) ينظر: تحليل الخطاب الروائي ، ص ١٧ .

شريعاً للدرس اللساني^(١) ، إلا أنه قد أُشير إلى دراسات يمكن أن تعد إرهابات أولية لهذا الاتجاه ، منها عمل مبكر لـ "H.Weil" سنة ١٨٨٧م علق فيه تتابع اللفظ على تتابع الأفكار ، وفصل هذا التتابع عن النحو ، فقدم به أفكار المعايير الوظيفية للجملة ، ومفهوماً خاصاً لأسلوب الأفكار أيضاً ، وكذلك أطروحة الدكتوراه للباحثة الأمريكية "I.Nye" التي قدمتها سنة ١٩١٢م ، وأشارت في فصل منها إلى الربط بين الجمل ، وعلاقاتها الداخلية على أسس نصّية^(٢) . ومن يشار إليهم أيضاً "فردريك تشارلز بارتليت F.Ch.Bartlet" ، و "كارل بولر K.Buhler" ، و "إميل بنفست E.Benveniste" ، بوصفهم من المسهمين الأوائل في هذا المجال ، فقد وضعوا المفهومات والمناهج لأول اهتمام بعلم اللغة النصّي ، فقدّم بارتليت أساساً لتحليل نماذج ذهنية تساعد في بناء البنى الكلية للنصوص وفهمها ، وقدم بولر في الوقت نفسه نظرية فهم النصوص ، ونظرية وظائف النصوص ، ونظرية للبنى الكلية الداخلية ، أي نظرية ترابط النصوص ، وتكلم في أعماله على التكرار وعناصر الإشارة ، فمثل بولر الرأي الألماني المقابل لنظرية فهم النصوص الموضحة في إنجلترا بالاستعانة ببارتليت ، وأما بنفست فمثل الرؤية الفرنسية المقابلة لدراسات بولر واتباعه لفكرة تماسك النصوص وترابطها عبر دراساته للضمائر وعناصر الإشارة^(٣) . ومن الذين سبقوا أيضاً في الدعوة إلى العناية بالبعد النصّي في الدراسات اللغوية الحديثة ، وأكدوا في مناسبات مختلفة ، وفي إطار مواقف نظرية متباعدة ، ضرورة التأسيس للسانيات تدرس النصّ أو الخطاب: "لويس هلمسليف Louis Hjelmslev" ، و "ميخائيل باختين Mikhail Bakhtine" ، و "رومان جاكبسون R.Jakobson"^(٤) .

(١) ينظر: علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات ، ص ١٨ .

(٢) ينظر: السابق نفسه ، صص ١٧-١٨ . وأصول تحليل الخطاب ، ص ٧٥-٧٦/١ .

(٣) مساهمات بولر وبارتليت وبنفست في علم لغة النصّ (بحث) ، ص ١٤-٤١ .

(٤) ينظر: مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه ، ص ٦٠-٦١ .

ومما ينبغي أن يذكر هنا وينبه إليه ، صدور بعض الدَّعَوَات (النصّية) المبكرة من علماء عرب، ففضلاً عن ما صدر في التراث عن عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) وغيره^(١)، فقد قدّم في العصر الحديث الأستاذ أمين الخولي في كتابه (فن القول) خطة بحث تمتاز بامتداد مجالها إلى خارج حدود الجملة الواحدة ، واتصالها بالعمل الأدبي كله^(٢) ، وقد أشار إلى انحصار البحث البلاغي عند العرب في داخل أسوار الجملة لا يتعداها إلى ما وراءها^(٣) ، إذ يقول: ((وأما التحلية فبأشياء ، منها توسعة دائرة البحث وبسط أفقه ، فلا يقصر على الجملة كما كان في القديم من عمل المدرسة الكلامية ، الذي لم تأت المدرسة الأدبية بعده بشيء ذي غناء ، فإننا اليوم نمد البحث بعد الجملة إلى الفقرة الأدبية، ثم إلى القطعة الكاملة من الشعر أو النثر . ننظر إليها نظرتنا إلى كل متماسك ، وهيكلي متواصل الأجزاء، نقدر تناسقه ، وجمال أجزائه ، وحسن اتئلافه))^(٤) . وللاستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو) كلام مهم يسير في هذا الاتجاه ، يقول فيه: ((فإنَّ النحو - كما نرى ، وكما يجب أن يكون - هو قانون تأليف الكلام ، وبيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة، والجملة مع الجمل، حتى تتسق العبارة ويمكن أن تؤدي معناها))^(٥) . وكان لمثل هذه الدعوات لو وجدت من يتابعها يتابعها من اللسانيين والبلاغيين العرب ، أن تحدث ثورة في الدرسين اللساني والبلاغي في العربية، تنتقل به من (نحو الجملة) و (بلاغة الشاهد والمثال) إلى (نحو النصّ)^(٦) .

ولكن لم تجد هذه الدعوات طريقها إلى التطبيق إلا مع أعمال هاريس ، فهي البدايات الفعلية في تحليل الخطاب ، عندما حاول أن ينقل المناهج البنوية التوزيعية في التحليل إلى مستوى النصّ^(٧)،

(١) ينظر: الإبداع والإتياع بين البلاغة العربية وعلن النصّ ، ص ٢٢-٢٨ .

(٢) ينظر: البلاغة والأسلوبية ، ص ١١٩-١٢٠ .

(٣) ينظر: بلاغة النصّ مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، ص ١١ .

(٤) فن القول ، ص ٢٣٩-٢٤٠ .

(٥) إحياء النحو ، ص ١ .

(٦) ينظر: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، ص ٤٥ .

(٧) ينظر: أصول تحليل الخطاب ، ١/٧٦ . و مدخل إلى علم اللغة النصّي ، فولفجانج هاينه من وديتر فيهفجر ، ص ٢١ .

فقد استعمل إجراءات اللسانيات الوصفية لاكتشاف بنية النص ، ولكي يتحقق هذا المسعى رأى هاريس

أنّه لابد من تجاوز مشكلتين وقعت فيهما الدراسات اللغوية الوصفية والسلوكية ، وهما:

الأولى: قصر الدراسة على الجمل ، والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة .

الثانية: الفصل بين اللغة والموقف الاجتماعي مما يحول دون الفهم الصحيح .

ومن ثمّ اعتمد منهجه في تحليل الخطاب ركيزتين:

١- العلاقات التوزيعية بين الجمل .

٢- الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي .

وقد تنبه بعد ذلك بعض اللسانيين إلى المشكلتين اللتين أشار إليهما هاريس ، فتكوّن بذلك اتجاه لساني جديد يتخذ من النصّ كلّ وحدة للتحليل ، وليست الجملة بحسب ما كانت هي الحال في المناهج السابقة عليه^(١) ، فشهدت اللسانيات في أوروبا ومناطق آخر من العالم توجهاً قوياً نحو الاعتراف بنحو النصّ بديلاً موثقاً به من نحو الجملة ، وفتحت للدرس اللساني منافذ كان لها الأثر في دراسة اللغة ووظائفها النفسية والاجتماعية والفنية والإعلامية^(٢) . ويرى "هلبش Helbig" أنّ علم اللغة النصّي ارتبط بتطورات عامة لعلم اللغة ، ولا سيما الاتجاه التداولي ، وعلم اللغة الاجتماعي ، وعلم اللغة النفسي، ونظرية الفعل الكلامي ، ما أسهم بتغيير في توجه علم اللغة باتجاه يوافق الوظيفة الطبيعية للغة، ويناسبها مناسبة شديدة للغاية ، فاللغة ليست غاية لذاتها ، بل هي أداة للتواصل الاجتماعي . وقد بعث الوعي باللغة بوصفها وسيلة اتصال اجتماعية على التوجه إلى النصّ بصورة زائدة ، إذ لا ينجز التواصل - حين يكون لغوياً - دائماً إلا في نصوص ، وليس في جمل أو مفردات مستقلة . وقد أشار "بيتر هارتمان P.Hartmann" إلى ذلك سنة ١٩٧١م حين عدّ النصّ "العلامة اللغوية الأصلية" وأنّ

(١) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، ص ٦٥-٦٦ .

(٢) ينظر: نحو أجرومية للنصّ الشعري (بحث) ، ص ١٥٣ .

علماً مناسباً لموضوعه يجب أن ينطلق^(١) ، وقد فتحت فرضيته حول علم النصّ للغويات عامة نافذة جديدة بحسب ما يقول بيتر هارتمان^(٢) . فكان من المؤثرين في بدايات علم اللغة النصّي بما كتبه وما أخذه تلاميذه عنه وطوروه^(٣) . دون أن يغفل عن محاولتي هارفيج وفاينريش ، إذ قدّم الأول نموذج استبدال تتحرك فيه عناصر الاستبدال على المستوى الأفقي ، وغلب عليه إدراك النصّ إدراكاً وظيفياً، ثم أدخل فيما بعد جوانب نصّية كبرى للوصول إلى العلاقات الدلالية - التداولية المشكلة لبناء النصّ . وأما الثاني فقد قدّم نموذج تجزئة النصّ الذي يركّز على إجراءات منظمة لدراسة العلاقات بين الجمل المتجاورة للكشف عن علاقات التماسك التي تجعل من النصّ تكويناً واحداً مترابطة أجزاؤه ترابطاً شديداً^(٤) .

ومثلت أعمال فان دايك البداية الحقيقية لعلم النصّ ، حتى عُدّ مؤسس هذا العلم^(٥) ، فقد عرفت الدراسات النصّية على يده مزيداً من التطور والضبط المنهجي^(٦) ، وكان من المسهمين الحقيقيين في إقامة قواعد علم النصّ ، يقول: ((لقد توقفت القواعد واللسانيات التقليدية غالباً عند حدود وصف الجمل ... وأما في علم النصّ ، فإننا نقوم بخطوة إلى الأمام ونستعمل وصف الجمل بوصفه أداة لوصف النصوص . وما دمنا سنتبع هنا المكونات المعتادة للقواعد ، ونستعمل النصوص (المستخدمة) بغية وصف الجمل ، فإننا سنستطيع أن نتكلم عن قواعد النصّ))^(٧) ، فوضع في كتابه (بعض مظاهر نحو النصّ) تصوراً كاملاً لأسس هذا العلم ومبادئه ، متجاوزاً فيه الآراء المعروضة في هذا المجال، وقد كان في هذا الكتاب يقرن بين النصّ والخطاب في معنى واحد . الأمر الذي اقلع عنه عام ١٩٧٧م في كتابه (النصّ والسياق) إذ فرق بينهما ، وقد سعى فيه إلى إقامة نحو عام للنصّ يأخذ في نظره كل الأبعاد

(١) ينظر: تطور علم اللغة منذ ١٩٧٠م ، ص ٢٣١-٢٣٢ .

(٢) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصّي ، فولفجانج هاينة من وديتر فيهفجر ، ص ٢٢ .

(٣) ينظر: مساهمات بولر وبارتليت وبنفست في علم لغة النصّ (بحث) ، ص ١٢ .

(٤) ينظر: علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات ، ص ٩٤ .

(٥) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النصّ ، ص ٣٢٦ .

(٦) ينظر: مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه ، ص ٦٢ .

(٧) النصّ بنى ووظائف مدخل أولي إلى علم النصّ ، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النصّ ، ص ١٤٧ .

البنوية والسياقية والثقافية ، وهو الأمر الذي جسده فيما بعد في كتاب مهم آخر بعنوان (علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات) عام ١٩٨٠م ، فكان من الرواد الأوائل في إقامة هذا العلم^(١) . ومحاولاته تعدُّ أكثر محاولات التحليل توفيقاً ، فقد سعى فيها إلى صوغ نموذج تحليل للنصّ بإدخال عناصر من المنطق الحديث وعلم النفس التجريبي لتفسير كيفية إنتاج النصوص بقواعد توليدية مع إضافة أسس اتصالية وتداولية خلال عملية التفسير^(٢) ، وكان من ذلك يسعى إلى ((صياغة نظرية نصّية عامة تشكل الأساس لوصف شامل للأشكال النصّية المتباينة ، وعلاقاتها المتبادلة يسهم بشكل فعال مع النظرية اللغوية في تشكيل نظرية عامة للاتصال الفعلي))^(٣) .

وقدّم "بتوفي S.J.Petofi" محاولات لا تقل عن محاولات فان دايك جدية وثناء ، وعلى الرغم من أنّه استقى مكونات نمودجه وعناصر نظريته من المنطق والنحو التحويلي ومكونات دلالية وتداولية، وهو المعين ذاته الذي اغترف منه فان دايك ، إلا أنّ محاولاته لها سمات خاصة ماثرة ، وقد فرق بين المكونات السياقية التي في داخل النصّ وخارجه ، فحاول أن يحقق توازناً معقداً بين عالم واقعي فعلي يطلق عليه بنية العالم ، وعالم إبداعى تحقق في بنية النصّ ، وفي إطار التصور هذا رأى أنّه لا يكفي في تحليل النصّ الكشف عن العلاقات الداخلية التي تمتد في داخل النصّ ، التي تظهر في معاني النصّ الرئيسة ومعاني الأبنية فحسب ، بل يجب أن يتسع ذلك التحليل ليضم المعاني الخارجية التي يحيل إليها النصّ ، وهي ما يطلق عليها المعاني الإضافية أو الإشارية أو الإحالية أو التداولية وغيرها، فقدّم أشكالاً تحليلية حاول الوصول فيها إلى نظرية كلية للنصّ تعالج كلّ جوانبه^(٤) . فكان يدّعى لنحو

(١) ينظر: افتتاح النصّ الروائي ، ص ١٥ . ونحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص ٣٣ . ومدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه ، ص ٦٢ .

(٢) ينظر: علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات ، ص ٥٨ .

(٣) اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النصّ (بحث) ، ص ١٤٦ .

(٤) ينظر: علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات ، ص ٩٥-٩٦ و ص ٢٥٧ .

النصّ الذي اقترحه صلاحية عامة (شاملة) ، فهو أولاً يحل أغلب المشكلات النحوية التي ترد في داخل لغة ما في سياق تكوين النصوص ، وثانياً يصف كل الخصائص العامة (الشاملة) للغات طبيعية^(١) .

وفي سنة ١٩٧٦م ظهر كتاب مشترك لهاليداي، ورقية حسن بعنوان (الاتساق في الإنجليزية Cohesion in English) عالج فيه مؤلفاه بعض المفاهيم مثل: النصّ ، والنصّية ، والاتساق، وغيرها ، وبحثا مظاهر الاتساق مثل: الإحالة ، والاستبدال ، والحذف ، والوصل ، الاتساق المعجمي، وتضمن فصله الأخير تحليل نصوص متنوعة تطبيقاً لما سبق أن ورد في الكتاب^(٢) ، فكان هذا الكتاب أول دراسة نصّية متكاملة عدّت الاتساق جزءاً من مفهوم اللغة ومفهوماً دلاليّاً قوامه العلاقات المعنوية الموجودة في النصّ ، وهو في الوقت نفسه ما يكون به النصّ نصّاً^(٣) .

ولم تبلغ الدراسات النصّية أوجها إلا مع اللغوي الأمريكي (روبرت دي بوجراند) في الثمانينات من القرن العشرين^(٤) ، فأصبحت على يده حقيقة راسخة^(٥) ، وقد مثل كتابه (النصّ والخطاب والإجراء) سنة ١٩٨٠م مرحلة متقدمة كان الغرض منها ((إنشاء علم للنصّ متعدد أوجه العناية بحيث تتعدد جهات النظر إلى النصّ من الرصف إلى (المفاهيم) إلى طريقة التوصل إلى الإعلامية إلى بناء النموذج إلى تطبيق نتائج الدراسة على المحادثة والقصص وصور الإنتاج النصّي الأخرى ، ثم إلى الانتفاع بهذا العلم في القراءة والكتابة وتعليم اللغات الأجنبية الخ ، كل ذلك مع الانتفاع بنتائج العلوم الأخرى بدءاً بالفلسفة والمنطق وانتهاء بعلوم الحاسب الآلي))^(٦) . وقد اشترط سبعة معايير للنصّية يلزم توافرها في

(١) ينظر: أساسيات علم لغة النصّ ، ص ١٣٩ .

(٢) ينظر: نسيج النصّ ، ص ١١ .

(٣) ينظر: نحو النصّ إطار نظري ودراسات تطبيقية ، ص ٣٥-٣٦ .

(٤) ينظر: مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه ، ص ٦٣ .

(٥) ينظر: نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص ١١ .

(٦) النصّ والخطاب والإجراء ، ص ٥-٦ .

الحدث التواصلي لكي يكون نصاً^(١) ، ما يعني في حالة عدم تنفيذ أي من هذه المعايير فلا يعدّ النصّ نصّاً تواصلياً^(٢). وهذه المعايير هي^(٣):

- ١) السّبك (cohesion) أو الربط النحوي .
- ٢) الحبكة (coherence) أو التماسك الدّلالي ، وترجمها الدكتور تَمّام حَسّان إلى الالتحام .
- ٣) القصد (Intentionality) ، وهو الغاية من إنشاء النصّ .
- ٤) القبول أو المقبوليّة (Acceptability) وتتعلق بموقف المتلقي من النصّ من حيث قبوله أو رفضه .
- ٥) المقاميّة (Situationality) وتتعلق بمناسبة النصّ للموقف والظروف المحيطة به ، وترجمها الدكتور تَمّام حَسّان إلى رعاية الموقف .
- ٦) الإعلاميّة (Informativity) وتتعلق بتوقع المعلومات الواردة في النصّ أو عدمه .
- ٧) التناصّ (Intertextuality) و هو يتضمن العلاقات بين نصّ ما و نصّوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة .

والذي يُرى أن هذه المعايير ليست كلّها في مرتبة واحدة ، لأنّ تحققها جميعاً معلق على تحقق السبك والحبك ، ففي قولنا: (زيد رماده كثير ، هو كريم)، ينفي معه تحقق المعايير كلها إذا انتفى الربط بين القضيتين على مستوى السبك والحبك ، وتحقق بتحققهما ، ومن ثمّ تكون بقية المعايير تابعة للسبك والحبك وواقعة تحتها في تحققها ، فتفقد بذلك استقلاليتها ، حتى يمكن عدّ السبك والحبك أصولاً وبقية المعايير فروعاً عليها ، أو يمكن عدّها من عناصر الحبك ، فهي وسائل ربط تعمل على ربط

(١) درج الباحثون على نسبة هذه المعايير السبعة إلى دي بوجراند ودريسلر معاً ، ولكنّ الدكتور أحمد عفيفي يرى أن تنسب إلى دي بوجراند فقط ؛ لأن كتابه (النصّ والخطاب والإجراء) سابق على كتابه مع دريسلر . ينظر: نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص ٧٥ .

(٢) ينظر: النصّ والخطاب ، ص ٤٥ .

(٣) ينظر: النصّ والخطاب والإجراء ، ص ١٠٣-١٠٤ . مدخل إلى علم اللغة النصّي ، فولفجانج هاينه من، وديتر فيهفجر ، ص ٩٣-٩٥ .

النصّ في مستوى البنية العميقة أيضاً ، إمّا بمنشئه ، أو بمتلقيه ، أو بنصوص أخرى، أو بما يحيط به من ظروف ، فتكون بذلك من مراتب الحبكة ؛ لأنّه مَنْ يعمل على ترابط النصّ في هذا المستوى ، على الرغم من أنّه يتوقف أحياناً على السياق الخارجي عندما يكون المعنى في خارج النصّ . وهو أمر يمكن بحثه في دراسات مستقلة أكثر تفصيلاً بتوفيق الله .

الباب الأول
السُّبُكُ النَّصِّيُّ فِي أُدْعِيَةِ
الإمام عليٍّ عليه السلام

الباب الأول:

السبك النصي في أدعية الإمام علي عليه السلام

مفهوم السبك وأهميته:

تعددت الترجمات العربية المقابلة لمصطلح (cohesion) ومصطلح (coherence) عند الباحثين العرب في مجال الدراسات النصية^(١)، وقد اعتمدنا في دراستنا على ترجمة الدكتور سعد مصلوح لهما إلى السبك والحبك .

ويقصد بالسبك في الدراسات النصية: ((ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/خطاب ما ، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء خطاب أو خطاب برمته))^(٢)، ويترتب ((على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي))^(٣)، أو ما يختص: ((بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار في ظاهر النص . ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني ، والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق))^(٤)، وهذا يعني أن معيار السبك يهتم بظاهر النص غالباً ، ونقول غالباً لأنه قد توجد في النص روابط شكلية

(١) ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص ٩٠ . ولسانيات النص النظرية والتطبيق (مقامات الهمداني أنموذجاً) ، ص ٢٦ . ومفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النصية (بحث) ، ص ٢٠٩ .

(٢) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ٥ .

(٣) النص والخطاب والإجراء ، ص ١٠٣ .

(٤) نحو أجرومية للنص الشعري (بحث) ، ص ١٥٤ .

ظاهرة على سطحه، وعلى الرغم من أنها لا يتحقق التماسك النصي . ولإيضاح هذه الفكرة يسوق الدكتور أحمد عفيفي المثال الآتي:

- شبّ حريق في المبنى التجاري بالأمس ، وانتصر المصريون في السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ م .

ويعقب قائلاً: ((مع وجود الواو الرابطة بين الجملتين فإنهما منفصلتان دلاليًا ، لأنّ الانتقال من فكرة إلى فكرة لا يوجد بينهما علاقة منطقية واضحة تجمع بينهما))^(١)، ولكي يتحقق السبك النصي يجب أن تكون ((العناصر اللغوية المتوالية التي يتكون منها النصّ ذات معانٍ يتصل بعضها ببعض على أساس القواعد النحوية))^(٢) .

والحق أنّ السبك والحبك كليهما يقومان بوظيفة الربط الدلالي بين أجزاء النصّ ، ولكن الفرق بينهما أنّ الأول يتم بروابط شكلية ناتجة عن منشئ النصّ أو مبدعه على مستوى البنية السطحية ، وأمّا الآخر فلا يشترط فيه ذلك ، فقد يتم بروابط عقلية منطقية يضيفها المتلقي على النصّ في مستوى البنية العميقة عندما يبدو الترابط على السطح مفككاً ، ((فالمستمع أو القارئ هو الذي يصمم الحبك الضروري أو يُنشئه))^(٣). إذ ليس هناك نصّ منسجم في ذاته ونصّ غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي^(٤).

وبعدّ السبك من أهم المعايير النصّية التي تسهم في تحقيق النصّ وتفسيره ، وقد نال اهتماماً كبيراً عند الباحثين في علم اللغة النصّي ، بدايةً بتوضيح مفهومه ، ومروراً ببيان أدواته أو وسائله، وعوامله ، حتى عدّه بعض الباحثين أنّه هو النصّ^(٥)، فالنصّ بوصفه وحدة لغوية كبرى لا تضمها وحدة

(١) نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص ١٠٢ .

(٢) اجتهدات لغوية ، ص ٣٦٦ .

(٣) النصّ والخطاب والاتصال، ص ٩١-٩٢ .

(٤) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ٥١ .

(٥) ينظر: السابق نفسه ، ٩٣/١ .

أكبر منها ، احتاج في سبيل تكوين هذه الوحدة إلى روابط تنظم على السطح أو ظاهر النص أحداثه أو مكوناته اللغوية بعضها مع بعض تبعاً للمباني النحوية ، وتحقق له صفة الاستمرارية التي بها يكون الكلام نصاً ، والمعيار المختص عن تجسيد ذلك هو السبك^(١)، فالجمل المتتالية لكي تؤلف وحدة موضوعية تتصف بالنصيّة لابدّ لها من ((وسائل لربط المتواليات السطحية بعضها ببعض بطريقة تسمح بالإشارة إلى العلاقات بين مجموعات من معرفة العالم المفهومي للنص))^(٢)، ومن ثمّ فالسبك احد المعايير الرئيسة للتمييز بين ما هو نصّ وما هو غير ذلك . ويقسم السبك على نوعين هما :

أولاً : السبك النحوي Grammatical Cohesion :

ويشمل: (الإحالة Reference - والاستبدال Substitution - والحذف Ellipsis - والوصل Conjunction) .

ثانياً : السبك المعجمي Lexical Cohesion :

ويشمل: (التكرار Reiteration - والمصاحبة المعجمية "التضام" Collocation)^(٣) .

(١) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصيّة ، ص ٧٦ .

(٢) لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء ، ص ٣٧ .

(٣) ينظر: علم لغة النصّ والأسلوب ، ص ١٦ .

الفصل الأول

السُّبْكُ النُّحْوِي

الفصل الأول:

السبك النحوي : Grammatical Cohesion

المبحث الأول: الإحالة Reference^(١):

لا يبتعد مفهوم الإحالة اللغوي عن مفهومها الاصطلاحي ، ففي لسان العرب: ((حال الرجل يُحَوَّل مثل تَحَوَّل من موضع إلى موضع ... وحال الشيء نفسه يُحَوَّل حَوَّلًا بمعنيين: يكون تَغْيِيرًا ويكون تَحَوُّلاً))^(٢)، والتغير والتحول ونقل الشيء إلى غيره ليس بعيداً عن الاستعمال الدلالي للإحالة النصّية ، فالتغير والتحول ونقل الشيء من حالة إلى أخرى لا يتم إلا في ظل وجود علاقة قائمة بينهما تسمح بالتغير ، فاللفظ المحيل يحمل معنى ما يشير إليه ، بالاتجاه في داخل النصّ إلى الوراء بالإحالة على متقدم ، أو الأمام بالإحالة على متأخر، وقد يكون الانتقال إلى خارج النصّ ، وكل ذلك بعلاقة قائمة بين الأسماء والمسميات ، أو بين اللفظ وما يحيل عليه^(٣) .

وأما في الاصطلاح فقد عرفها روبرت دي بوجراند بأنّها: ((العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات))^(٤)، وعرفها "كلمير W.Kallmeyer" بأنّها: ((العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه "عنصر علاقة" وضمان يطلق عليها "صينغ الإحالة"))^(٥)، وعلى صعيد الدرس العربي عرّفها الدكتور أحمد عفيفي بأنّها: ((علاقة معنوية بين ألفاظ معيّنة وما تشير إليه من أشياء أو معان أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في

(١) هناك مجموعة ترجمات عربية لمصطلح الإحالة منها: الإرجاع والإرجاعية أو المرجعية ، ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ١١٩ .

(٢) لسان العرب ، ٤٦٨/٣ ، مادة (حول) .

(٣) ينظر: الإحالة في نحو النصّ ، ص ١٠-١١ .

(٤) النصّ والخطاب والإجراء ، ص ١٧٢ .

(٥) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، ص ٩٨ .

السياق ، أو يدل عليها المقام ، وتلك الألفاظ المحيلة تعطي معناها عن طريق قصد المتكلم ، مثل: الضمير واسم الإشارة ، واسم الموصول ... (الخ) . (حيث) تشير هذه الألفاظ إلى أشياء سابقة أو لاحقة، قصدت عن طريق ألفاظ أخرى أو عبارات أو مواقف لغوية أو غير لغوية ((^(١)). ويذهب الأزهري الزناد إلى أنَّ "العناصر الإحالية" تُطلق على ((قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة ، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النصّ ، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر))^(٢)، وفي مقابلها "العناصر الإشارية" التي ينظر هنا إلى أنَّها قسيم العناصر الإحالية ، وتشمل ((كل ما يشير إلى ذات أو موقع أو زمن إشارة أولية لا تتعلق بإشارة أخرى سابقة أو لاحقة ، فيمثل العنصر الإشاري معلماً لذاته، لا يقوم فهمه أو إدراكه على غيره))^(٣)، وتكتسب العناصر الإحالية دلالتها من العناصر الإشارية التي تعوضها ، مما يجعل تفسير العنصر الإحالي معلقاً على العنصر الإشاري ؛ إذ ليس للعنصر الإحالي قيمة من دون العنصر الإشاري الذي يبينه ويزيل الإبهام عنه ، ويجب أن يتقدم أو يتأخر واضحاً حتى يمكن الإحالة إليه ؛ لأنَّه إذا عادت الإحالة على أكثر من عنصر إشاري فسوف يشيع الاضطراب ، ويختل النصّ^(٤). وبصورة عامة، الإحالة: علاقة تخاطبية بين عنصر محيل يتوقف تفسيره على معرفة عنصر محال إليه مُفسر له ، لما بينهما من مناسبة يحددها سياق الخطاب .

ولا تخضع الإحالة لقيود نحوية ، بل لقيد دلالي ، وهو وجوب تطابق السمات الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال عليه^(٥)، ولكنَّ الدكتور أحمد المتوكل يذهب إلى ((أنَّ الإحالة أدخل في التداول منها في الدلالة ، إذ إنَّها ترتبط بالمقام وتحديداً بالمعلومات التي يفترض المتكلم وجودها

(١) الإحالة في نحو النصّ ، ص ١٢-١٣ .

(٢) نسيج النصّ ، ص ١١٨ .

(٣) السابق نفسه ، ص ١١٥-١١٦ .

(٤) ينظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، ص ٩٩-١٠٠ .

(٥) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ١٧ .

(لدى) المخاطَب عن المحال عليه حين عملية التواصل ((^(١))، فهي تقوم على فعل تداولي تعاوني بين متكلم ومخاطَب في موقف تواصلِي معين ، ويبتغي بها المتكلم أن يحيل المخاطَب على ذات معينة^(٢). فالمقال بما هو علامات وعلاقات نحوية لا يوفر الضمانات الكافية لتعيين المفسر الملائم لكل عائد، وبحسب هذا لا بدّ من الاستعانة بحديثات المقام ، والاحتكام إلى الملاحظات التي ينجز فيها الخطاب لتجاوز قصور المعطيات النحوية عن الإيفاء بالغرض^(٣) . ومما يرجح هذا الرأي أنّ الإحالة المقامية تتوقف على معرفة سياق الموقف .

ويتضح مما سبق أنّ الإحالة تعتمد على عناصر هي^(٤):

- (١) المتكلم أو الكاتب ، وبقصده المعنوي تتم الإحالة على ما يريد .
 - (٢) اللفظ المحيل ، وهذا العنصر الإحالي ينبغي أن يتجسد إما ظاهراً أو مقدراً ، وهو الذي يغيرنا من اتجاه إلى آخر في خارج النصّ أو داخله .
 - (٣) المحال إليه ، ويتجسد إما في خارج النصّ أو في داخله .
 - (٤) العلاقة بين اللفظ المحيل والمحال عليه ، ويفترض أن يكون التطابق بينهما مجسداً .
- وتشتمل عناصر السبك الإحالية على:

- (١) الضمائر: (أنا ، وأنت ، ونحن ، وهو ، وهي ، وهم ، ...) .
- (٢) أسماء الإشارة: (هذا ، وهذه ، وهؤلاء ، وذلك ، وأولئك ،) .
- (٣) أدوات المقارنة: (أفضل ، وأكثر ، ...) .
- (٤) الموصولات: (الذي ، والتي ، والذين ، ومنّ ، وما ،) .

(١) الخطاب وخصائص اللغة العربية ، ص ٧٤ .

(٢) ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، ص ٣٥٩ و ص ٥٧٢ .

(٣) ينظر: نحو دراسة نحوية للخطاب: قضية الإضمار ، بحث منشور ضمن كتاب (لسانيات النصّ وتحليل الخطاب)، ١٨٨-١٨٧/١ .

(٤) ينظر: الإحالة في نحو النصّ ، ص ١٦ .

وقد اعتمد هاليداي، ورقية حسن الثلاثة الأولى^(١)، وأضاف إليها روبرت دي بوجراند الموصولات تحت عنوان الكنائيات^(٢)، وأشار إليها الأزهر الزنّاد أيضاً^(٣) .

أنواع الإحالة:

تنقسم الإحالة بحسب العلاقة الإحالية بحسب ما قدّمها هاليداي، ورقية حسن على نوعين هما^(٤):

(١) الإحالة النصّية (إحالة في داخل النصّ) ، وهي بدورها تنقسم على:

أ) إحالة قبلية (على السابق) .

ب) إحالة بعدية (على اللاحق) .

(٢) الإحالة المقامية (إحالة على خارج النصّ) .

وبحسب المدى الفاصل بين العنصر الإحالي ومفسّره يمتاز نوعان من الإحالة هما^(٥):

(١) الإحالة ذات المدى القريب ، الكائنة في مستوى الجملة الواحدة فتجمع العنصر الإحالي والمفسّر .

(٢) الإحالة ذات المدى البعيد ، وتكون بين الجمل المتصلة أو المتباعدة في فضاء النصّ .

(١) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ١٧ .

(٢) ينظر: النص والخطاب والإجراء ، ص ٣٢٢ ، ومقدمة المترجم ص ٣٢ .

(٣) ينظر: نسيج النصّ ، ص ١١٨ .

(٤) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ١٧ . ونحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص ١١٧ .

(٥) ينظر: نسيج النصّ ، ص ١٢٣-١٢٤ .

١ - الإحالة النصّية:

وهي الإحالة على عنصر وارد في الملفوظ^(١)، وتسهم في ربط أجزاء النصّ بصورة مباشرة وفعالة؛ وعلى هذا اعتنى بها هاليداي، ورقية حسن أكثر من الإحالة المقامية^(٢)، واتخاذها معياراً للإحالة^(٣). وتنقسم على:

أ - الإحالة القبلية:

وفيهما يشير العنصر الإحالي إلى ما يتقدمه من العناصر اللغوية المختلفة ، فهي ((تعود على مفسّر سبق التلفظ به))^(٤)، وهذا النوع من الإحالة هو الأكثر شيوعاً في النصّ اللغوي^(٥). ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٦)، إذ نجد أنّ الضمير (نون النسوة) الذي تكرر يحيل إحالة قبلية على لفظ (المؤمنات) المذكور في أول النصّ ، وقد تتوع واتسع مدى الإحالات من القريبة في (يَغْضُضْنَ) إلى البعيدة في (زِينَتَهُنَّ). وعن هذه الآية يقول مكي: ((ليس في كتاب الله آية اشتملت على ضمائر أكثر منها فإن فيها خمسة وعشرين ضميراً))^(٧)، فتحقق بهذه الإحالات نوع من التماسك أسهم في استمرار وحدة

(١) ينظر: نسيج النصّ ، ص ١١٨ .

(٢) ينظر: إشكالات النصّ ، ص ٣٥٠ .

(٣) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ١٨ .

(٤) نسيج النصّ ، ص ١١٨ .

(٥) ينظر: إشكالات النصّ ، ص ٣٥١ . ونسيج النصّ ، ص ١١٩ . ونظرية علم النصّ ، ص ٨٤ .

(٦) سورة النور/ الآية: ٣١ .

(٧) الإتيان في علوم القرآن ، ٢/ ٤٦٢ .

النص الموضوعية . وفي قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيكُمْ بِهِ ﴾^(١)، يشير الفراء (ت ٢٠٧هـ) إلى إحالة الضمير على مستوى النص قائلًا ((يقال: إن الهاء التي في "به" كناية عن الهدى))^(٢)، فيرجع الضمير بالإحالة الداخلية السابقة إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ﴾^(٣) ، وهذا التحليل يتعدى حدود الآية الواحدة إلى ما سبقها بعشر آيات .

ب - الإحالة البعدية:

وتكون فيها الإحالة على اللاحق ، فهي ((تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها))^(٤)، إذ يحيل عنصر لغوي أو مكون ما على عنصر آخر تالٍ له في النص ، أو مكونات من عدة عناصر متأخرة عن عنصر الإحالة فتكون مُفسرة له ، وعندئذ ((يتحتم للفظ الكنائي أن يركم حتى تأتي العبارة المشاركة له في الإحالة))^(٥). وينظر لهذا النوع من الإحالة على أنها مراعاة للمتلقي؛ لأنَّ ((تأخير مُفسره عنه هو قصد التشويق في ذكر ذلك المفسر، بأن يذكروا أولاً شيئاً مبهماً، حتى تنتشوق نفس السامع إلى العثور على المراد به ، ثم يفسروه فيكون أوقع في النفس))^(٦).

ولم يكن هذا النوع من الإحالة غائباً عن الإشارة إليه في الفكر النحوي العربي ، فقد تحدث ابن هشام (ت ٧٦١هـ) عن المواضع التي يعود الضمير فيها على متأخر ، وهي سبعة:

((أحدها: أن يكون الضمير مرفوعاً بنعم أو بئس، ولا يفسر إلا بالتمييز، نحو: "نعم رجالاً زيداً"، و"بئس رجالاً عمرو" ...

الثاني: أن يكون مرفوعاً بأول المتنازعين المُعْمَلِ ثانيهما نحو قوله:

(١) سورة الأنعام / من الآية: ٤٦ .

(٢) معاني القرآن ، ٣٣٥/١ .

(٣) سورة الأنعام / من الآية: ٣٥ .

(٤) نسيج النص ، ص ١١٩ .

(٥) النص والخطاب والإجراء ، ص ٣٢٧ .

(٦) الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني (بحث) ، ص ١٠٦٧-١٠٧٠ .

جَفَوْنِي وَلَمْ أَحِفْ الْأَخْلَاءَ، إِنَّنِي لَغَيْرِ جَمِيلٍ مِنْ خَلِيلِي مُهْمِلٌ^(١) ...

الثالث: أن يكون مخبراً عنه فيفسره خبره نحو: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾^(٢)، قال الزمخشري: ((هذا ضمير لا يعلم ما يعني به إلا بما يتلوه من بيانه. وأصله: إن الحياة إِلَّا حَيَاتُنَا الدنيا ثم وضع "هي" موضع الحياة ، لأنّ الخبر يدلّ عليها ويبينها))^(٣) ، ...

الرابع: ضمير الشأن والقصة نحو: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٤) ، ونحو: ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٥) ، ...

الخامس: أن يجر بـ "رب" مُفسراً بتميز، وحكمه حكم ضمير نعم وبئس في وجوب كون مفسره تمييزاً ، وكونه هو مفرداً ، وقال:

رُبُّهُ فِتْنَةٌ دَعَوْتُ إِلَى مَا يُورِثُ الْمَجْدَ دَائِبًا فَأَجَابُوا^(٦) ...

السادس: أن يكون مبدلاً منه الظاهر المفسر له، كـ "ضربته زيداً" ...

السابع: أن يكون متصلاً بفاعل مقدم، ومُفسَّره مفعول مؤخر كـ "ضربَ غلامه زيداً" ...^(٧) .

(١) البيت بلا نسبة في ارتشاف الضرب من لسان العرب ٩٤٥/٢ ، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب ٥٣٥/٥ ، وشرح التصريح على التوضيح ٤٨٤/١ ، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٢٣١/١ ، ١٤٠/٥ ، وحاشية الصبان على شرح الأشموني ١٥١/٢ .

(٢) سورة الأنعام / من الآية: ٢٩ .

(٣) تفسير الكشاف ، ١٨٢/٣ .

(٤) سورة الإخلاص / الآية: ١ .

(٥) سورة الأنبياء / من الآية: ٩٧ .

(٦) البيت بلا نسبة في ارتشاف الضرب من لسان العرب ١٧٤٧/٤ ، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب ٥٤٤/٥ ، وشرح التصريح على التوضيح ٦٣٥/١ ، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ١٨٠/٤ .

(٧) مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ٥٤٩-٥٣٣/٥

٢ - الإحالة المقامية:

ويطلق عليها روبرت دي بوجراند الإحالة لغير مذكور^(١)، ((وهي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي ، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم ، حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم))^(٢)، ويحتاج هذا النوع من الإحالة أحياناً إلى جهد من المتلقي للكشف عنها ، وإيضاح كيفيتها ، وتأويل العنصر غير اللغوي الذي يحكمها والموجود خارج النص ، ويستعان في تفسيره بالسياق أو المقام الخارجي ، والإشارات الدالة عليه^(٣)، إذ يرجع فيها إلى ((أمور تستنبط من الموقف لا من عبارات تشترك معها في الإحالة في نفس النص أو الخطاب))^(٤) . ويذهب هاليداي، ورقية حسن إلى أن الإحالة المقامية لا تسهم في اتساق النص بشكل مباشر ، إلا أنها تسهم في تكوينه ، فهي تربط بين لغة النص والسياق الذي تقال فيه^(٥) .

وهناك في التراث إشارات للإحالة المقامية، ولا سيما عند المفسرين عندما يتوقف تفسير الآية على معرفة سياقها الخارجي مثل سبب النزول؛ لمعرفة المرجع الذي تعود عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾^(٦)، فإن مرجعية الاسم الموصول (مَنْ) ، والضمير المستتر في (يشري) ، والضمير المتصل في (نفسه) مبهمة ، وينكشف إبهامها بمعرفة سبب نزول الآية ، فقد ذكر الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) في تفسيرها أنها نزلت في الإمام علي عليه السلام

(١) ينظر: النص والخطاب والإجراء ، ص ٣٣٢ .

(٢) نسيج النص ، ص ١١٩ .

(٣) ينظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، ص ١٠٥ .

(٤) النص والخطاب والإجراء ، ص ٣٣٢ .

(٥) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ١٧ .

(٦) سورة البقرة / الآية: ٢٠٧ .

حين بات على فراش رسول الله ﷺ^(١) . فالمرجعية هنا خارجية ؛ لأنها لم تذكر صراحة ، وقد ارتبطت بالسياق المتمثل في مناسبة النزول .

وقد تعتمد الإحالة المقامية على فهم المخاطب وما يمتلكه من معلومات على علاقة بالنص، فيذكر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) من أسباب العدول عن الاسم الظاهر إلى الضمير: ((أن يدل عليه السياق فيضم ثقة بفهم السامع كإضمار "الأرض" في قوله: ﴿ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾^(٢)، وقوله: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾^(٣). وجعل ابن مالك الضمير للدنيا^(٤)، وقال: وإن لم يتقدم لها ذكر، لكن تقدم ذكر بعضها ، والبعض يدل على الكل))^(٥). وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾^(٦)، يقول البيضاوي (ت ٦٨٥هـ): ((الضمير للقرآن فخمه بإضماره من غير ذكر شهادة له بالنبأهة المغنية عن التصريح))^(٧) .

وسنتناول عناصر السبك الإحالية بحسب ذكرها عند الباحثين في علم اللغة النصي ، مع ذكر نماذج لها في أدعية الإمام علي عليه السلام ، وهي:

أ- الإحالة بالضمائر:

تعد الإحالة الضميرية من أهم أنواع الإحالة وأقواها في تحقيق الربط عند الباحثين في علم اللغة النصي^(٨)، فهي تربط بين أجزاء النص المختلفة ، شكلاً ودلالة ، داخلياً وخارجياً ، سابقة ولاحقة، فقد يحل ضمير محل كلمة أو عبارة أو جملة أو عدّة جمل^(٩)، فيكون لها مع وظيفتها في ربط النص

(١) ينظر: مجمع البيان ، ٤٥/٢ .

(٢) سورة فاطر / الآية: ٤٥ .

(٣) سورة الرحمن / الآية: ٢٦ .

(٤) ينظر: شرح التسهيل ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ١٥٤/١ .

(٥) البرهان في علوم القرآن ، ٢٠/٤ .

(٦) سورة القدر / الآية: ١ .

(٧) تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، ٤٣٧/٤ .

(٨) ينظر: الإحالة الضميرية في اللغة العربية مقارنة تطبيقية في ضوء نحو النص (بحث) ، ص ١٧١ .

(٩) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ١٣٧/١ .

قيمة أسلوبية كبيرة هي الاختصار والإيجاز ، فضلاً على أثرها في إزالة اللبس الذي يحول دون تماسك النص ، يقول ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ): ((وإنّما أتى بالمضمرات كلّها لضربٍ من الإيجاز ، واحترازاً من الإلباس . فأما الإيجاز فظاهر ، لأنّك تستغني بالحرف الواحد عن الاسم بكَماله ، فيكون ذلك الحرف كجزءٍ من الاسم ، وأما الإلباس فلأنّ الأسماء الظاهرة كثيرة الاشتراك ، فإذا قلت: "زيدٌ فعل زيدٌ"، جاز أن يُتوهّم في "زيدٍ" الثاني أنّه غيرُ الأول . وليس للأسماء الظاهرة أحوالٌ تفتقرُ بها إذا التبتست . وإنّما يُزيل الالتباس منها في كثيرٍ من أحوالها الصفاتُ ، كقولك: "مررت بزيدٍ الطويلِ ، والرجلِ البَرّازِ". والمضمراتُ لا لَبَسَ فيها، فاستغنتُ عن الصفات ؛ لأنّ الأحوال المقترنة بها قد تغني عن الصفات))^(١) .

وتنقسم الضمائر على قسمين:

(١) ضمائر وجودية مثل: أنا ، وأنت ، ونحن ، وهو ، وهم ، وهنّ ... وغيرها .

(٢) ضمائر ملكية مثل: كتابي ، وكتابك ، وكتابهم ، وكتابنا ... وغيرها .

وكل من هذين القسمين يتفرع إلى: ضمائر للمتكلّم ، أو المخاطَب ، أو الغائب ، وسواء أكانت الضمائر وجودية أم ملكية فإنّ الضمائر الدالة أو المحيلة على متكلّم أو مخاطَب إنما تحيل على شيء في خارج النصّ ، كالضمير أنا ، أو نحن ، فإنّه يصدق على ذات في خارج النصّ ، وكذلك عندما يخاطب الكاتب المتلقي باستعمال الضمير أنت ، أو أنتم ، أو أنتنّ ، فإنّه يحيل على مجموعة من الناس، هم أيضاً في خارج النصّ ، وأما ضمائر الغياب فإنّها تُحيل - غالباً - إلى شيء في داخل النصّ^(٢).

وتتفرع الضمائر في العربية بحسب ما يدل على الحضور في المقام أو الغياب إلى فرعين كبيرين متقابلين هما: ضمائر الحضور وضمائر الغياب ، ثمّ تتفرع ضمائر الحضور إلى متكلّم هو مركز المقام الإشاري وهو الباث ، ومخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه ، وهو المتلقي ، وكلّ

(١) شرح المفصل ، ٨٤/٣ .

(٢) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ١٨ . والإحالة في نحو النصّ ، ص ٢٣-٢٤ .

مجموعة منهما تنقسم بحسب الجنس على مذكر ومؤنث ، وبحسب العدد على ما يدل على مفرد ، أو مثني، أو جمع ، وأمّا ضمائر الغياب فمعيار التفصيل فيها لا يتجاوز الجنس والعدد ، فضمائر الحضور أكثر تفصيلاً من ضمائر الغياب ، وهذا يرتبط بأولوية الشخوص المشاركة في عملية التلفظ^(١).

وقد كان للضمائر في أدعية الإمام عليه السلام الأثر الأهم في تماسك النصّ بالإحالات المتنوعة لها، سواء أكانت إحالات في داخل النصّ قبلية وبعدية أم خارجية مقامية ، مع توظيف نوع الضمير بما يناسب سياق الدعاء وموضوعه ، الذي قسمه بعض اللغويين على ثلاثة أضرب: ((فضرب منها توحيده والثناء عليه ، كقولك: يا الله لا إله إلا أنت ، وكقولك: ربنا لك الحمد ، إذا قلته فقد دعوته بقولك ربنا ، ثم أتيت بالثناء والتوحيد ... والضرب الثاني مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منه، كقولك: اللهم اغفر لنا. والضرب الثالث مسأله الحظ من الدنيا ، كقولك: اللهم ارزقني مالا وولدا))^(٢)، وهذه الأضرب بمثابة أبنية كبرى للنصّ في مفهوم علم اللغة النصّي ، التي هي أبنية دلالية ((تصور الترابط الكلي ، ومعنى النصّ الذي تستقر على مستوى أعلى من مستوى القضايا الفردية ، وبذلك يمكن أن يشكل تتابع كلي أو جزئي لعدد كبير من القضايا وحدة دلالية على مستوى أكثر عمومية))^(٣)، فالضرب الأول محض دعاء وثناء لله تعالى، وأمّا الضرب الثاني والثالث ففيه طلب شيء ، وقضاء حاجة، وهذا يجب أن يلحظ ؛ لأنّه يؤثر في بنية الخطاب ودلالته ، ومنها الإحالة الضميرية من حيث تتاسبها ومحتوى هذه الأبنية الكبرى ، فتكون بدلالة الحضور أو بدلالة الغيبة .

ولمّا كان الدعاء هو: ((طلب الأدنى للفعل من الأعلى على جهة الخضوع والاستكانة))^(٤)، فإنّ العناصر الإشارية الرئيسة في الدعاء يتقاسمها طرفا الدّاعي والمدعو وإليهما ترجع أغلب الإحالات، فهما يمثلان معاً (نواة النصّ) أو (أساس النصّ)، الذي يمثل في التحليل النصّي ((المحور الذي

(١) ينظر: نسيج النصّ ، ص ١١٧ .

(٢) تهذيب اللغة ، ١١٩/٣ ، مادة (دعا) .

(٣) علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات ، ص ٧٥ .

(٤) عدّة الدّاعي ، ص ١٢ .

يرتبط به ما في النص كله من عناصر عن طريق شبكة من وسائل التماسك النصي في الشكل والدلالة، ومن بينها المرجعية التي تتحقق عن طريق الضمائر ^(١)، ففي قوله ﷺ من دعاء كميل: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، وَبِقُوَّتِكَ الَّتِي قَهَرَتْ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ ، وَخَضَعَ لَهَا كُلَّ شَيْءٍ ، وَذَلَّ لَهَا كُلَّ شَيْءٍ ، وَبِجَبْرُوتِكَ الَّتِي غَلَبَتْ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ ، وَبِعِزَّتِكَ الَّتِي لَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ ، وَبِعَظَمَتِكَ الَّتِي مَلَأَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، وَبِسُلْطَانِكَ الَّذِي عَلَا كُلَّ شَيْءٍ ، وَبِوَجْهِكَ الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبِأَسْمَائِكَ الَّتِي غَلَبَتْ أَرْكَانَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبِعِلْمِكَ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَضَاءَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ)) ^(٢)، يبدأ الدعاء بقوله (اللَّهُمَّ)؛ ليكون ذلك مفتاحاً لتوجيه الطلب إليه ، وتمهيداً لفتح باب المناجاة معه ^(٣)، وهذه الصيغة في كلام العرب من مختصات نداء الله تعالى في الدعاء ^(٤)، ولا تستعمل إلا في الطلب ، ويكون الطلب بعدها إما مباشراً وإما غير مباشر. وقيل في دلالة الميم التي لحقت آخر الاسم أنَّ السائل إذا قال: ((اللهم إني أسألك، كأنه قال أدعو الله الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى بأسمائه وصفاته . فأتى بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم ، إيذاناً بسؤاله تعالى بأسمائه كلها)) ^(٥). وقد مثل لفظ الجلالة (الله) العنصر الإشاري الأول ، وقوله (إِنِّي أَسْأَلُكَ)، الذي مثل فيه ضمير المتكلم بإحالته الخارجية على شخص الداعي: العنصر الإشاري الثاني ، فشكلاً معاً نواة النص أو أساسه الذي ترجع إليه الضمائر في هذا المقطع بالأصالة أو التبع . ولما كان ابتداء الدعاء من الداعي بإظهار ضمير المتكلم الذي يدل على الرفعة والعلو والإنيئة للنفس ، وهي من اعظم الخطايا عند أصحاب الحقيقة وأرباب العيان ^(٦)، وهذا مخالف لآداب الدعاء ، جاءت جملة الخبر (أسألك)؛ لينتقي بها هذا الشعور بإسناد فعل السؤال إلى الضمير المستتر، الذي يحيل بالإحالة النصية السابقة على ذات الداعي فأعطاه صفة الفقر والاحتياج إلى المسؤول ، حين التصق سؤاله بكاف الخطاب التي تحيل

(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ١٦٦/١ .

(٢) مصباح المتهجد ، ص ٥٨٤ .

(٣) أضواء على دعاء كميل ، ص ١٠٤ .

(٤) ينظر: تفسير الكشاف ، ٣٤٤/١ . وتفسير التحرير والتنوير ، ٢١٢/٣ .

(٥) التفسير القيم ، ص ٢١٠ .

(٦) شرح دعاء كميل ، ص ٣١ .

بالإحالة النصّية السابقة ذات المدى القريب على لفظ الجلالة . فالدّعاء بوصفه خطاباً مع الله ، ينتفي معه قول: ((أنا))، وعلى الدّاعي أن يراعي في حضوره أن يكون حضور ﴿ فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ ﴾^(١)، بخلع ما علق به من رين مادي أو معنوي أو كليهما - وهو شرط في المكاشفة - وأبرز ذلك قوله: (أنا)، إذ ((ينبغي للدّاعي أن يشير بـ "إني" و "أنا" وأمثالهما إلى نفسه بما هو عبده مضاف إليه وموجود به لا بما هو نفسه ؛ لأنّه باطل من هذه الجهة ، وإثبات الإتيّة من أعظم الخطايا ، كما قيل:

إذا قلتُ ما أذنبْتُ قالتُ: مُجِيبَةٌ وجودك ذنبٌ لا يُقاسُ بهِ ذنبُ^(٢)))^(٣) .

وهذا هو كمال الانقطاع الذي فيه ينقطع الدّاعي عن (أنا) حتى (لا يقوم لها شيء) في حضرة الحق .

وبعد أن بدأ الدعاء بالاسم الجامع (الله) عطف عليه السؤال بصفات الله المشيرة إلى أسمائه الحسنی استجابةً لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾^(٤)، فكان التفصيل بأسمائه بعد الإجمال بذاته ، وقد اتسع مدى الإحالة شيئاً فشيئاً إلى قوله: (وَبُنُورٍ وَجْهَكَ الَّذِي أَضَاءَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ) وعندها تصبح من الإحالة النصّية السابقة ذات المدى البعيد ، إذ تمّ الفصل بين المرجع المشار إليه وهو لفظ الجلالة الموجود في أول النصّ ، والإحالة بمجموعة من الجمل ، بل إن الفصل تمّ بفقرات كاملة .

وقد تحقق السبك في هذه الفقرات بالإحالات المتنوعة من إحالة قريبة المدى في الفقرة نفسها، إلى إحالة بعيدة المدى تعود فتربط الفقرة بنواة النصّ، فعلى سبيل المثال في قوله (وَبِعِلْمِكَ الَّذِي أَحَاطَ

(١) سورة طه / من الآية: ١٢ .

(٢) هي أبيات سمعها الجنيد الصوفي مغناة على لسان جارية، قال: ((مررت بدرب القراطيس فسمعت جارية تغني من دار فأنصتُ لها فسمعتها تقول: إذا قلت أهدى الهجر لي حلل البلى تقولين لولا الهجر لم يطب الحب وإن قلت هذا القلب أحرقه الهوى تقولني بنيران الهوى شرف القلب

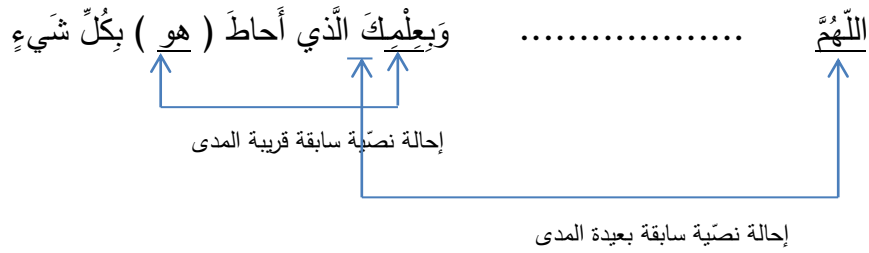
وإن قلت ما أذنبت قلت مجيبة حياتك ذنب لا يقاس به ذنب)) وفيات

الأعيان وأنبياء أبناء الزمان ٣٧٤/١ . وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ٤١٨/٣ .

(٣) أسرار العارفين في شرح كلام مولانا أمير المؤمنين ، شرح دعاء كميل ، ص ٥٣ .

(٤) سورة الأعراف / الآية: ١٨٠ .

بِكُلِّ شَيْءٍ) يحيل الضمير المستتر في الفعل (أحاطَ) بالإحالة النصّية السابقة القريبة المدى على (بِعِلْمِكَ) ، ثمّ يحيل الضمير في (بِعِلْمِكَ) بالإحالة النصّية السابقة ذات المدى البعيد على ذات الباري ﷻ ، فترتبط هذه الفقرة عن طريق كاف الخطاب بنواة النصّ (اللَّهُمَّ) ، وبذلك حافظ النصّ وبشبكة الإحالات المنتظمة في فقراته على استمراريته النصّية ، فكانت من العوامل المسهمة في تماسكه ، وكما هو موضح بالرسم الآتي:



وبتتبع الضمائر من حيث دلالتها على الحضور أو الغياب يلحظ أنّ الضمائر التي تحيل إلى عناصر الخطاب الإشارية (الدّاعي والمدعو) وردت بدلالة الحضور ، ولعلّ هذا الأسلوب مما يقتضيه موضوع الخطاب أو بنيته الكبرى ، فهذا المقطع من الدعاء يؤسس للمقاطع التي تليه ، التي تبدأ من قوله: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَهْتِكُ الْعِصَمَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ النَّقَمَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النَّعَمَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَحْبِسُ الدُّعَاءَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ الْبَلَاءَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ ، وَكُلَّ خَطِيئَةٍ أَخْطَأْتُهَا ...))^(١)، فالدعاء من الضرب الثاني الذي هو (مسألة الله العفو والرحمة) ، ويبدو في هذا الضرب أنّه عندما يكون متعلق الدعاء حاضراً (فعلاً لا قوة) ، أو محدداً بعينه في مقام الخطاب ، فإنّ الإنسان يلتفت في هذه الحال، فيكون الطلب مباشراً ، والإحالة الضميرية على لفظ الجلالة بدلالة الحضور^(٢) .

ومثل هذا الكلام يجري على دعائه: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَبَيَّنَ مِنْهُ إِلَيْكَ ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا وَعَدْتُكَ مِنْ نَفْسِي ثُمَّ أَخْلَفْتُكَ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلنِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ فَتَقَوَّيْتُ بِهَا عَلَى

(١) مصباح المتهجد ، ص ٥٨٤ .

(٢) الحضور والغياب هنا من جهة الإنسان لا من جهة الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

مَعصِيَتِكَ))^(١)، وفيه تكون الإحالة للعناصر الإشارية للداعي والمدعو بضمائر الحضور أيضاً، فالضمائر الموجودة في (أَسْتَغْفِرُكَ - إِلَيْكَ - أَسْتَغْفِرُكَ - وَعَدْتُكَ - أَخْلَقْتُكَ - أَسْتَغْفِرُكَ - أَنْعَمْتُ - مَعصِيَتِكَ) تحيل على ذات الباري ﷻ ، وهي: (كاف الخطاب وتاء الخطاب) ، والضمائر الموجودة في (إِنِّي - الضمير المستتر في أَسْتَغْفِرُكَ - ثُبْتُ - عُدْتُ - الضمير المستتر في أَسْتَغْفِرُكَ - وَعَدْتُ - نَفْسِي - أَخْلَفْتُ - الضمير المستتر في أَسْتَغْفِرُكَ - عَلَيَّ - تَقَوَّيْتُ) تحيل إلى شخص الداعي، وهي الضمير في (إِنِّي)، الذي يحيل بالإحالة الخارجية المقامية ، وهذا ما يحدده سياق الدعاء ، وأمّا الضمائر الأخرى وهي: (الضمير المستتر "أنا" ، وتاء الفاعل ، والياء في "نَفْسِي" و" عَلَيَّ") ، فتحيل بالإحالة النصّية السابقة على الضمير في (إِنِّي) ، فضلاً عن إحالة الهاء في (منه) و (فيه) إلى الاسم الموصول (ما) ، وفي (بها)، التي تكررت مرتين إلى (النعم) ، وقد كانت بضمائر الغيبة بوصفها من العناصر الإشارية الثانوية في الخطاب ، وقد كان بعض الإحالات قريب المدى ، وبعضها الآخر بعيد المدى ، وهي في مجملها مما حفظ على تماسك النصّ واستمراره بإحالاتها إلى أساس النصّ أو نواته .

وفي أدعية الضرب الثالث (مسألته الحظّ من الدنيا) يلحظ أيضاً شيوع الإحالة بضمائر الحضور في لغة الخطاب بين العناصر الإشارية المكونة لأساس النصّ إذا كان الطلب صريحاً ، كما في دعائه: ((اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ ، وَلَا (تَبْذُلْ) جَاهِي بِالْإِفْتَارِ ، فَاسْتَرْزُقْ طَالِبِي رِزْقَكَ ، وَأَسْتَغْفِرْ شِرَارَ خَلْقِكَ ، وَأُبْتَغِي بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي ، وَأُفْتِنَنَّ بِذِمِّ مَنْ مَنَعَنِي ، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))^(٢)، وقد تنوعت الإحالة بين الضمائر البارزة والمستترة، والبارزة كانت بين المتصلة والمنفصلة ، فمن المتصلة الكاف في (رِزْقَكَ - خَلْقَكَ - إِنَّكَ) ، وهي من ضمائر الملكية التي بإضافتها وإحالاتها السابقة أرجعت صفات الرزق والخلق والقدرة لله ﷻ، ومن المنفصلة (أَنْتَ)، التي أكدت ألا فاعل حقيقي في الوجود إلا الله . وقد تبيّنت هذه المعاني من الإحالة السابقة للضمائر ، وكذلك الياء في (جَاهِي - أَعْطَانِي - مَنَعَنِي)، التي بإحالاتها المقامية إلى

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ٣٤٨/٢٠ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٣٤٧-٣٤٨ .

شخص الدّاعي ألبسته ثوب الفقر والاحتياج . وأمّا الضمائر المستترة فكانت في (صُنْ) وفي (لَا تَبْذُلْ)، وقد أثبتت الصفات الفعلية من الإعطاء والمنع لله ﷻ بإحالتها السابقة له ، والضمير المستتر (أنا) في (أَسْتَرْزِقُ - أَسْتَعِطِفَ - أُبْتَلَى - أُفْتَنَنَّ) ، وهي تعود بالإحالة المقامية إلى شخص الدّاعي، وقد أظهرت استعاضته بالله من الأفعال التي أسندت إليها . فكان لهذه الضمائر مع ما لها من أثر شكلي في استمرار ظاهر النصّ بمرجعيتها ، بعداً دلالي أسهم في تماسك النصّ المعنوي .

وقد ترد الإحالة بضمائر الغيبة ، ويكون الدعاء بغير صيغة فعل الأمر ، ومع ذلك يدل على الطلب ، ولكّنه طلب غير صريح ، وهذا يخضع لقيود تداولية بحسب نظرية أفعال الكلام والاستلزام الحواري ، فقد يختلف ما يقال عما يقصد ، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية ، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتماداً على أنّ السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال ، ولذلك ينبغي التفريق بين ما يحمله القول من معنى صريح ، وما يحمله من معنى متضمن^(١) . فإذا روعي ارتباط الأقوال بمقامات إنجازها فإنّ معنى الكثير منها لا ينحصر في ما تدل عليه صيغها الصورية ، وقد يصبح التأويل الدلالي لها متعزراً إذا تمّ الاختصار فيه فقط على المعطيات الظاهرة ، الأمر الذي يتطلب تأويلاً دلالياً آخر ، يتمّ فيه الانتقال من المعنى الصريح إلى معنى غير مصرح به^(٢) .

فقوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾^(٣) يساوي من حيث المفهوم قوله: ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا ﴾^(٤) ، فكلاهما يدلّ على الطلب ، الأول بالدلالة اللزومية ، فيكون الطلب غير صريح ، والثاني بالطلب المباشر الصريح ، فعلى الرغم من أنّ آية آل عمران جاءت بصيغة النداء لكن يفهم منها الأمر الذي يخرج للدعاء ، فالنداء من الصيغ التي تولد

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص ٣٤ .

(٢) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، ص ١٨ . والاستلزام التخاطبي بين البلاغة العربية والتداوليات الحديثة (بحث) ، ص ٢٩٢ .

(٣) سورة آل عمران / الآية: ٢٦ .

(٤) سورة ص / الآية: ٣٥ .

بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام ، فإن استعمل على سبيل التضرع ولّد الدعاء^(١). وهذا ما يُستظهر من معرفة أسباب النزول ، وما قيل في تفسير هذه الآية^(٢)، فضلاً على سياق الآية اللغوي ، فقد جاء الكلام في سياق قوله: (اللَّهُمَّ) التي تستعمل للطلب ، وكذلك دلالة الإحالة على لفظ الجلالة (الله) بضمائر الحضور، التي إن جاءت في سياقات من هذا النوع يستظهر منها الطلب غير الصريح . وقد صنف الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) بعض الخطابات على أنّها أوامر غير صريحة ، ومنها: ((ما جاء مجيء الأخبار ... والثاني ما جاء مجيء مدحه أو مدح فاعله في الأوامر ، أو ذمه أو ذم فاعله في النواهي، وترتيب الثواب على الفعل في الأوامر وترتيب العقاب في النواهي ، أو الإخبار بمحبة الله في الأوامر، والبغض والكراهية أو عدم الحب في النواهي))^(٣).

ومثل هذا الكلام يقال في دعائه: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَرَّفَنِي نَفْسَهُ وَلَمْ يُتْرَكْنِي عُمَيَّانَ الْقَلْبِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنِي مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ رِزْقِي فِي يَدِهِ وَلَمْ يَجْعَلْهُ فِي أَيْدِي النَّاسِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَتَرَ عَوْرَتِي وَلَمْ يَفْضَحْنِي بَيْنَ النَّاسِ))^(٤)، وعلى الرغم من أنّ الدعاء ورد بالجملة الخبرية ، وهو ظاهراً يصنف في ضمن أدعية الضرب الأول ، ولكنه يتحول إلى الضرب الثالث بتحول الجملة الخبرية إلى الإنشاء بالدلالة اللزومية ، وقد تحول إلى طلب بقرينة السياق المقامي المذكور في مناسبة قول الدعاء ، فهو من أدعية طلب الرزق ، ولكنه طلب غير صريح بقرينة السياق اللغوي لوروده بالجملة الخبرية ، وبإحالة الضمائر على لفظ الجلالة (الله) بضمائر الغيبة ، فالضمائر المستترة في (عَرَّفَنِي - يَنْتُرِكْنِي - جَعَلَنِي - جَعَلَ - يَجْعَلُهُ - سَتَرَ - لَمْ يَفْضَحْنِي) والمتصلة في (نَفْسُهُ - يَدِهِ) أحالت بالإحالة النصيّة السابقة ، وكانت إحالتها بضمائر الغيبة .

(١) ينظر: مفتاح العلوم ، ص ٤٢٨ .

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعراجه ، ٣٣١/١ . ومجمع البيان ، ٢٠٨/٢ .

(٣) الموافقات في أصول الشريعة ، ١٥٥/٣ .

(٤) مصباح الكفعمي ، ١٩٣/١ .

ويغلب هذا الأسلوب في الإحالة على أدعية الضرب الأول في سياق الحديث عن صفات الله الذاتية أو الفعلية مما لا يمكن وصفه بالإشارة الصريحة ، فيكون محض دعاء ، يخلو من الطلب المباشر الذي يقتضي حضور المخاطب في مقام الخطاب ، كما في هذا المقطع من دعاء الصباح: ((اللَّهُمَّ يَا مَنْ دَلَعَ لِسَانَ الصَّبَاحِ بِنُطْقِ تَبْلُجِهِ ، وَسَرَّحَ قِطْعَ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ بِغِيَاهِبِ تَلْجُلُجِهِ ، وَأَتَّقَنَ صُنْعَ الْفَلَكَ الدَّوَّارِ فِي مَقَادِيرِ تَبَرُّجِهِ ، وَشَغَشَعَ ضِيَاءَ الشَّمْسِ بِنُورِ تَأَجُّجِهِ ، يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ ، وَتَنَزَّاهُ عَنْ مُجَانَسَةِ مَخْلُوقَاتِهِ ، وَجَلَّ عَنْ مُلَائِمَةِ كَيْفِيَّاتِهِ ، يَا مَنْ قَرَّبَ مِنْ خَطَرَاتِ الظُّنُونِ ، وَبَعَدَ عَنْ لَحَظَاتِ الْعُيُونِ ، وَعَلِمَ بِمَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ))^(١). فإذا كانت لغة التصريح عاجزة عن احتواء المعنى لضيق الوعاء ، فإن وعاء (اللغة العليا) يتسع لتقريب المفهوم لا لبيان المصداق ، فكان منه المجاز في (دَلَعَ لِسَانَ الصَّبَاحِ - سَرَّحَ قِطْعَ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ - أَتَّقَنَ صُنْعَ الْفَلَكَ الدَّوَّارِ ...) ، وهذا تلميح لا يمكن الإشارة له بـ (أنت) . فعندما يكون في الدعاء ما لا ينسجم معه الخطاب بلغة الحضور، لتنتزه معانيه عن الإدراك الحسي ، فهي مجردة لا يحاط بها ، يكون من المناسب ومن مطابقة الكلام لمقتضى الحال الخطاب بـ (هو) ، ومن أمثلة ذلك دعاؤه: ((يَا هُوَ يَا مَنْ هُوَ ، يَا مَنْ لَا يَعْلَمُ مَا هُوَ إِلَّا هُوَ ، وَلَا كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ ، وَلَا أَيْنَ هُوَ إِلَّا هُوَ ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَالْإِفْضَالِ وَالْإِنْعَامِ ، يَا ذَا الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ ، يَا ذَا الْعِزِّ وَالْكَبرِيَاءِ ، وَالْعِظَمَةِ وَالْجَبَرُوتِ ، يَا حَيُّ لَا يَمُوتُ ، يَا مَنْ عَلَا فَقَهَرَ ، يَا مَنْ مَلَكَ فَقَدَرَ ، يَا مَنْ عَبَدَ فَشَكَرَ ، يَا مَنْ عُصِيَ فَسْتَرَّ ، يَا مَنْ بَطَنَ فَخَبَرَ ، يَا مَنْ لَا تُحِيطُ بِهِ الْفِكْرُ ...))^(٢) .

وتوصف الأساليب غير المباشرة بأنها أكثر تأدباً من الأساليب المباشرة ، تبعاً لـ (قاعدة التعفف) المتفرعة عن مبدأ التأدب التداولي ، التي توجب على المتكلم ((ألا يستعمل من العبارات إلا ما يُمكنه من حفظ مسافة بينه وبين المخاطب ... محتزراً من استعمال عبارات الطلب المباشرة ، ولا

(١) بحار الأنوار ، ٢٤٣/٩٤ .

(٢) البلد الأمين والدرع الحصين ، ص ٤٩٤ . والصحيفة العلوية ، ص ٤٧٢ .

يقتحم عليه شؤونه الخاصة إلا بالاستئذان قبل الكلام فيها والاعتذار بعده^(١)، ومن ثمَّ عليه أن يقرر في كلِّ موقف كلامي الاختيار الذي يجب عليه أن يتخذ بناءً على الوسائل الموجودة المشيرة إلى التأدب بمراعاة العلاقات والأعراف الاجتماعية والشرعية ، فإنَّ التأدب يعد أيضاً ظاهرة تداولية على صعيد التخاطب^(٢). وهذا يرجع إلى قصد المتكلم ؛ فهو الذي يحدد أسلوب الخطاب وبنيته النصّية ، فضلاً عن ظروف إنتاج الخطاب ، فيتغير تبعاً لها ، ومنها الضمائر بإحالتها على صعيد الحضور أو على صعيد الغيبة .

ب- الإحالة بأسماء الإشارة:

من وسائل السبك الإحالية أيضاً اسم الإشارة ، وهو عنصر فاعل يمكن استعماله مكثفاً بإحالتها إلى عدد كبير من الأحداث تجنباً للتكرار ورغبةً في الاختصار^(٣)، فهو يمتلك قيمة إحالية عالية وبارزة إذا ما قُورن بغيره من العناصر الإحالية ، إذ تتجاوز قدرته على تحقيق الترابط بين أجزاء الجمل، إلى الامتداد عليها على مستوى النصِّ كلّ في بعض السياقات ، التي لا تمثل فيها معاني الجملة إلا مكونات فرعية^(٤). وهو يقوم بالربط القبلي والبعدي كالضمائر، ومن ثمَّ يسهم في اتساق النصِّ وربط أجزائه^(٥)، وليس هذا القول بجديد ، فقد أشار النحويون القدماء إلى ما يؤديه اسم الإشارة من وظيفة الربط^(٦)، فقد عدَّ النحويون اسم الإشارة من وسائل ربط جملة الخبر بالمبتدأ^(٧). وهي كالضمائر لا تُفهم إلا إذا رُبطت بما تشير إليه^(٨)، وهذا الشبه بينهما من جملة ما ذكره ابن يعيش في مسوغ بناء اسم

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص ٢٤١ . وقد أشار الزركشي قبلهم إلى هذا الأسلوب إذ قال: ((فإنَّ التأدب في الغيبة دون الخطاب))، البرهان في علوم القرآن ، ٢٠٥/٣ .

(٢) ينظر: مدخل إلى البراجماتية اللغوية ، ص ٢٠٦-٢٠٧ . واستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، ص ٣٧١ .

(٣) ينظر: علم لغة النصِّ والأسلوب ، ص ٣٧ .

(٤) ينظر: ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي ، ص ٢٤١ .

(٥) ينظر: نحو النصِّ بين النظرية والتطبيق ، ص ٤٤ .

(٦) ينظر: ظاهرة الربط في التركيب والأسلوب العربي (بحث) ضمن كتاب مقالات في اللغة والأدب ، ١٩٨/١-١٩٩ .

(٧) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ١١١٦/٣ . وشرح ابن عقيل ، ١٩٠/١-١٩١ . وجمع الهوامع في شرح الجوامع ، ١٨/٢ .

(٨) ينظر: نسيج النصِّ ، ص ١١٨ .

الإشارة، إذ يقول: ((إِنَّمَا بَنِي اسْمِ الْإِشَارَةِ لَشَبْهِهِ بِالْمَضْمَرِ ، وذلك لِأَنَّكَ تَشِيرُ بِهِ إِلَى مَا بِحَضْرَتِكَ مَا دَامَ حَاضِرًا ، فَإِذَا غَابَ زَالَ عَنْهُ ذَلِكَ الْاسْمُ . والأسماء موضوعة للزوم مسمياتها ، ولَمَّا كَانَ هَذَا غَيْرَ لَازِمٍ لَهَا وَضْعُ لَهَا ، صَارَ بِمَنْزِلَةِ الْمَضْمَرِ الَّذِي يُسَمَّى بِهِ إِذَا تَقَدَّمَ ظَاهِرٌ ، وَلَمْ يَكُنْ اسْمًا لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَهُوَ اسْمٌ لِلْمُسَمَّى فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ ، فَلَمَّا وَجِبَ بِنَاءُ الْمَضْمَرِ ، وَجِبَ بِنَاءُ الْمُبْهَمِ كَذَلِكَ))^(١). وكان الرضي الاسترآبادي (ت ٦٨٨هـ) أكثر وضوحاً في بيان هذا الشبه ، عندما تحدث عن أَنَّ الْأَصْلَ فِي أَسْمَاءِ الْإِشَارَةِ أَنْ يَرَادَ بِهَا الْإِشَارَةُ الْحَسِيَّةُ قَرِيبَةً أَوْ بَعِيدَةً ((فَإِنْ أَشِيرَ بِهَا إِلَى مُحْسُوسٍ غَيْرِ مُشَاهِدٍ ، نَحْوُ : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ ﴾^(٢) ، فَلِتَصْيِيرِهِ كَالْمُشَاهِدِ ، وَكَذَلِكَ إِنْ أَشِيرَ بِهَا إِلَى مَا يَسْتَحِيلُ إِحْسَاسُهُ وَمُشَاهَدَتُهُ نَحْوُ : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ ﴾^(٣)))^(٤). ويسوّغ ذلك بقوله: ((اسْمُ الْإِشَارَةِ لَمَّا كَانَ مَوْضُوعًا لِلْمُشَارِ إِلَيْهِ إِشَارَةً حَسِيَّةً ، فَاسْتَعْمَالُهُ فِيمَا لَا تَدْرِكُهُ الْإِشَارَةُ كَالشَّخْصِ الْبَعِيدِ ، وَالْمَعَانِي : مُجَازٌ ، وَذَلِكَ بِجَعْلِ الْإِشَارَةِ الْعَقْلِيَّةِ كَالْحَسِيَّةِ مُجَازًا ، لَمَّا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُنَاسَبَةِ ، فَلَفِظَ اسْمُ الْإِشَارَةِ الْمَوْضُوعَ لِلْبَعِيدِ ، إِذِنْ ، أَعْنِي (ذَلِكَ) وَنَحْوَهُ ، كَضَمِيرِ الْغَائِبِ ، يَحْتَاجُ إِلَى مَذْكُورٍ قَبْلُ ، أَوْ مُحْسُوسٍ قَبْلُ ، حَتَّى يَشَارَ إِلَيْهِ بِهِ ، فَيَكُونُ كَضَمِيرٍ رَاجِعٍ إِلَى مَا قَبْلَهُ))^(٥). وكان قبل ذلك سيبويه (ت ١٨٠هـ) قد جمع بين اسم الإشارة والضمائر تحت تسمية المبهمات ، وهي: هذا ، وهذان ، وهذه ، وهاتان ، وهؤلاء ، وذلك وذانك ، وتلك وتنانك ، وتنيك ، وأولئك ، وهو وهي ، وهما ، وهم وهنّ ، وما أشبه هذه الأسماء^(٦) ، وقال السيرافي (ت ٣٦٨هـ) في شرحه كتاب سيبويه معلقاً: ((وَإِنَّمَا خَلَطَهَا بِالْمُبْهَمَةِ لِقُرْبِ الشَّيْءِ بَيْنَهُمَا ، وَلِأَنَّهُ بُنِيَ عَلَيْهَا مَسَائِلٌ فِي

(١) شرح المفصل ، ١٢٦/٣ .

(٢) سورة مريم / الآية: ٦٣ .

(٣) سورة يونس / الآية: ٣ .

(٤) شرح الرضي على الكافية ، ٤٧٢/٢ .

(٥) شرح الرضي على الكافية ، ٤٧٩/٢ .

(٦) ينظر: كتاب سيبويه ، ٧٧-٧٨ .

الباب ((^(١))، وقد أدرج الدكتور تَمَام حَسَّان أسماء الإشارة والأسماء الموصولة مع الضمائر في عنوان واحد ؛ لما بينهما من سمات مشتركة من حيث المبنى والمعنى^(٢) .

وتقوم الإشارة بوظيفة تحديد الاتجاه أو المكان الذي على المخاطب أن يبحث فيه عما تحيل عليه^(٣)، وهي توضح مدى القرب أو البعد عن المتكلم ، فثمة مستويان في استعمال أسماء الإشارة، هما: قريب ، وبعيد^(٤)، وذكر السيوطي (ت ٩١١هـ) أنَّ أكثر النحويين يذهبون إلى أن للإشارة ثلاث مراتب هي: ((قُربى ، ولها المجرد. ووسطى ، ولها ذو الكاف . وبعُدَى ولها ذو الكاف واللام))^(٥)، وقد يوجد من الأغراض البلاغية والمقاصد التخاطبية ما يرجح اختيار أحد أسماء الإشارة دون الآخر، فيختار ما يناسب المقام ، ومن هذه الأغراض: التمييز ، وتنزيل الأشياء المعقولة ، أو غير المشاهدة منزلة الأشياء المحسوسة المشاهدة ، وبيان حال المشار إليه في القرب والبعد ، والتعظيم ، والتحقير والاستخفاف ، والتعريض بالمخاطب ، إلى غير ذلك من الأغراض^(٦) .

وتتحقق الإحالة بأسماء الإشارة بتوافر أركانها ، وهي: ((

- مشير = المتكلم

- مشار له = المخاطب

- مشار إليه = الشيء في الخارج (وقد يبيّن مدلولاً عليه باسمه)

- مشار به = أداة الإشارة أي أسماؤها .

(١) شرح كتاب سيويوه ، ٤٠٥/٢ .

(٢) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ١١٠-١١١ .

(٣) ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، ص ٣٩٢ .

(٤) ينظر: شرح ابن عقيل ، ١٢٩/١ .

(٥) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، ٢٦١/١ .

(٦) ينظر معاني النحو ، ٨٢/١-٨٣ . وخصائص التراكيب ، ص ٢٠٠-٢١٠ .

فإذا (توفرت) هذه الأركان وتمّ الإجراء حصلت الإشارة))^(١) .

ومن الأمثلة على الإحالة بأسماء الإشارة قوله ﷺ في دعاء الصباح: ((إلهي هذه أزمّة نفسي عقلتُها بعقلٍ مشييتك))^(٢)، وقد توافرت أركان الإحالة من المشير وهو (شخص الداعي)، ومن المشار له وهو الله سبحانه وتعالى ، والمشار إليه وهو (أزمّة نفسي) ، والمقصود بها: ((الوسواس الشيطانية الداعية إلى مخالفة الحق ، والانحراف عن الشرع وارتكاب المحظور))^(٣)، وكانت الإحالة باسم الإشارة (هذه) ، وهي إحالة نصية بعدية ذات مدى قريب ، وهي من تنزيل الأشياء المعقولة ، أو غير المشاهدة منزلة الأشياء المحسوسة المشاهدة ، وقد صورت لنا هذه الفقرة من الدعاء حال الداعي، وهو يشير إلى أزمّة نفسه ، ويضع لكل رغبة من رغباتها عقلاً يشدّها إلى مشيئة الله، حتى تتقاد بأمره وتنتهي بنهيه ، فيكون بذلك قد فوض أمره إلى الله سبحانه وتعالى في كلّ صغيرة وكبيرة^(٤)، ((ويعلم ان هذه الأمور واقعة بمشيئته ، ومشيئته تابعة لحكمته ، فلا يخطر بباله اعتراض في ذلك))^(٥). وفي قوله: ((وهذه أعباء ذنوبي درأتها بعفوك ورحمتك ، وهذه أهوائي المضلّة وكلتها إلى جناب لطفك ورأفتك))^(٦)، يحيل اسم الإشارة (هذه) في (مقام الاعتراف) على أعباء الذنوب، وقد جعل الداعي ذنوبه مشفوعة بعفو الله ورحمته ، وهو يقرّ معترفاً ومشيراً بأنّ له هوى مضلاً لا يستطيع دفعه إلّا بلطف الله ورأفته بوصفها ((أبلغ من الرحمة))^(٧)، وهاتان الإشارتان أيضاً من تنزيل الأشياء المعقولة منزلة الأشياء المحسوسة ، وهي إحالة نصية بعدية ، وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في هذا السياق قوله: ((لا والله ما أراد الله تعالى من الناس إلّا خصلتين: أن يقرّوا له بالنعيم فيزيدهم،

(١) أصول تحليل الخطاب ، ١٠٦٣/٢ .

(٢) بحار الأنوار ، ٢٤٥/٩٤ .

(٣) شرح دعاء الصباح ، ص ١٥٨ .

(٤) ينظر: أضواء على دعاء الصباح ، ٢٦٣-٢٦٤ .

(٥) شرح منازل السائرين ، ص ٣٤٣ .

(٦) بحار الأنوار ، ٢٤٥/٩٤ .

(٧) الفروق اللغوية ، ص ١٩٦ .

وبالذُّنُوبِ فيَغْفِرُهَا لَهُمْ))^(١)، وبعد عرض الطلب يأتي المطلب ، فيقول: ((فَاجْعَلِ اللَّهُمَّ صَبَاحِي هَذَا نَازِلًا عَلَيَّ بِضِيَاءِ الْهُدَى وَبِالسَّلَامَةِ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا ، وَمَسَائِي جُنَّةً مِنْ كَيْدِ الْعِدَى وَوَقَايَةً مِنْ مُرْدِيَاتِ الْهَوَى))^(٢)، وهي إحالة نصية قبلية قريبة من جهتين ، من حيث المدى الفاصل بين العنصر الإحالي ومفسره ، ومن حيث دلالة اسم الإشارة (هذا)، إذ إنَّ ((لفظة هذا إشارة إلى الصباح الحاضر، فهي إما بدل منه (أو تأكيد له))^(٣)، وهو من باب الإلحاح في الدعاء ، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: ((وَاللَّهِ لَا يُلْحُجُّ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَاجَتِهِ إِلَّا قَضَاهَا لَهُ))^(٤) .

ومن الإحالات المكثفة لاسم الإشارة ما نجده في قوله عليه السلام من دعاء كميل: ((وَهَذَا مَا لَا تَقُومُ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ))^(٥)، فبعد أن بيّن ضعف حاله بقوله: ((وَأَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفِي عَنْ قَلِيلٍ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا وَعُقُوبَاتِهَا وَمَا يَجْرِي فِيهَا مِنَ الْمَكَارِهِ عَلَى أَهْلِهَا))^(٦)، قال: ((عَلَى أَنَّ ذَلِكَ بَلَاءٌ وَمَكْرُوهٌ قَلِيلٌ مَكْنُهُ، يَسِيرٌ بِقَاوُهُ، قَصِيرٌ مُدَّتُهُ))^(٧)، فأحال بالإحالة البعدية على (بلاء الدنيا وعقوباتها) باسم الإشارة (ذلك) ، فهو وإن كان قريباً من الإنسان إلّا أنّه أنزله منزلة البعيد ، فقد لا يقع البلاء ، وإن وقع فهو أدنى ، قال تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾^(٨)، وعلى الرغم من هذا فهو ضعيف عن احتمال هذا البلاء القليل اليسير، ثمّ يستفهم متعجباً من كيفية احتمال بلاء الآخرة الناشئ عن غضب الله وانتقامه وسخطه، في صورة بيانية مقارنة بين البلاءين، فيقول: ((فَكَيْفَ اِحْتِمَالِي لِبَلَاءِ الْآخِرَةِ وَحُلُولِ وَقُوعِ الْمَكَارِهِ فِيهَا وَهُوَ بَلَاءٌ تَطُولُ مُدَّتُهُ وَيَدُومُ مَقَامُهُ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْ أَهْلِهِ

(١) أصول الكافي ، ٤٠٤/٢ .

(٢) بحار الأنوار ، ٢٤٥/٩٤ .

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح في شرح دعاء الصباح ، ص ١٣٧ .

(٤) أصول الكافي ، ٤٤٦/٢ .

(٥) مصباح المتهجد ، ص ٥٨٦ .

(٦) السابق نفسه ، ص ٥٨٦ .

(٧) مصباح المتهجد ، ص ٥٨٦ .

(٨) سورة السجدة / الآية: ٢١ .

لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ غَضَبِكَ وَانتِقَامِكَ وَسَخَطِكَ ، وَهَذَا مَا لَا تَقُومُ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ))^(١)، وهنا يبرز الدور الإحالي لاسم الإشارة في بيان هول ذلك ، فمع أن بلاء الآخرة غير مشاهد وغير محسوس، أشار له بـ (هذا) وأنزله منزلة القريب ، فهو واقع لا محالة. قال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرِضُونَ ﴾^(٢)، وقال: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾^(٣) .

ومن الإحالات المكثفة أيضاً لاسم الإشارة _ وقد اختصرت فقرات كثيرة _ ما ورد عنه عليه السلام في أصول الكافي عند حفظ القرآن ، وهو: ((اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِتَرْكِ مَعَاصِيكَ أَبَدًا مَا أَبْقَيْتَنِي ، وَارْحَمْنِي مِنْ تَكَلُّفٍ مَا لَا يَغْنِينِي ، وَارْزُقْنِي حُسْنَ النَّظَرِ فِيمَا يُرْضِيكَ عَنِّي ، وَالزِّمْ قَلْبِي حِفْظَ كِتَابِكَ كَمَا عَلَّمْتَنِي، وَارْزُقْنِي أَنْ أَتْلُوهُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي يُرْضِيكَ عَنِّي . اللَّهُمَّ نَوِّرْ بِكِتَابِكَ بَصْرِي ، وَاشْرَحْ بِهِ صَدْرِي، وَأَطْلِقْ بِهِ لِسَانِي ، وَاسْتَعْمِلْ بِهِ بَدَنِي ، وَقَوِّنِي بِهِ عَلَى ذَلِكَ ، وَاعْنِي عَلَيْهِ ، إِنَّهُ لَا يُعِينُ إِلَّا أَنْتَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ))^(٤). فقد طلب رحمة الله بترك معاصيه أبداً ، وألا يكلفه ما لا يهيمه ، والتوفيق للنظر أو زيادة نور البصر بالنظر إليه ، وشرح صدره بكشف الحجب حتى يكون مؤهلاً للمناجاة الربانية، وتفريح قلبه ، وهو كناية عن توسيعه لقبول الحق والعلوم الربانية ، واتصافه بالفضائل النفسانية الباعثة لتحمل المشاق والتكليفات الجسمانية ، مع اطلاق لسانه بتلاوة القرآن الكريم وقراءته ، والعمل بما فيه من أحكام^(٥). وهذه الطلبات عظيمة لا يقوى عليها الإنسان من ذاته ، وهي بعيدة المنال إلا بتوفيق الله ولطفه ، ولبيان هذا أحال عليها باسم الإشارة (ذلك) ، فكانت أن أغنت عن تكرار هذه الأمور وأشارت إلى عظمتها وصعوبة القيام بها لولا فضل الله في منحه القوة والقدرة على تأديتها ، ومن أسباب ذلك القرآن الكريم .

(١) مصباح المتجهذ ، ص ٥٨٦ .

(٢) سورة الأنبياء / الآية: ١ .

(٣) سورة القمر / الآية: ١ .

(٤) أصول الكافي ، ٥٤٢/٢ .

(٥) ينظر: شرح أصول الكافي ، ٣٨٥/١٠-٣٨٦ .

وقد يتوقف فهم الإحالة الإشارية على السياق غير اللغوي عندما تكون الإحالة مقامية ، وهو ما يتطلب من المتلقي البحث خارج النصّ للتعرف على المحال عليه ، وبذلك يرتبط النصّ بسياقه التداولي، ومن أمثلة ذلك دعاؤه عليه السلام: ((اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ خَلَعُوا طَاعَتِي ، وَبَغَوْا عَلَيَّ ، وَنَكَثُوا بَيْعَتِي، اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ))^(١)، فإنّ مرجعية (هؤلاء) تتطلب البحث خارج النصّ ، وتتضح بالتعرف على السياق الذي قيل فيه الدعاء ، وكان المقصود به أهل البصرة ، فإنّه عليه السلام عندما قَدِمَ البصرة سار مع أصحابه حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية ، فصلّى اربع ركعات ، وعقر خديه على التراب ، وقد خالط ذلك دموعه ، ثم رفع يديه فدعا بهذا الدعاء^(٢) . وكذلك في دعائه عليه السلام: ((اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ سَمِئْتُ الْحَيَاةَ بَيْنَ ظَهْرَانِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ، وَتَبَرَّمْتُ الْأَمَلَ ، فَاتَّخِ لِي صَاحِبِي ، حَتَّى اسْتَرِيحَ مِنْهُمْ وَيَسْتَرِيحُوا مِنِّي ، وَلَنْ يُفْلِحُوا بَعْدِي))^(٣)، فإنّ المقصود بـ (هؤلاء القوم) أهل الكوفة عندما حرضهم على جهاد معاوية وأشياعه ، فقالوا: يا أمير المؤمنين أمهلنا يذهب عنا القُرُ^(٤) . ومن الأمثلة الأخرى على الإحالة المقامية لاسم الإشارة قوله عليه السلام في دعائه: ((اللَّهُمَّ رَبَّ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، أَسْأَلُكَ الظَّفَرَ عَلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَبَذُوا كِتَابَكَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَفَارَقُوا أُمَّةَ أَحْمَدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ غُتَّوْا عَلَيْكَ))^(٥)، فقد روى الحميري عن هارون بن مسلم ، عن مسعدة بن صدقة، عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام ، أنّه قال: إِنَّ عَلِيّاً عليه السلام كان يدعو على الخوارج وذكر الدعاء^(٦). وما يلحظ في هذه الأدعية أنّ الإحالة المقامية فيها كانت باسم الإشارة (هؤلاء) ، وهو يدل في

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٢٨٢/٢ .

(٢) ينظر: السابق نفسه ، ٢٨١/٢ . ومستدرک الوسائل ومستنبط المسائل ، ٤٤٩ /٣ . ونهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة ، ٢٩١/٦ .

(٣) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، ٢٧٧/١ .

(٤) ينظر: نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة ، ٥٥٤/٢ .

(٥) قرب الإسناد ، ص ١٢ .

(٦) ينظر: نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة ، ٣٣٧/٦ .

القرآن الكريم على العزوف عن ذكر المشار إليهم لعدم الرضا عنهم^(١)، وهو ما يناسب سياق الموقف الذي وردت فيه هذه الأدعية ، فإنّها تعدّ من جملة أدعية فيمن دعا عليهم الإمام عليه السلام .

وقد تكون الإحالة المقامية لاسم الإشارة ظرفية ، مثل دعائه عليه السلام : ((إلهي ارحمنا إذا جئناك غراء حفاة ، مغبرة من ترى الأجداث رؤوسنا ، وشاحبة من تراب الملاحيد وجوهنا ، وخاشعة من أفراع القيامة أبصارنا ، وذابلة من شدة العطش شفاهنا ، وجائعة لطول المقام بطوننا ، وبادية هنالك للعيون سوءاتنا))^(٢)، ودعائه: ((إلهي ما تتفجع أنفسنا من النقلة عن الديار إن لم توحشنا هنالك من مرافقة الأبرار))^(٣)، ودعائه: ((إلهي إن كان قد دنا أجلي ولم يقرّني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب إليك وسائل عملي ، فإن عفوت فمن أولى منك بذلك وإن عذبت فمن أعدل منك في الحكم هنالك))^(٤). والمقصود بـ (هنالك) الإحالة على موقف يوم القيامة ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرِسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾^(٥)، وفي تفسيرها يقول أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ): ((و(هنالك) ظرف مكان استعير للزمان . أي: وخسر في ذلك الوقت الكافرون))^(٦)؛ لأنّ الأصل في (هنالك) الإشارة إلى المكان البعيد ، وقد يُشار بها للزمان^(٧)، كقول الأفوه الأودي^(٨):

وَإِذَا الْأُمُورُ تَعَاظَمَتْ وَتَشَابَهَتْ فَهَنَّاكَ يَعْتَرِفُونَ أَيْنَ الْمَفْرَعُ

(١) ينظر: اجتهادات لغوية ، ص ٣٢٦ .

(٢) مصباح الكفعمي ، ٤٢٧/١ .

(٣) السابق نفسه ، ٤٢٨/١ .

(٤) السابق نفسه ، ٤٣٠/١ .

(٥) سورة غافر / الآية: ٧٨ .

(٦) تفسير البحر المحيط ، ٤٥٨/٧ .

(٧) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، ١ / ٢٦٨-٢٧٠ .

(٨) ديوان الأفوه الأودي ، ص ٩١ .

ونقل عن المفضل الضبي (ت ١٧٨هـ) أنَّ (هناك) تستعمل في المكان و(هنالك) في الزمان^(١)،
ويبدو أنَّ الإشارة إلى المكان لا تفارقها ، فقله: (وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ) إشارة إلى مكان القضاء لا
الزمان وحده^(٢). ويسهم السياق الثقافي في تأويل مثل هذا النوع من الإحالة ، فالمتلقي بما يمتلكه من
معلومات عن محيط النصّ الثقافي تساعده في تحديد جهة الإحالة ، ومقصد المتكلم بها .

ج- الإحالة بأدوات المقارنة:

وقد عدّها هاليداي، ورقية حسن من العناصر التي تسهم في اتساق النصّ ، وذكر أنَّ المبادئ
نفسها التي تعمل في أنواع الإحالة الأخرى تعمل فيها ، فهي لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة،
فتكون ذات إحالة نصية قبلية وبعدية ، كما تكون ذات إحالة مقامية^(٣). وتتقسم على:

(١) المقارنة العامة: وهي لا تأخذ في الاعتبار صفة معينة ، وتتفرع إلى:

أ) التطابق: ويتم باستعمال عناصر تعبر عن التطابق ، ومنها "نفسه" و "وعينه" .

ب) التشابه: وفيه تستعمل عناصر تعبر عن التشابه ، ومنها "شبيه" و "مشابه" .

ج) الاختلاف: ويكون باستعمال عناصر تعبر عن التخالف ، ومنها: "مختلف" و "مغاير" .

(٢) المقارنة الخاصة: وهي تعبر عن قابلية المقارنة بين شيئين في صفة معينة ، ويقوم اسم

التفضيل في العربية بهذه الوظيفة^(٤)، فضلاً على كلمات يمكن أن تؤدي المعنى نفسه . وتتفرع

إلى:

أ) كمية: وتتم بعناصر منها: (أكثر، وأقل ، ومتساو ...) .

ب) كيفية: وتكون بعناصر منها: (أجمل ، وأحسن ، وعلى حدّ سواء ...)^(٥) .

(١) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ٩٨٢/٢ .

(٢) ينظر: معاني النحو ، ٨٦/١ .

(٣) ينظر: أصول تحليل الخطاب ، ١٢٩/١ .

(٤) ينظر: شرح الرضي على الكافية ، ٤٤٧/٣ .

(٥) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ١٩ . وعلم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ١٢٤ .

وينبغي أن تضمّ علاقات النفي للأدوات السابقة إلى أدوات المقارنة ، فقولنا: "غير مشابه" يعقد علاقة مقارنة بين الطرفين مثلما يعقدها قولنا: "مشابه" ، فيتم بها أيضاً تحقيق التماسك النصّي بين أجزاء النصّ .

وتمتاز كلمات المقارنة بأنّها تعبيرات لا تستقل بنفسها ؛ ولذا أينما وردت اقتضى ذلك من المخاطب أن ينظر إلى غيرها بحثاً عما يحيل عليه المتكلم ، وهو ما يؤهلها لأن تكون وسيلة من وسائل التماسك^(١) . ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾^(٢) ، فقد جاءت كلمة "أكبر"؛ لتحيل على ما سبقها من كلام ؛ لأنّه لا يكون الشيء أكبر إلا بالمقارنة بشيء آخر ، ويتضح بالرجوع إلى ما سبق في الآية، فيتحقّق بذلك تعلق أجزاء النصّ بعضها ببعض^(٣) . ولم يغفل المتقدمون عن مثل هذا، فقد أدرج البلاغيون القدماء جزءاً كبيراً منها فيما عرف عندهم بـ (أدوات التشبيه) ، وهي الكاف ، وكأن ، ومثل ، ونحوها مما يفيد معنى المماثلة والمثابهة^(٤) ، كقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾^(٥) ، وقوله: ﴿ كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾^(٦) ، وقوله: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾^(٧) ، وإن ظل استعمالهم لها في اطار الشاهد والمثال ولا سيّما في باب التشبيه^(٨) .

وقد تنوعت الإحالة بأدوات المقارنة في أدعية الإمام علي عليه السلام ، ومن أمثلتها في علاقة التطابق دعاؤه: ((لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، هُوَ اللَّهُ الْجَبَّارُ فِي دَيْمُومِيَّتِهِ فَلَا شَيْءَ يُعَادِلُهُ ، وَلَا يَصِفُهُ وَلَا

(١) ينظر: الإحالة النصيّة وأثرها في تحقيق تماسك النصّ القرآني (بحث) ، ص ٩٢ .

(٢) سورة الأنعام / الآية: ٧٨ .

(٣) ينظر: الإحالة النصيّة وأثرها في تحقيق تماسك النصّ القرآني (بحث) ، ص ٩٥ .

(٤) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ، ٦٦/٤ - ٦٧ .

(٥) سورة الفيل / الآية: ٥ .

(٦) سورة الرحمن / الآية: ٥٨ .

(٧) سورة يونس / من الآية: ٢٤ .

(٨) ينظر: علم اللغة النصّي النظرية والتطبيق، الهامش ، ص ١٨٢-١٨٣ .

يُوازَنُهُ^(١)، لفظة "يعادل" و "يوازن" من الألفاظ التي يمكن عدّها من أدوات المقارنة ، وقد أحوّلت على الكلام السابق ، ومما يلحظ في ورود ألفاظ التطابق في أدعية الإمام عليه السلام أنّها جاءت بالنفي عندما تتعلق بلفظ الجلالة ، وهذا من مقتضيات التوحيد لنفي الشريك ، فكانت تُسبق بكلمة التوحيد ، وقد قال عليه السلام: ((مَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ تَنَاهَ))^(٢). وقد تكررت مثل هذه الصيغ في ادعيته عليه السلام، مثل دعائه: ((لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ ذُو الْأَنَاءِ فَلَا شَيْءَ يَغْدِلُهُ مِنْ خَلْقِهِ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمُحْمَدُ الْفِعَالُ ، ذُو الْمَنِّ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ بِلُطْفِهِ ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْمُنِيعُ الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ فَلَا شَيْءَ يَغْدِلُهُ))^(٣)، وقد تكون الإحالة بعدية مثل دعائه: ((يا أَحَدَ أَنْتَ اللَّهُ الْفَرْدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ تَلِدْ وَلَمْ تُوَلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ، فَكُنْ لِي اللَّهُمَّ جَارًا وَمُؤْنَسًا وَحِصْنًا مَنِيعًا ، يا وَثِرَ أَنْتَ وَثِرُ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يَغْدِلُكَ شَيْءٌ))^(٤)، ودعائه: ((اللَّهُمَّ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ الْفَرْدِ الْمُتَعَالِي الَّذِي مَلَأَ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْفَرْدِ الَّذِي لا يَغْدِلُهُ شَيْءٌ))^(٥)، وربما يقال إنّ هذه العلاقات هي من باب الاختلاف، فيكون الجواب أنّ الاختلاف لا ينفي احتمال أن تكون هناك جهة اشتراك بين المتخالفين ، وهو محال بحق البارئ ﷻ ؛ إذ لا نسخية بينه وبين الأشياء ، على حين عدم التطابق ينفي جميع هذه الاحتمالات ، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: ((إنّ الله تبارك وتعالى خَلُوَ مِنْ خَلْقِهِ ، وَخَلَقَهُ خَلُوَ مِنْهُ ، وَكُلَّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ مَخْلُوقٌ ، وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، تَبَارَكَ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ))^(٦). ولذلك نرى الإمام علي عليه السلام يؤكد مثل هذا المعنى في ادعيته ، كدعائه: ((لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْبَارُّ ، وَلَا شَيْءٌ كُفُوُهُ وَلَا يُدَانِي وَصْفُهُ))^(٧)، أي: ليس له عدل ولا نظير يماثلته^(٨).

(١) الدروع الواقية ، ص ١٩٦-١٩٧ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٣٩ .

(٣) الدروع الواقية ، ص ٢٣٥-٢٣٦ .

(٤) الإقبال بالأعمال الحسنة ، ٣٦٢/٢ .

(٥) الدروع الواقية ، ص ١٨٦ .

(٦) التوحيد ، ص ١٠٢ .

(٧) الدروع الواقية ، ص ٢٣٤ .

(٨) ينظر: مجمع البيان ، ٣٦٦/١٠ .

ومن علاقات المقارنة التي وردت لنفي المشابهة دعاؤه: ((هَيْهَاتَ مَا ذَلِكَ الظَّنُّ بِكَ ، وَلَا الْمَعْرُوفُ مِنْ فَضْلِكَ ، وَلَا مُشَبِّهٌ لِمَا عَامَلْتَ بِهِ الْمُوَحِّدِينَ مِنْ بَرِّكَ وَإِحْسَانِكَ))^(١)، وفيه تمتد المقارنة بين فقرات سابقة عديدة تبدأ من قوله: ((يَا إِلَهِي وَ سَيِّدِي وَ رَبِّي ، أَتْرَاكَ مُعَذِّبِي بِنَارِكَ بَعْدَ تَوْحِيدِكَ وَبَعْدَمَا انْطَوَى عَلَيْهِ قَلْبِي مِنْ مَعْرِفَتِكَ ...))^(٢)، وبين معاملة الله سبحانه وتعالى للموحدين من عباده ، فالداعي يفرض نفسه من الموحدين ((وكل موحد ينال من لطف الله وإحسانه ما ينجيهِ من نار جهنم، فإذا لا بدَّ من أن يكون مشمولاً لهذا الفيض ، أما أنه يبقى في العذاب ، فهذا لا يشبه ما تفضل به الله ، وعامل موحيه))^(٣)، ثم يؤكد هذه المقارنة بعد فقرات من الدعاء بـ (تناص قرآني): ﴿ أَقْمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾^(٤). وهذه المقارنة كما أن لها دلالة داخلية على مستوى النص - فلا يكون ((من هو مصدق بالله على الحقيقة ، عارف به وبأنبيائه ، عامل بما أوجبه الله عليه وندبه إليه مثل من هو فاسق خارج عن طاعة الله ، مرتكب لمعاصي الله))^(٥) - لها أيضاً مصداق للمقارنة في خارج النص يتضح بمعرفة سبب نزول الآية^(٦) .

ومن علاقات التشبيه ذات الإحالة المقامية دعاؤه: ((اللَّهُمَّ فَاجِرِ قُرَيْشٍ عَنِّي الْجَوَازِي ، فَقَدْ قَطَعْتَ رَحْمِي ، وَتَظَاهَرْتَ عَلَيَّ ، وَدَفَعْتَنِي عَنْ حَقِّي ، وَسَلَبْتَنِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي ، وَسَلَّمْتَ ذَلِكَ إِلَيَّ مِنْ لَيْسَ مِثْلِي فِي قَرَابَتِي مِنَ الرَّسُولِ ، وَسَابَقْتَنِي فِي الْإِسْلَامِ ، إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ ، وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ))^(٧)، فقلوه (مثلي) يحيل على خارج النص ، ولا يفهم إلا بالرجوع إلى السياق المقامي والتاريخي لتحديد طرف المماثلة الذي قرنته به قريش ، وكان يقصده الإمام عليه السلام بالإحالة عليه .

(١) مصباح المتجهد ، ص ٥٨٧ .

(٢) السابق نفسه ، ص ٥٨٥ .

(٣) أضواء على دعاء كميل ، ص ٣٧٧ .

(٤) سورة السجدة / الآية: ١٨ .

(٥) أسرار العارفين في شرح كلام مولانا أمير المؤمنين ، شرح دعاء كميل ، ص ٤٢٨ .

(٦) ينظر: تفسير الطبري ، ٦٢٥/١٨ . وأسباب نزول القرآن للواحدي ، ص ٣٦٧ .

(٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ١١٩/٢ .

وأما المقارنة الخاصة فمن أمثلتها دعاؤه: ((إلهي إِنْ كَانَ صَغُرَ فِي جَنْبِ طَاعَتِكَ عَمَلِي ، فَقَدْ كَبُرَ فِي جَنْبِ رَجَائِكَ أَمَلِي))^(١)، وهي إحالة بعدية ربطت الكلام السابق باللاحق ، وقد قارنت بين صغر عمل الإنسان في طاعة الله من جهة ، وكبر أمله في رجاء الله من جهة أخرى ، وهذه المقارنة تضع الإنسان بين الخوف والرجاء ، وقد ورد عن الإمام أبي جعفر عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لَا يَتَكَلَّمُ الْعَامِلُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا لِثَوَابِي ، فَإِنَّهُمْ لَوْ اجْتَهَدُوا وَاتَّبَعُوا أَنْفُسَهُمْ - أَعْمَارَهُمْ - فِي عِبَادَتِي كَانُوا مُقَصِّرِينَ غَيْرَ بِالْغَيْنِ فِي عِبَادَتِهِمْ كُنْهَ عِبَادَتِي فِيمَا يَطْلُبُونَ عِنْدِي مِنْ كَرَامَتِي ، وَالنَّعِيمِ فِي جَنَاتِي ، وَرَفِيعِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي جَوَارِي ، وَلَكِنْ بِرَحْمَتِي فَلْيَتَّقُوا ، وَفَضْلِي فَلْيَرْجُوا ، وَالِي حُسْنِ الظَّنِّ بِي فَلْيَطْمَئِنُّوا ، فَإِنَّ رَحْمَتِي عِنْدَ ذَلِكَ تُدْرِكُهُمْ ، وَمَنِّي يُبَلِّغُهُمْ رِضْوَانِي ، وَمَغْفِرَتِي تُلْبِسُهُمْ عَفْوِي ، فَإِنِّي أَنَا اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ وَبِذَلِكَ تَسْمِيَتْ))^(٢).

ومن الأمثلة الأخرى دعاؤه: ((إلهي عَظُمَ جُرْمِي إِذْ كُنْتُ الْمُبَارَزَ بِهِ ، وَكَبُرَ ذَنْبِي إِذْ كُنْتُ الْمُطَالِبَ بِهِ ، إِلَّا أَنِّي إِذَا ذَكَرْتُ كَبِيرَ جُرْمِي وَعَظِيمَ غُفْرَانِكَ ، وَجَدْتُ الْحَاصِلَ لِي مِنْ بَيْنَهُمَا عَفْوَ رِضْوَانِكَ))^(٣)، وعظم الجرم وكبر الذنب هنا لا يقاس بالمقارنة بشيء آخر ، وإنما كقول رسول الله ﷺ إلى أبي ذر: ((يَا أَبَا ذَرٍّ ، لَا تَنْظُرَ إِلَى صَغَرِ الْخَطِيئَةِ وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى مَنْ عَصَيْت))^(٤)، إِلَّا أَنَّ هَذَا الْجُرْمَ عَلَى عَظَمَتِهِ ، وَهَذَا الذَّنْبَ عَلَى كِبَرِهِ صَغِيرٌ وَحَقِيرٌ عِنْدَمَا يَقَارَنُ بِعَفْوِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَقَدْ قَالَ عليه السلام فِي دَعَائِهِ: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ وَأَنَاتِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عِلْمِي بِأَنَّ ذَنْبِي وَإِنْ كَبُرَ صَغِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِهِ ، وَجُرْمِي وَإِنْ عَظُمَ حَقِيرٌ عِنْدَ رَحْمَتِهِ))^(٥).

(١) الإقبال بالأعمال الحسنة ، ٢٩٧/٣ .

(٢) أصول الكافي ، ٧٧/٢ .

(٣) البلد الأمين والدرع الحصين ، ص ٤٣٥ .

(٤) الأمالي للطوسي ، ص ٧٧٧ .

(٥) البلد الأمين والدرع الحصين ، ص ١٥٩ .

وقد يقتزن اسم التفضيل بذكر الله ﷻ كدعائه: ((رَبَّنَا وَجْهَكَ أَكْرَمُ الْوُجُوهِ وَجَاهُكَ خَيْرُ الْجَاهِ وَعَظِيمَتِكَ أَنْفَعُ الْعَظِيمَاتِ وَأَهْنُوهَا))^(١)، ودعائه: ((وَاللَّهُ أَكْبَرُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ مَالِكُهُ ، وَمُبِيدُ كُلِّ شَيْءٍ وَ مُهْلِكُهُ))^(٢)، ومع أنَّ ألفاظ المقارنة قد أسهمت في تحقيق الاستمرارية اللفظية والمعنوية للنص ، ولكن لا يعني هذا المقارنة بين الله ﷻ والأشياء ، ولا ذلك هو المقصود منها ؛ لأنَّ النسبة بين شيئين إنما تجوز إذا كان كلا الشيئين في رتبة واحدة ويوجد ما هو مشترك بينهما ، وهذا محال مع الله سبحانه وتعالى من حيث المصادق ، فلا نسبة بين المحدود واللامحدود ، وقد قال الإمام زين العابدين عليه السلام للمؤذن حينما كبر: ((كبرت كبيراً لا يقاس ، ولا يدرك بالحواس ، لا شيء أكبر من الله))^(٣)، فالله أكبر ليس بالمقارنة بما هو أصغر منه، لأنَّ في هذا ((دلالة على أنَّ في المفضل مثل ما في المفضل عليه من الكبر والعظمة مع زيادة ، وإن كانت تلك الزيادة هنا غير متناهية ، ولا شبهة في أنَّ عظمة المفضل عليه محدودة متناهية ، فإذا اعتبرت في المفضل فقد حددته بأنَّ له هذا المقدار من العظمة مع زيادة ، وهذا نحو من تحديده وتوصيف عظمته والإحاطة بها))^(٤)، وهذا يعني أنَّ أي شيء مهما كان كبيراً وعظيماً فإنَّه يخضع إلى القياس والتقدير والتحديد ، ولا يتصور ذلك بحق من لا يمكن الإحاطة بكنه معرفته ، أو الوقوف على ساحل بحره ، فيكون من هذه الجهة وبهذا اللحاظ الله أكبر من جميع الأشياء عند المقارنة .

د- الإحالة بالأسماء الموصولة:

وهي أيضاً من الألفاظ الإحالية التي لا تملك دلالة مستقلة ، فتحتاج إلى عنصر ، أو عناصر أخرى مذكورة في النص^(٥)، وتشارك مع الضمائر وأسماء الإشارة في أنَّها من المبهمات ، فالموصول لا

(١) دعائم الإسلام ، ١٦٩/١ .

(٢) البلد الأمين والدرع الحصين ، ص ١٤٦ .

(٣) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ، ٧٨/٢ .

(٤) شرح أصول الكافي ، ٣٠/٤ .

(٥) ينظر: الإحالة في نحو النص ، ص ٢٧ .

يتمّ معناه بنفسه ، ولا يصير اسماً تاماً حتى تصله بكلام بعده تام^(١)، فالموصول في الأصل ((اسم مفعول من وصل الشيء بغيره ، إذا جعله من تمامه))^(٢) .

وتؤدي الموصولات وظيفة الربط بين أجزاء الجملة ، أو السياق القائم على أكثر من جملة^(٣)، وهو ما يجعلها من الوسائل الإحالية التي تسهم بفعالية في سبك النصّ بربط ما قبلها بما بعدها ، أو بربط النصّ بسياقه المقامي . الأمر الذي تجلّى في أغلب أدعية الإمام علي عليه السلام ، فمن الإحالات النصيّة السابقة للاسم الموصول دعاؤه: ((فَاسْأَلْكَ بِاسْمِكَ الْمَخْزُونِ الْمَكْنُونِ، الطُّهْرَ الطَّاهِرِ الْمُطَهَّرِ، الَّذِي جَعَلْتَهُ فِي ذَلِكَ فَاسْتَقَرَّ فِي عِلْمِكَ وَغَيْبِكَ ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْهُمَا أَبَداً))^(٤)، فقد أحال الاسم الموصول على (اسْمِكَ) الذي يرتبط بلفظ الجلالة السابق ذكره في جملة نواة النصّ (اللَّهُمَّ) بإحالة الضمير المتصل على الإحالة السابقة بعيدة المدى ، فربط الاسم الموصول بإحالاته بين الصفات المذكورة قبله للاسم بالصفات المذكورة له بعده ، فالمخزون المكنون هو الذي استقر في علم الله وغيبه، وقد تكررت مثل هذه الإحالة في أدعية أخرى ، وفي صيغ متشابهة ، منها دعاؤه المسمى الدعاء السريع الإجابة^(٥)، ودعاؤه ليلة الجمعة^(٦)، ودعاؤه في طلب الفرج بعد الصلاة^(٧) .

ومن أمثلة الإحالة البعدية للاسم الموصول دعاؤه في الاستسقاء: ((يَا مُغِيثُنَا وَمُعِينُنَا عَلَى دِينِنَا وَدُنْيَانَا ، بِالَّذِي تَنْشُرُ عَلَيْنَا مِنَ الرِّزْقِ ، نَزَلَ بِنَا نَبَأَ عَظِيمٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى تَفْرِجِهِ غَيْرُ مُنْزِلِهِ، عَجَّلْ عَلَى الْعِبَادِ فَرَجَهُ ، فَقَدْ أَشْرَفَتِ الْأَبْدَانُ عَلَى الْهَلَاكِ ، فَإِذَا هَلَكَتِ الْأَبْدَانُ هَلَكَ الدِّينُ))^(٨)، وقد أحال الاسم الموصول على لفظة الرزق المذكورة بعده ، وهو من ذكر لفظ المسبّب وأريد منه السبب،

(١) شرح المفصل ، ١٥٠/٣ .

(٢) شرح التصريح على التوضيح ، ١٤٨/١ .

(٣) ينظر: ظاهرة الربط في التركيب والأسلوب العربي (بحث) ضمن كتاب مقالات في اللغة والأدب ، ٢٠٠/١ .

(٤) مصباح الزائر ، ص ٩٣ .

(٥) ينظر: أصول الكافي ، ٥٤٧/٢ .

(٦) ينظر: مصباح المتهجد ، ص ١٩٥ .

(٧) ينظر: مكارم الأخلاق ، ٤١٩ .

(٨) الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام ، ص ١٥٤ .

نحو قوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾^(١)، فالرزق هو ((المطر ، لآئته سببه))^(٢)، وقد ذكر المسبب حتى يخيّل للسامع انعدام الزمن بين نزول المطر والثمار التي تجنى من النبات ، وفي ذلك تعجيل القرآن الكريم لصورة النعيم^(٣)، وهذا من لطائف الإحالات ، ففي الإحالة البعدية يتشوق المتلقي لذكر المفسر ، وهو حال الداعي في الاستسقاء ، فإنّه متشوق لنزول المطر (ليحيل) إلى الرزق ، وبهذا تناسبت الإحالة مع الدلالة .

وكان للإحالة المقامية بالاسم الموصول أثرها في ربط النصّ بسياقه الخارجي ، مثل دعائه: ((وَمَا الَّذِي نَرَىٰ مِنْ خَلْقِكَ ، وَنَعَجِبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ ، وَإِنْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ ، وَحَالَتْ سُتُورُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ))^(٤)، وهي إحالة تتقل معها المتلقي من فضاء النصّ إلى فضاء الكون ؛ للنظر في الآيات الكونية الناشئة عن مخلوقات الله وقدرته، فمن ((أعمل فكره ليعلم كيف أقام سبحانه العرش، وكيف ذرأ الخلق ، وكيف علق السماوات بغير علاقة ولا عمد، وكيف مد الأرض على الماء، رجع طرفه حسيرا وعقله مبهورا))^(٥). قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾^(٦) .

(١) سورة غافر / الآية: ١٣ .

(٢) تفسير الكشاف ، ١٥١/٤ .

(٣) ينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن ، ص ١٤٣ .

(٤) نهج البلاغة ، ص ٢٢٥ .

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ٢٢٥/٩ .

(٦) سورة آل عمران / الآية: ١٩٠ .

المبحث الثاني: الاستبدال Substitution:

وهو وسيلة أخرى من وسائل السبك النصّي التي تعمل على ترابط أجزاء النصّ ، وفيه يتم تعويض عنصر بعنصر آخر في داخل النصّ ، إذ يذكر احدهما أولاً ثمّ يستبدل بآخر يحل مكانه في أحد أجزاء النصّ اللاحقة ، ومن ثمّ تكون الاستمرارية بوجود العنصر المستبدل بشكل ما في الجملة اللاحقة^(١)، إذ يستحيل فهم ما يعنيه العنصر البديل إلا بالعود إلى ما هو متعلق به قبله للمبحث عن الاسم أو الفعل أو القول الذي يملأ هذه الثغرة في النصّ ، وفي هذا العود يكمن ما يسمى لدى هاليداي، ورقية حسن معنى الاستبدال^(٢)، وهو بذلك لا يختلف عن الإحالة إلا في أنّ الاستبدال علاقة مجالها الصيغ اللغوية من قبيل المفردات والمركبات ، وهو يتم في المستوى المعجمي النحوي ، على حين أنّ الإحالة علاقة معنوية تتم في المستوى الدلالي^(٣)، فضلاً على أنّ الإحالة تكون قبلية وبعديّة، أو في خارج النصّ ، أما الاستبدال فيقع في داخل النصّ في علاقة قبلية بين عنصر سابق في النصّ وعنصر لاحق فيه^(٤) . مع ما للاستبدال من وظيفة جمالية تتمثل في الابتعاد عن التكرار على ما فيه من الرتابة والملل في بعض السياقات .

ويقترب الاستبدال عند علماء علم اللغة النصّي من البديل في النحو العربي ، فهو يحقق التماسك النصّي أيضاً ، غير أنّه يقع في الغالب على مستوى الجملة الواحدة^(٥) . ويقسم الاستبدال عند هاليداي، ورقية حسن على ثلاثة أنواع هي^(٦):

(١) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٢٠ . و نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص ١٢٣ .

(٢) ينظر: علم لغة النصّ والأسلوب ، ص ١١٠-١١١ .

(٣) ينظر: أصول تحليل الخطاب ، ١/ ١٣٢ .

(٤) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٢٠ .

(٥) ينظر: علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق ، ١/ ٢٦٨ .

(٦) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٢٠ .

أ- الاستبدال الاسمي:

ويتم بعناصر لغوية اسمية مثل: (آخر - آخرون - نفس)^(١)، نحو قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾^(٢)، فقد تم استبدال كلمة (أخرى) بكلمة (نفخة) السابقة عليها في النص ، وعلى الرغم من كونها صفة حذف موصوفها، إلا أنها قد أخذت مكانها في التركيب والحكم الإعرابي، وجاءت عوضاً عنها في البنية السطحية للنص ، وفي قوله تعالى: ﴿ فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى ﴾^(٣)، أي: ((فسترضع له امرأة أخرى))^(٤)، ونظير هذا دعاؤه: ((وا نفساه من ذنوب كثيرة لا تحصى، وا نفساه من يوم تزل فيه قدم و تثبت أخرى))^(٥)، وقد حذف المنعوت وحلَّ محله النعت؛ ليعوض الكلمة المستبدلة ، حتى لا تبقى هناك جهة اشتراك بين (القدمين) ولو باللفظ على سطح النص ، فالقدم الثابتة هي بالتأكيد غير القدم الزائلة ، إنها قدم أخرى ، أو لأنَّ الزلل يكون منها فظهرت فاعلة في مشهد الحدث اللغوي ، على حين يكون الثبات من عند الله، قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾^(٦). وهذه هي وظيفة الاستبدال في سبك النص ، فإذا كانت العلاقة بين عنصري الإحالة علاقة تطابق، فإنَّ علاقة الاستبدال (في مثل هذه النصوص) علاقة تقابل تقتضي إعادة التحديد والاستبعاد، وقد تجلَّى هذا التقابل بين الوصفين، فالوصفان مختلفان، وعن هذا الاختلاف نتج التقابل الذي أدى إلى إعادة تحديد (القدم)، الذي ترتب عنه استبعاد وصف وإحلال وصف آخر، فاحتفظ المستبدل بجزء من المعلومة السابقة مستبعداً جزءاً آخر، وهو أنَّ القدم الأولى زائلة على حين القدم الأخرى ثابتة، ومنه يتضح أنَّ العلاقة الاستبدالية لا تقوم على التطابق ، وإنما على التقابل والاختلاف، وهذا يكون في مثل

(١) ينظر: نحو النصَّ اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص ١٢٣ .

(٢) سورة الزمر / الآية: ٦٨ .

(٣) سورة الطلاق / من الآية: ٦ .

(٤) مجمع البيان ، ٣٥/١٠ .

(٥) الصحيفة العلوية الجامعة ، ص ١٢٨ .

(٦) سورة النساء / من الآية: ٧٩ .

هذه الشواهد وليس على الإطلاق بحسب ما ذهب إليه بعض الباحثين^(١)، فقوله تعالى: ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٢﴾ علاقة تقوم على التطابق بين المستبدل والمستبدل^(٣)، لا على التقابل والاختلاف .

ويمكن أن يؤدي التنوين المعوَّض عن اسم مفرد دور الاستبدال الاسمي، ففي دعائه ﷺ: ((يا دَيَّانُ أَنْتَ تَحْشُرُ الْخَلْقَ وَعَلَيْكَ الْعَرْضُ ، وَكُلُّ يَدَيْنُ لَكَ وَيَقْرُ لَكَ بِالرُّبُوبِيَّةِ ، فَأَغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ بِعِزَّتِكَ))^(٤)، جاء التنوين في (كُلُّ) عوضاً عن كلمة (الخلق) السابقة عليها ، وبذلك أدى عمل الاستبدال في سبك النص .

ب- الاستبدال الفعلي:

ويعبر عنه بالفعل البديل ، حيث يحل فعل محل فعل أو حدث معين أو عبارة فعلية ، ليحافظ على استمرارية محتوى العبارة المستبدلة^(٥)، نحو قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾^(٦)، فقد تحققت الاستمرارية باستبدال الفعل (يفعل) مكان الفعلين (يثبت) و (يضل) ، ومن أمثلة ذلك دعاؤه ﷺ: ((وَسُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي لَا يُرَدُّ مَا قَضَى ، وَلَا يُصَرَّفُ مَا أَمْضَى ، وَلَا يُنْعَمُ مَا أُعْطِيَ ، وَلَا يَهْفُو وَلَا يَنْسَى وَلَا يَعْجَلُ ، بَلْ يُمَهِّلُ وَيَغْفُو وَيَغْفِرُ وَيَرْحَمُ وَيَصْبِرُ ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ))^(٧)، حيث استبدل الفعل (يفعل) مكان الأفعال المثبتة السابقة المسندة لله ﷻ ، وبهذا أغنى الفعل البديل عن التكرار عل حدّ أن دلالاته

(١) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٢١ .

(٢) سورة الفاتحة / الآية: ٦-٧ .

(٣) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه ، ٣٠/١ .

(٤) الإقبال بالأعمال الحسنة ، ٣٦٥/٢ .

(٥) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ١١٤ .

(٦) سورة إبراهيم / الآية: ٢٧ .

(٧) البلد الأمين والدرع الحصين ، ص ١٤١-١٤٢ .

عامة تضم دلالة الأفعال السابقة^(١) ، وأدى في الوقت نفسه إلى الربط بين أجزاء النص ، فضلاً على الإشارة إلى أنّ هذه الأفعال صادرة عن حكيم مطلق ، فلا يحتاج معها السؤال عن فعله ((لأن المطلوب بالسؤال بيان كون الفعل مطابقاً - بصيغة اسم المفعول - للحق و هذا إنما يجري في غير نفس الحق وأما الحق نفسه فهو حق بذاته من غير حاجة إلى مطابقة))^(٢). وفي دعائه: ((إلهي سَعَتْ نَفْسِي إِلَيْكَ لِنَفْسِي تَسْتَوْهِيهَا ، وَفَتَحْتَ أَفْوَاهَهَا نَحْوَ نَظَرَةٍ مِنْكَ لَا تَسْتَوْجِبُهَا ، فَهَبْ لَهَا مَا سَأَلْتُ ، وَ جُدْ عَلَيْهَا بِمَا طَلَبْتُ ، فَإِنَّكَ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ بِتَحْقِيقِ أَمَلِ الْأَمِلِينَ))^(٣)، فقد استبدل بالفعل (سأل) الفعل (طلب)، والطلب يكون بالسعي وغيره ، على حين السؤال لا يكون إلا كلاماً^(٤)، وقد قرن السؤال بالهبة ، والطلب بالجود؛ لأنّ الجود كثرة العطاء من غير سؤال^(٥)، وهو ما يناسب السياق ، فضلاً على السبّك الحاصل أيضاً من استبدال الفعل (جد) بالفعل (هب) . فكانت هذه العلاقات الدلالية من أسباب ربط الجملتين . لذلك ينبغي في مثل هذا النوع من الاستبدال أن يلاحظ وجود ترابط دلالي بين الفعل البديل والأفعال المستبدلة ، بأن تنتمي جميعها إلى حقل دلالي واحد حتى تتحقق الاستمرارية الدلالية للنص .

ج- الاستبدال الجملي:

وفيه يستبدل عنصر لغوي بعبارة من جملة أو جمل ، بأن تأتي أولاً عبارة الاستبدال ، ثم يقع العنصر البديل خارج حدودها ، وذلك باستعمال عناصر لغوية مثل: (هذا - ذلك)^(٦)، نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۖ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ۖ ﴾^(٧)، فكلمة (ذلك) جاءت

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن ، ص ٣٨٤ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن ، ١٤ / ٢٢٣ .

(٣) مصباح الكفعمي ، ١ / ٤٣٢ .

(٤) ينظر: الفروق اللغوية ، ص ٢٨٩ .

(٥) ينظر: الفروق اللغوية ، ص ١٧٣ .

(٦) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص ١١٥ .

(٧) سورة الكهف / الآية: ٦٣-٦٤ .

بدلاً من الآية السابقة عليها ، فكان هذا الاستبدال عاملاً على التماسك النصي بين الآيات^(١) . ومن أمثلة ذلك في أدعية الإمام علي عليه السلام دعاؤه: ((فَقَدْ تَرَى يَا سَيِّدِي فَيْضَ دُمُوعِي مِنْ خَيْفَتِكَ ، وَوَجِيبَ قَلْبِي مِنْ خَشْيَتِكَ ، وَانْتِفَاضَ جَوَارِحِي مِنْ هَيْبَتِكَ ، كُلُّ ذَلِكَ حَيَاءً مِنْكَ بِسُوءِ عَمَلِي ، وَخَجَلًا مِنْكَ لِكثْرَةِ دُنُوبِي))^(٢) ، فقد حلَّ المركب الإضافي (كل ذلك) محل العبارات المتقدمة عليه (فَيْضَ دُمُوعِي مِنْ خَيْفَتِكَ - وَجِيبَ قَلْبِي مِنْ خَشْيَتِكَ - انْتِفَاضَ جَوَارِحِي مِنْ هَيْبَتِكَ) ، ويلاحظ هنا التداخل الحاصل في هذا النوع بين الاستبدال والإحالة ، مما يعني إمكانية تفسيره بوسيلتين ، الأمر الذي أشار إليه (محمد الشاوش) وجعله يعيب هذه التفرقة^(٣) ، إلا - وإن تداخل الاستبدال مع الإحالة في أنماط معينة - أنه يفترق عنها في أنماط أخرى .

فالإحالة تقوم على التطابق الدلالي بين المحال والمحيل ، وهو ما اشترطه (هارفج)^(٤) ، ولا يشترط ذلك في الاستبدال ، فقد تكون العلاقة قائمة على الاختلاف ، وعندها تكون العلاقة بين الاستبدال والإحالة هي علاقة العموم والخصوص من وجه ، فكل إحالة على سابق هي استبدال، والعكس غير صحيح، مما يؤهل الاستبدال أن يكون وسيلة تماسك قائمة بنفسها .

ويعمل التتوين المعوّض عن جملة عمل الاستبدال القولي ، فهو يأتي عوضاً عن جملة سابقة له ، فيدخل في عناصر الاستبدال ، ومن ذلك دعاؤه عليه السلام: ((وَمَنْ أَبْعَدُ غَوْرًا فِي الْبَاطِلِ ، وَأَشَدُّ إِقْدَامًا عَلَى السُّوءِ مِنِّي حِينَ أَقِفُ بَيْنَ دَعْوَتِكَ وَدَعْوَةِ الشَّيْطَانِ ، فَاتَّبِعْ دَعْوَتَهُ عَلَى غَيْرِ عَمَى عَنِ الْمَعْرِفَةِ بِهِ ، وَلَا نِسْيَانٍ مِنْ حِفْظِي لَهُ ، وَأَنَا حِينَئِذٍ مُوقِنٌ أَنَّ مُنْتَهَى دَعْوَتِكَ الْجَنَّةُ ، وَمُنْتَهَى دَعْوَتِهِ النَّارُ))^(٥) ، فقد جاء التتوين عوضاً عن (أَقِفُ بَيْنَ دَعْوَتِكَ وَدَعْوَةِ الشَّيْطَانِ) مما أسهم في تماسك النصّ بربط الكلام اللاحق بالكلام السابق . ومنه يظهر أن ذكر التتوين المعوّض عن جملة ضمن الحذف الجملي

(١) ينظر: نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص ١٢٤ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ١٨١/٦ .

(٣) ينظر: أصول تحليل الخطاب ، ١٣٢/١ .

(٤) ينظر: أساسيات علم لغة النصّ ، ص ٢٧٠ .

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ١٨١/٦ .

غير تام ، وأن عدّه من الاستبدال الجملي أولى^(١)، وسيوضح ذلك عند الحديث عن الفرق بين الاستبدال والحذف .

وقد يكون الاستبدال بأشباه الجمل ، نحو دعائه: ((وَأَسْأَلُكَ مَا كَانَ أَوْفَى بِعَهْدِكَ ، وَأَقْضَى لِحَقِّكَ ، وَأَرْضَى لِنَفْسِكَ ، وَخَيْرًا لِي فِي الْمَعَادِ عِنْدَكَ ، وَالْمَعَادِ إِلَيْكَ))^(٢)، فقد استبدل شبه الجملة من الجار والمجرور (إِلَيْكَ) بشبه الجملة الظرفية (عِنْدَكَ)، فتكون من الوسائل التي تحقق للنص تماسكه أيضاً .

المبحث الثالث: الحذف Ellipsis :

يعدّ الحذف ((ظاهرة لغوية عامة تشترك فيها اللغات الإنسانية حيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكررة في الكلام ، أو إلى حذف ما قد يمكن للسامع فهمه اعتماداً على القرائن المصاحبة))^(٣)، وهو مما اتفق القدماء والمحدثون على أهميته في بناء النصّ ، فقد عدّه ابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) من شجاعة العربية^(٤)، ووصفه عبدالقاهر الجرجاني بأنّه باب دقيق المسلك، وبين سماته الفنية^(٥)، وهو داخل في باب المجاز عند ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) مما يُسمى بالاكْتفاء ، فقد يحذف بعض الكلام لدلالة الباقي على الذاهب^(٦)، وتحدث عنه ابن هشام (ت ٧٦١هـ) وذكر شروطه

(١) ينظر: علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق ، ٢٣١/٢ ، حيث ذكر الدكتور صبحي إبراهيم الفقي قوله تعالى: ﴿ مَن يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَجِمَهُ ﴾ الأنعام/١٦ ضمن الحذف الجملي .

(٢) الإقبال بالأعمال الحسنة ، ٢١٣/٣ .

(٣) ظاهرة الحذف في الدرس النحوي ، ص ٦ .

(٤) ينظر: الخصائص ، ٣٦٢/٢ .

(٥) ينظر: دلائل الإعجاز ، ص ١٤٦ .

(٦) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ٢٥١/١ .

وأقسامه^(١)، وفعل الزركشي ذلك أيضاً^(٢)، وقد أطلق عليه السيوطي مصطلح الاحتباك، موضحاً أهميته في تحقيق التماسك بين عناصر النص^(٣).

والحذف عند المحدثين من علماء علم لغة النصّ وسيلة تماسك عندما يتجاوز مستوى الجملة الواحدة^(٤)، فهو ((اكتفاء بالمبنى العدمي))^(٥)، لأنّ الفراغ الذي يتركه الحذف يُهتدى إليه بما هو مذكور في النصّ في مكان آخر، فيتّم عن عملية الانتقال بين المذكور والمحذوف ربط أجزاء النصّ. وهو في ذلك لا يختلف عن الاستبدال إلا بكونه استبدالاً بالصفّر ، فإذا كان الاستبدال يترك أثراً هو وجود أحد عناصر الاستبدال ليبقى مؤشراً يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض ، فإنّ في الحذف فراغاً بنيوياً يملؤه القارئ اعتماداً على ما ورد في النصّ سابقاً ، مما يعني أنّ الحذف في العادة علاقة قبلية^(٦). وعندها يتضح أنّ التماسك النصّي يتحقّق بالحذف بجوانب هي^(٧):

(١) التكرار ، وذلك بعد تقدير المحذوف .

(٢) المرجعية المتحققة بين العنصر المحذوف والعنصر المذكور .

(٣) وجود دليل أو قرينة على العنصر المحذوف .

وأنواع الحذف ثلاثة بحسب ما قسمها هاليداي، ورقية حسن هي^(٨):

أ) الحذف الاسمي ب) الحذف الفعلي ج) الحذف الجملي

ومما يُلاحظ أنّ من الباحثين مَنْ أغفل عن ذكر حذف الحرف ظناً منه أنّ حذف الحرف لا

يسهم في تحقيق التماسك النصّي ، وهو كذلك عندما يكون حذفاً صرفياً في بنية الكلمة المفردة ، ولكنّه

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ٣١٧/٦ وما بعدها .

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن ، ٦٧/٣ .

(٣) ينظر: الإتيان في علوم القرآن ، ٦٢٢/٣ - ٦٢٣ .

(٤) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٢٢ .

(٥) النصّ والخطاب والإجراء ، ص ٣٤٠ .

(٦) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٢١ .

(٧) ينظر: علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق ، ٢٠٠/٢ - ٢٠١ .

(٨) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ١١٨ .

عندما يكون حذفاً نحوياً على مستوى التركيب فإنه حينئذ يسهم في تحقيق التماسك بين عناصر النص، كحذف الواو العاطفة على سبيل المثال^(١). وعليه يمكن إضافة (الحذف الحرفي) ضمن أنواع الحذف النصية .

أ- الحذف الحرفي:

قد يحذف الحرف الرابط فيما بين الجمل ومع ذلك يبقى النص محافظاً على تماسكه ، بحسب قواعد الحذف التي تقتضي من المتلقي أن يكتفي بما سبق لملء الفراغ الذي يتركه الحذف ، فينتج عن ذلك ربط اللاحق بالسابق على مستوى البنية العميقة بعد أن تعذر الربط على مستوى البنية السطحية، كما في دعائه ﷺ: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُخْتَصِّ بِالتَّوْحِيدِ ، الْمُتَقَدِّمِ بِالْوَعْدِ ، الْفَعَّالِ لِمَا يُرِيدُ ، الْمُحْتَجِبِ بِالنُّورِ دُونَ خُلُقِهِ))^(٢)، وكذلك دعاؤه: ((وَاتَّقَرَّبُ إِلَيْهِ بِالتَّصَدِيقِ لِنَبِيِّهِ ، الْمُصْطَفَى لَوْحِيهِ ، الْمُتَخَيَّرِ لِرِسَالَتِهِ ، الْمُخْتَصِّ بِشَفَاعَتِهِ ، الْقَائِمِ بِحَقِّهِ ، مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ))^(٣)، حيث حُذفت الواو الرابطة بين الجمل ؛ لأنَّ في إثباتها ما يقتضي التغاير بين المتعاطفين ، في حين إذا كان ((في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها ، وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها. وهي كل جملة كانت مؤكدة للتي قبلها ومبيّنة لها ، وكانت إذا حصلت لم تكن شيئاً سواها، كما لا تكون الصفة غير الموصوف والتأكيد غير المؤكد))^(٤)، فلا تحتاج إلى رابط يربطها ، وهنا يكتفى في ربطها ((أنَّه عند حذف الواو يجوز أن يلاحظ معنى العطف ويكتفى للربط بينها وبين ما قبلها بالملابسة))^(٥)، وهي إشارة متقدمة إلى أثر حذف الواو في تماسك النص ، وهو معنى قريب من المعنى الذي حدّده دي بوجراند للحذف بأنه اكتفاء بالمبنى العدمي^(٦) .

(١) ينظر: المعايير النصية في القرآن الكريم ، ص ٥٧ .

(٢) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ، ١/ ١٦٦ .

(٣) مهج الدعوات ومنهج العبادات ، ص ١٤٥ .

(٤) دلائل الإعجاز ، ص ٢٢٧ .

(٥) البرهان في علوم القرآن ، ٣/ ١٣٦ .

(٦) ينظر: النص والخطاب والإجراء ، ص ٣٤٠ .

ب- الحذف الاسمي:

ويقصد به أن يكون المحذوف عنصراً اسماً .

مثال ذلك: أي قبعة ستلبس؟ هذه هي الأحسن .

والتقدير: هذه هي القبعة الأحسن ، بحذف كلمة (القبعة) .

وقد كان توجه النصيين في هذا النوع من الحذف إلى كون العنصر المحذوف اسماً أو لا ، من دون النظر إلى الموقع الأعرابي للعنصر ، على حين عني القدماء بالمواقع الإعرابية المختلفة له، وكانوا أكثر توسعاً في ذكر أنواعه^(١)، فذكروا أنه يحذف في الحالات الآتية: (الابتداء ، والخبرية ، والإضافة، والنعت ، والظرف ، والمعطوف ، والاستثناء ، والتمييز ... ، إلى غير ذلك من المواقع الإعرابية التي يشغلها الاسم)^(٢) . ومن الأمثلة على ذلك دعاؤه ﷺ: ((إلهي أنا المُقَرُّ بِذَنْبِي ، الْمُعْتَرِفُ بِجُرْمي، الْأَسِيرُ بِإِسَاءَتِي ، الْمُرْتَهَنُ بِعَمَلِي ، الْمُتَهَوِّرُ فِي خَطِيئَتِي ، الْمُتَحَيِّرُ عَنْ قَصْدِي ، الْمُنْقَطِعُ بِي، فَصَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ ، وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ ، وَتَجَاوَزْ عَنِّي))^(٣)، وقد تحقق الترابط النصي بالمرجعية السابقة للحذف ، فحذف المبتدأ اكتفاءً بذكره في الجملة الأولى بعد أمن اللبس ؛ لأنَّ الذهن لا ينصرف إلى غيره اعتماداً على علم المتخاطبين بالأعراف اللغوية ، وهي من شروط نجاح ظاهرة الحذف في صنع الترابط بين أجزاء النص^(٤)، وهذا يتضح في دعائه: ((فَاجْعَلِ اللَّهُمَّ صَبَاحِي هَذَا نَازِلًا عَلَيَّ بِضِيَاءِ الْهُدَى، وَبِالسَّلَامَةِ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا ، وَمَسَائِي جُنَّةً مِنْ كَيْدِ الْأَعْدَاءِ ، وَوَقَايَةً مِنْ مُرْدِيَاتِ الْهَوَى))^(٥)، فقد حذف اسم الإشارة بعد (مسائي)؛ لعدم حضوره بعد ؛ لأنَّ الأصل في اسم الإشارة أن يشار به إلى

(١) ينظر: علم لغة النص والأسلوب ، ص ٤١ .

(٢) ينظر: الخصائص ، ٣٦٤/٢ - ٣٨١ .

(٣) المزار الكبير ، ص ١٥٠ .

(٤) ينظر: نظرية علم النص ، ص ٨٩ .

(٥) بحار الأنوار ، ٢٤٥/٩٤ .

محسوس مشاهد^(١)، ويقدر المحذوف بالرجوع إلى ما سبق ، فهذه الفقرة من الدعاء أتت ((مكملة لطلب
الداعي من ربه ما يعود إلى صباحه في توفيق، وسلامة الدين والدنيا))^(٢)، فيكون من (مراعاة النظر)
أن يقترن مساء ذلك اليوم بصباحه ، فيدعو أن يجعله مصوناً من شر الأعداء ، ومن مكائد الشيطان ،
ومن النفس الأمارة بالسوء ، فيتمّ يومه هذا من النهار إلى الليل بالطاعات والعبادات .

ومن الأمثلة الأخرى التي يذكر شراح الدعاء أن فيها حذفاً دعاؤه عليه السلام: ((وَبَابُكَ مَفْتُوحٌ لِلطَّلَبِ
وَالْوُغُولِ))^(٣)، فقد حذف المضاف إليه، ((وهو السائل عوّض عنها الألف واللام فأدخلت على كلمة
(طلب) فصارت (الطلب) ، والأصل: وبابك مفتوح لطلب السائلين))^(٤)، وهذا وإن كان يعدّ من الحذف
في عرف النحاة إلا أنه بحسب ما قرره النصّيون يدخل في الاستبدال ، بحسبان ما تقدّم في بيان الفرق
بين الاستبدال والحذف ، فالحذف ليس فيه تعويض عن العنصر المحذوف ، وإنما هو استبدال بالصفّر،
وعليه ينبغي أن يعد من الاستبدال كل ما كان فيه تعويض من الحذف . ويرجع في إدراك المحذوف إلى
السياق ، فإنّه يعد قرينة على ذلك ، نحو دعائه: ((وَإِنْ خَذَلَنِي نَصْرُكَ عِنْدَ مُحَارَبَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ،
فَقَدْ وَكَلَنِي خِذْلَانُكَ إِلَى حَيْثُ النَّصَبِ وَالْحَرَمَانِ))^(٥)، فقد حذف الفاعل وأضاف المصدر إلى مفعوله ،
أي: محاربتني (أنا) النفس الأمارة الخبيثة ، والشيطان معاً. وقد أضاف (حيث) إلى المفرد ، فيكون
ما أفاده النحويون من إضافتها دوماً إلى الجملة ، وإضافتها إلى المفرد قليل غير صحيح^(٦)؛ لأنّ
الإمام عليه السلام أضافها إلى المفرد ، ونطقه حجة^(٧) .

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح في شرح دعاء الصباح ، ص ١٤١ .

(٢) أضواء على دعاء الصباح ، ص ٢٧٢ .

(٣) بحار الأنوار ، ٢٤٤/٩٤ .

(٤) مفتاح الفلاح في شرح دعاء الصباح ، ص ١٣٢ .

(٥) بحار الأنوار ، ٢٤٤/٩٤ .

(٦) ينظر: المقتضب ، ٥٤/٢ ، والأصول في النحو ، ١٤٣/٢ ، وشرح الرضي على الكافية ، ١٧١/٣ .

(٧) ينظر: مفتاح الفلاح في شرح دعاء الصباح ، ص ٨٢ ، وص ٩٣ - ٩٤ .

ج- الحذف الفعلي:

ويقصد به أن يكون المحذوف عنصراً فعلياً .

مثال ذلك: ماذا كنت تتوي؟ - السفر .

والتقدير: أنوي السفر^(١) .

ويرد حذف الفعل في اللغة العربية وحده أو حذفه مع فاعله المضمَر ، ويكون واجباً لا يجوز فيه إظهار الفعل؛ لأنَّ معه لا تكون الجملة صحيحة نحوياً ، وذلك في باب الاشتغال على خلاف بين البصريين والكوفيين^(٢)، أو إذا وقع الاسم بعد أداة تختص بالدخول على الأفعال مثل: (إن ، وإذا ، ولو) حيث يقدر النحاة فعلاً محذوفاً وجوباً يلي الأداة يفسر بالفعل المذكور بعدها^(٣)، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ﴾^(٤)، والتقدير: إن استجارك أحد استجارك ، وكذلك يكون الحذف واجباً في الأمثال لكثرة الاستعمال والإيجاز ، ولأنَّ الأمثال لا تغير، وإنما تلتزم عبارة المثل كما وردت ، إلى غير ذلك من المواضع التي ذُكرت . وقد يكون حذف الفعل جائزاً ، بمعنى أن إظهار الفعل المحذوف تكون الجملة معه صحيحة ، ويطرد في جواب الاستفهام ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^(٥)، حيث حذف الفعل مع المفعول به من الجملة الثانية والتقدير: خلقهم الله ، وفي حذف (كان) مع اسمها وإبقاء الخبر ، نحو: الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، والتقدير: إن كان عملهم خيراً فجزاؤهم خير ، وإن كان عملهم شراً فجزاؤهم شر ، وفي حذف فعل القول استغناءً بذكر المقول طلباً للاختصار ، ولوضوح الدلالة عليه ، نحو قوله تعالى: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ

(١) ينظر: نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص ١٢٧ .

(٢) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ، ٨٢/١ .

(٣) ينظر: السابق نفسه ، ٦١٥/٢ - ٦٢٠ .

(٤) سورة التوبة / الآية: ٦ .

(٥) سورة الزخرف / الآية: ٨٧ .

مَنْ كُلِّ بَابٍ ﴿١﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢﴾ ، والتقدير: يقولون: سلام عليكم ، إلى غير ذلك^(٢)، ولا شك أن في الحذف ما يرجع إلى الأعراف التركيبية للغة مثلما هو يرجع إلى قصد المتكلم^(٣) .

وحذف الفعل الذي تهتم به الدراسات النصّية هو ما يكون رابطاً بين جملتين أو أكثر في النصّ، نحو دعائه عليه السلام: ((فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبُهُ ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ ، رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً، وَسَمِعُهُ وَالِهَاً، وَفِكْرُهُ حَائِراً))^(٤)، حيث حُذِفَ الفعل (رجع) قبل (عقله، وسمعه، وفكره)، وقد حُذِفَ لَأَنَّ ((حرف العطف إنما وضع لينوب عن العامل ويغني عن إعادته فإن قلت : قام زيدٌ وعمروٌ فالواو أغنت عن إعادة (قام) فقد صارت ترفع كما يرفع قامٌ))^(٥)، وهذا صحيح من حيث العمل بحسب نظرية العامل ، ولكن تبقى الجملة الثانية من حيث الدلالة محتاجة إلى معنى الفعل المحذوف حتى تكون صحيحة دلالياً ، وهو وإن لم يوجد لفظاً ، لكنّه موجود مفهوماً ، ذلك الوجود الذي يسهم في استمراره عنصراً فاعلاً دلالياً في النصّ . وفي دعائه عليه السلام: ((اللَّهُمَّ إِنَّ ذَنْبِي أَمْسَى مُسْتَجِيراً بِعَفْوِكَ، وَخَوْفِي مُسْتَجِيراً بِأَمْنِكَ ، وَفَقْرِي أَمْسَى مُسْتَجِيراً بِغِنَاكَ ، وَذُلِّي أَمْسَى مُسْتَجِيراً بِعِزِّكَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاعْفُزْ لِي وَارْحَمْنِي إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ))^(٦)، فقد حذف الفعل (أمسى) من جملة (وخوفي مستجيراً بأمنك) مع بقائه في الجملة السابقة لها واللّتين بعدها ، وقد يُقال في تأويله أن الخوف من الله

(١) سورة الرعد / الآية: ٢٣ - ٢٤ .

(٢) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس النحوي ، ص ٢٢٥ - ٢٣٥ .

(٣) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ١١٧ .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ٢٢٢/٩ .

(٥) الأصول في النحو ، ٦٩/٢ .

(٦) فلاح السائل ، ص ٢٠٢ .

مطلوب دائماً في كل زمان ومكان ، وفي حذف الفعل لفظاً دفع توهم أن يقترب الخوف بزمان محدد، فإنَّ

((الخوف جلباب العارفين))^(١)، وقد قال تعالى: ﴿ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٢)

د- الحذف الجملي:

ذكر النصيَّون أن حذف الجمل يكثر في مواضع الأسئلة التي يجاب عنها بنعم أو لا^(٣)؛ لأنَّ

الاستفهام يمثل الدرجة القصوى للحذف بحسب المفترض مقدماً في تلك الجمل الاستفهامية .

مثال ذلك: هل فهم محمد الدرس؟ - نعم .

والتقدير: نعم فهم محمد الدرس . فالمتلقي يدرك أن هناك حذفاً في جملة الجواب لوجود الدليل

السابق^(٤) .

أما علماء العربية فقد ذكروا أن حذف الجمل يأتي تجنباً للإطالة وجنوحاً إلى الاختصار ؛ ولذا

فهو يقع في الأساليب المركبة من أكثر من جملة ، وهي أساليب الشرط والقسم والعطف والاستفهام،

وبعد "إذ" التي تضاف إلى جملة ، إلى غير ذلك^(٥) .

فمن حذف جملة جواب الشرط دعاؤه عليه السلام: ((إلهي أَقَمْتُ عَلَى قَنْطَرَةٍ مِنْ قَنَاظِرِ الْأَخْطَارِ،

مَمْلُوءاً بِالْأَعْمَالِ وَالْإِعْتِبَارِ، فَأَنَا الْهَالِكُ إِنْ لَمْ تُعِنْ عَلَيَّهَا بِتَخْفِيفِ الْأَثْقَالِ))^(٦)، حيث حذف جملة جواب

الشرط بعد تقدم ما يدل على الجواب ، والتقدير: إلهي إن لم تعن علي إقامتي على قنطرة من قناظر

الأخطار، وأنا مملوء بالأعمال والاعتبار بتخفيف الأثقال فأنا الهالك. وكذلك دعاؤه عليه السلام: ((إلهي أُحِبُّ

طَاعَتَكَ وَإِنْ قَصُرْتُ عَنْهَا ، وَأَكْرَهُ مَعْصِيَتَكَ وَإِنْ رَكِبْتُهَا ، فَتَفَضَّلْ عَلَيَّ بِالْجَنَّةِ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا،

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ، ص ١٩١ .

(٢) سورة آل عمران / الآية: ١٧٥ .

(٣) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ١١٨ .

(٤) ينظر: علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق ، ١٩٤/٢ ، و ٢٢١/٢ .

(٥) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس النحوي ، ص ٢٥٣ .

(٦) مصباح الكفعمي ، ٤٢٣/١ .

وَحَلَّصْنِي مِنَ النَّارِ وَإِنْ اسْتَوْجِبْتُهَا ^(١)، والتقدير: وإن قصرت عن طاعتك أحبها ، وإن ركبت

معصيتك أكرهها ، وإن لم أكن من أهل الجنة فتفضل عليَّ بها ، وإن استوجبت النار فخلصني منها .

وقد يجتمع الشرط والقسم فيحذف جواب المتأخر منهما لدلالة جواب الأول عليه ^(٢)، نحو

دعائه عليه السلام: ((إلهي لئن طالبتني بذُنُوبي لأُطالبنَّكَ بِعَفْوِكَ)) ^(٣)، وقد سبق القسم ودليله اللام الموطئة،

فحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه .

ومن الحذف في سياق العطف دعاؤه عليه السلام: ((إلهي اجعلنا ممن هَامَ بِذِكْرِكَ لُبُّهُ ، وَطَارَ مِنْ

شَوْقِهِ إِلَيْكَ قَلْبُهُ ، فَاحْتَوَتْهُ عَلَيْهِ دَوَاعِي مَحَبَّتِكَ ، فَحَصَلَ أَسِيرًا فِي قَبْضَتِكَ)) ^(٤)، حيث أن هناك حذفاً

بعد الفاء ترتب على حصوله حصول ما بعده ، والتقدير: فلما أن جعلته ممن هَامَ بِذِكْرِكَ وَطَارَ مِنْ

شوقه لبه ، أصبح ممن احتوت عليه دواعي محبتك وحصل أسيراً في قبضتك .

وأما الحذف في سياق الاستفهام فيجوز حذف الجملة بعد حرف الجواب اكتفاءً بورودها في

جملة السؤال ^(٥)، نحو دعائه عليه السلام: ((إلهي كَيْفَ تَطْرُدُ مِسْكِينَا إِلْتِجَاءَ إِلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ هَارِبًا؟ أَمْ كَيْفَ

تُخَيِّبُ مُسْتَرْتِشِدًا قَصَدَ إِلَى جَنَابِكَ سَاعِيًا؟ أَمْ كَيْفَ تَرُدُّ ظَمَانَنَا وَرَدَ إِلَى حِيَاضِكَ شَارِبًا؟! كَلَا ، وَحِيَاضُكَ

مُتْرَعَةٌ فِي ضَنْكِ الْمُحُولِ)) ^(٦)، فقد حذف الجواب بعد (كلا) كأنه قال: حاشاك يا ربي فإنَّكَ لا تطرد

أحداً عن بابك ، ولا تخيب من قصدك مسترشداً ، ولا تردّ ضمّانَ ورد إلى حياضك شارباً .

(١) مصباح الكفعمي ، ٤٢٤/١ .

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل ، ٣٥٠/٢ .

(٣) المزار الكبير ، ص ١٥٠ .

(٤) بحار الأنوار ، ١١٢/٩٤ .

(٥) ينظر: شرح المفصل ، ٦-٥/٨ .

(٦) بحار الأنوار ، ٢٤٤/٩٤ .

المبحث الرابع: الوصل Conjunction :

وبعني به: ((تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم))^(١)، فحتى يستمر النصّ وحدة متماسكة خطياً على المستوى الأفقي احتاج إلى وسائل تشير إلى العلاقات التي بين مساحات المعلومات ، أو بين الأشياء التي في هذه المساحات^(٢)، ويتمثل ذلك في مؤشرات لغوية يعتمد عليها الترابط في المستوى السطحي للنصّ ، مثل علامات العطف والوصل والفصل إلى غير ذلك من العوامل التي تقوم بوظيفة إبراز ترابط العلاقات السببية بين العناصر المكونة للنصّ في مستواه الخطي المباشر للقول^(٣) .

وقد اعتمد هاليداي، ورقية حسن أربعة أنواع من الوصل هي^(٤):

أ) الوصل الإضافي ب) الوصل الاستدراكي ج) الوصل السببي د) الوصل الزمني .
ونظراً لكون أدوات الوصل الزمني – وهو علاقة تربط بين الأحداث بعلاقة التتابع الزمني^(٥) – تتشابه من حيث الأداء والدلالة مع أدوات الوصل الإضافي ، التي هي فضلاً على أثرها في الوصل الشكلي لها معنى دلالي تؤديه على مستوى النصّ ، وقد فصل بعض الباحثين بينهما جرياً على ما جاء عن هاليداي، ورقية حسن على الرغم من أنّهم يذكرون بعض الأدوات في كلا القسمين^(٦)، فهل (الفاء) و(ثم) تفيد الوصل فقط في الوصل الإضافي ، على حين في الوصل الزمني تفيد فضلاً على ذلك التتابع الزمني! لذلك سنقتصر في البحث على ذكر الوسائل الثلاثة الأولى ، ويكون الوصل الزمني ضمن عنوان الوصل الإضافي .

(١) لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٢٣ .

(٢) ينظر: نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص ١٢٨ .

(٣) ينظر: علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات ، ص ١٢٣ .

(٤) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ١١١ .

(٥) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ٢٤ .

(٦) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ١٦٢ - ١٦٤ . ونظرية علم النصّ ، ص ٩٥ - ٩٦ .

أ- الوصل الإضافي:

ويتم على الغالب بواسطة الأدوات: "الواو" ، و"الفاء" ، و"ثم" ، و"أو" ، ويذهب الدكتور أحمد المتوكل إلى أن أنماط العطف تخضع إلى قيود دلالية وتركيبية وتداولية ، ويكون الوصل بتوسيع عنصر من عناصر بنية ما بمتتالية من العناصر منتمية إلى نمط العنصر الموسع نفسه^(١)، وأن عامل الزمن يحدد استعمال الأدوات العاطفة "الواو" ، و"الفاء" ، و"ثم" ، فالواو للعطف في حالة (التزامن)* ، و"الفاء" ، و"ثم" في حالة الترتيب ، وتستعمل "الفاء" بصفة عامة للترتيب مع الفور ، على حين تستعمل "ثم" للترتيب مع التراخي ، ويصطلح على هكذا نوع من الوصل: "العطف الوصلي" ، على حين تتحكم طبيعة السياق في الاستعمال التوزيعي للأدوات الأخرى فيما يصطلح عليه: "العطف الفصلي"^(٢). ويندرج تحت المقولة العامة للوصل الإضافي علاقات تحمل معنى التماثل الدلالي للتأكيد على أن النقطة الجديدة لها الأهمية نفسها ، باستعمال تعبير من نوع: بالمثل ... ، وعلاقة الشرح ، وتتم بتعابير مثل: أعني ، بتعبير آخر ... ، وعلاقة التمثيل المتجسدة في تعابير مثل: مثلاً ، نحو^(٣)، وفضلاً على وظيفة الوصل التي تقوم بها ، تقوم هذه الأدوات بوظيفة الاختصار ، وهاتان تمثلان أهم وظائفها^(٤). كما في دعائه عليه السلام: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، وَبِقُوَّتِكَ الَّتِي قَهَرَتْ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ ، وَخَضَعَ لَهَا كُلَّ شَيْءٍ ، وَذَلَّ لَهَا كُلَّ شَيْءٍ ، وَبِجَبْرُوتِكَ الَّتِي غَلَبَتْ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ ، وَبِعِزَّتِكَ الَّتِي لَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ ، وَبِعَظَمَتِكَ الَّتِي مَلَأَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، وَبِسُلْطَانِكَ الَّذِي عَلَا كُلَّ شَيْءٍ ، وَبِوَجْهِكَ الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبِأَسْمَائِكَ الَّتِي مَلَأَتْ أَرْكَانَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبِعِلْمِكَ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَضَاءَ لَهُ

(١) ينظر: اللسانيات الوظيفية ، ص ٢٦٠ .

* الواو لمطلق الجمع وليس فيها دلالة على الزمن أو الترتيب . (ينظر: معاني النحو ، ٣/١٨٧-١٨٨) . وقد جاء في (كتاب سيبويه): ((وليس في هذا دليل على أنه بدأ بشيء قبل شيء ، ولا بشيء مع شيء ، لأن يجوز أن تقول: مررت بزيد وعمرو والمبدوء به في المرور عمرو ، " ويجوز أن يكون زيدا " ، ويجوز أن يكون المرور وقع عليهما في = حالة واحدة. فالواو تجمع هذه الأشياء على هذه المعاني. فإذا سمعت المتكلم يتكلم بهذا أجبتة على أيها شئت ؛ لأنها قد جمعت هذه الأشياء)) ، كتاب سيبويه ، ٤٣٨/١ .

(٢) ينظر: اللسانيات الوظيفية ، ص ٢٦٧ .

(٣) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٢٣ . و علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ١١١ .

(٤) ينظر: علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق ، ٢٥٧/١ .

كُلُّ شَيْءٍ))^(١)، فقد افتتح سؤاله متوسلاً برحمة الله بوصفها وسعت كل شيء ، وجعلها مدخلاً لأسئلته اللاحقة ، فعطف عليها السؤال بقوة الله سبحانه وتعالى ، وقد ولج إليها من باب الرحمة؛ لكي يكون توسله بها رافعاً للنقمة ، فقد تستعمل القوة في مجال النكال والانتقام ، فتكون تعبيراً عن غضب الله وسخطه ، وفضلاً على وصلها بين فقرات النصّ على المدى البعيد ، وقد أغنت عن تكرار جملة (أَسْأَلُكَ) في الجمل اللاحقة لوجود ما يدل عليها في الجملة الأولى ، وصلت الواو أيضاً بين الجمل في داخل الفقرة الواحدة ، فجمعت للقوة ثلاث نتائج رئيسة تعكس في مجموعها مظهراً من مظاهر توحيد الله تعالى، وكلّ واحدة من هذه النتائج مترتب على الآخر: فبالقوة تتم عملية القهر، والقهر يفضي إلى الخضوع، والخضوع يؤدي إلى الإذلال^(٢). وهذا يفهم من السياق ، فإن الواو وإن كانت هي أم الباب في العطف؛ بوصفها لمطلق الجمع ، لكنها لا تقتضي الترتيب ولا تمنعه^(٣)، فهي قرينة لفظية تؤدي وظيفتها في التركيب بالربط بين المتعاطفين والجمع بينهما ، ولكنها قرينة مبهمة زمنياً ، فلا دلالة للواو في حدّ ذاتها على الزمن ، وإنما تفهم دلالتها من القرائن المتاحة في السياق بطريقتين هما: سياق المقال متمثلاً في القرائن اللفظية والمعنوية المتوافرة في النصّ ، وسياق المقام متمثلاً في الخلفيات الاجتماعية والتاريخية، وما إلى ذلك من الظروف التي قيل فيها النصّ^(٤). وفي دعائه ﷺ: ((يَا إِلَهِي فَكَمْ مِنْ عَيْبٍ سَتَرْتَهُ عَلَيَّ فَلَمْ تَفْضَحْنِي ، وَكَمْ مِنْ ذَنْبٍ غَطَّيْتَ عَلَيَّ فَلَمْ تُشْهِرْ بِي ، وَكَمْ مِنْ عَائِبَةٍ أَلَمْتُ بِهَا فَلَمْ تَهْتِكْ عَنِّي سِتْرَهَا ، وَلَمْ تُقْلِدْنِي مَكْرُوهَ شَنَارِهَا ، وَلَمْ تُبْدِ عَلَيَّ مُحَرَّمَاتِ سَوَاتِهَا ، فَيَمَنْ يَلْتَمِسُ مَعَايِي مِنْ جِيرَتِي وَحَسَدَةِ نِعْمَتِكَ عِنْدِي ، ثُمَّ لَمْ يَنْهَنِي ذَلِكَ حَتَّى صِرْتُ إِلَى أَسْوَأِ مَا عَاهَدْتَ مِنِّي))^(٥)، فإن ستر العيب، وتغطية الذنب ، وستر العائبة على الفور ومن دون تراخٍ من قبل الله ﷻ بدلالة (الفاء)،

(١) مصباح المتجهد ، ص ٥٨٤ .

(٢) ينظر: في رحاب دعاء كميل ، ص ٣٦-٣٧ .

(٣) ينظر: الفضة المضيئة في شرح الشذرة الذهبية ، ص ٤٢٦ .

(٤) ينظر: أساليب العطف في القرآن ، ص ٥١-٥٢ .

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ١٨١/٦ .

ولكن كل هذا يقابل من قبل الإنسان بالنسيان - ((حَتَّى كَأَنِّي لَا ذَنْبَ لِي))^(١) - فلا يذكر إلا بعد حين بدلالة (ثم) و (ذلك)، وإن تذكر فلا ينهه ذلك عن العود إلى ما هو أسوأ منه .

ومن أدوات الوصل التي تفيد مع وصلها الإضافي الوصل الزمني (قبل ، وبعد)، نحو دعائه ﷺ: ((إِلَهِي أَنْتَ دَلَّلْتَنِي عَلَى سُؤَالِ الْجَنَّةِ قَبْلَ مَعْرِفَتِهَا ، فَأَقْبَلَتِ النَّفْسُ بَعْدَ الْعِرْفَانِ عَلَى مَسْأَلَتِهَا))^(٢)، فقد ترتبت المعرفة بعد الإرشاد إلى السؤال ، ولما حصلت ترتبت عليها المسألة ، لأنَّ الداعي لم يكن يعرف ما الجنة قبل إرشاد الله له في سؤالها ، فلما أرشده أقبل الداعي على معرفتها، فلما عرفها عندئذ توجه إلى الله في مسألتها .

ب- الوصل الاستدراكي:

ويطلق عليه دي بوجراند ودريسلر مصطلح (وصل النقيض)، ويربط بين الأشياء التي بينها علاقة تعارض في عالم النص^(٣). ويسمى أيضاً الوصل العكسي ويعني عكس ما هو متوقع ، ويتم بواسطة أدوات مثل: (لكن) الاستدراكية ، وغيرها من التعابير التي تؤدي معناها مثل: (بل ، غير أن ، و بيد أن ، و إلا أن ، و مع ذلك ، و على الرغم ، و من ناحية أخرى)، وهي تختلف من لغة إلى أخرى بحسب خصوصيات كل لغة واستعمالاتها المختلفة^(٤). ومن أمثلة ذلك دعاؤه ﷺ: ((إِلَهِي مَا عِبَدْتُكَ خَوْفًا مِنْ عِقَابِكَ ، وَلَا طَمَعًا فِي ثَوَابِكَ ، وَلَكِنْ وَجَدْتُكَ أَهْلًا لِلْعِبَادَةِ فَعَبَدْتُكَ))^(٥)، وهي إشارة إلى عبادة الأحرار ، وقد قال ﷺ: ((أَنْ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتَلَكَ عِبَادَةُ التَّجَارِ ، وَإِنْ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتَلَكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ ، وَإِنْ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا فَتَلَكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ))^(٦)، فإذا كان قوم عبدوا الله طمعاً في جنته ، وتلك عبادة التجار ، وقوم عبدوا الله خوفاً من ناره ، وتلك عبادة العبيد ، فقد نزه نفسه عنهما

(١) البلد الأمين والدرع الحصين ، ص ٢٨٩ .

(٢) مصباح الكفعمي ، ٤٢٩/١ .

(٣) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص ، ص ١٠٧ .

(٤) ينظر: أثر النحو في تماسك النص (بحث) ، ص ٦١ .

(٥) بحار الأنوار ، ١٤/٤١ .

(٦) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، ٩٩/٨ .

مستدرَكاً إثبات ما يتوهم نفيه^(١)، فقد دفع بـ (لكن) توهم عدم العبادة الخالصة لله ، بأن تكون عبادته مشوبة بالخوف أو الطمع ، وقد شهد الله له بذلك^(٢)، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لِيُوجِهَ اللَّهُ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾^(٣). ومن وسائل الوصل الاستدراكي الأخرى التي وردت ؛ دعاؤه ﷺ: ((سُبْحَانَكَ فَمَا أَعْجَبَ مَا أَشْهَدُ بِهِ عَلَى نَفْسِي ، وَأُعَدِّدُهُ مِنْ مَخْنُونِ أَمْرِي ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَا تَكَ عَنِّي ، وَإِبْطَاؤُكَ عَنْ مُعَاجَلَتِي ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ كَرَمِي عَلَيْكَ ، بَلْ تَأْتِيَا مِنْكَ بِي، وَتَفْضُلَا مِنْكَ عَلَيَّ ، لِأَنْ ارْتَدَعَ عَنْ خَطِيئَتِي ، وَلِأَنَّ عَفْوَكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ عُقُوبَتِي))^(٤)، فبعد أن تعجب من شدة اجترائه على الله ، يبتعد في مرتبة العجب من حلم الله عليه باستعمال (ذلك) ، وليس تعجبه من أناته تعالى لخفاء سببها ، بل لخفاء سبب استسهاله لها منه سبحانه مع عظم ذنبه المستلزم لخلافها ، تفضلاً منه تعالى ، فهو سبحانه يمهّل عبده ولا يبادر بعقوبته ليقلع عن سيئاته ويتوب ، فيستحق بذلك عفوه وغفرانه ، فلا يعاقبه لكون العفو أحب إليه من العقوبة ؛ لأن العفو مقتضى الرحمة ، وهي ذاتية له تعالى ، والعقوبة مقتضى الغضب ، وهو مطلوب بالعرض^(٥). وقد يقع هذا الوصل ببعض التعبيرات نحو دعائه ﷺ: ((اللَّهُمَّ فَاجْزِ قُرَيْشًا عَنِّي الْجَوَازِي، فَقَدْ قَطَعْتَ رَحْمِي ، وَتَظَاهَرْتَ عَلَيَّ ، وَدَفَعْتَنِي عَنْ حَقِّي ، وَسَلَبْتَنِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي ، وَسَلَّمْتَ ذَلِكَ إِلَى مَنْ لَيْسَ مِثْلِي ، فِي قَرَابَتِي مِنَ الرَّسُولِ ، وَسَابَقْتَنِي فِي الْإِسْلَامِ، إِلَّا أَنْ يَدْعِيَ مُدَّعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ))^(٦)، فبعد أن شكا بثه وحرزته إلى الله تعالى من قريش ، وما فعلته به من قطع رحمه ، وتظاهروا به عليه ، ودفعه عن حقه عندما سلبته

(١) دليل السالك إلى ألفية ابن مالك ، ٢٤٢/١ .

(٢) ينظر: أسباب نزول القرآن ، ص ٤٧٨ .

(٣) سورة الإنسان / الآية: ٩ .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ١٨١/٦ .

(٥) ينظر: رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين ، ١٤٥-١٤٦ .

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ١١٩/٢ .

خلافة رسول الله ﷺ المنصوصة عليه بآية التبليغ^(١)، استعمل (إلا أن) متhekماً أن يكون الأمر غير

ذلك بأن يدعي مدع - وقد ادعى مدع - ما لا يعرفه !

ج- الوصل السببي:

ويطلق عليه دي بوجراند في كتابه "النص والخطاب والإجراء" (التفرع)^(٢)، وفي كتابه مع دريسلر يستعمل مصطلح آخر هو (التبعية)، إذ يعتمد عنصر على وجود عنصر آخر^(٣)، ويسميه فان دايك (التشارط المتحقق)^(٤)، وهو رابط منطقي بين تركيبين أو أكثر^(٥)، عندما تكون العلاقة بينهما حالة تدرج ، أي إن تحقق أحدهما يتوقف على حدوث الآخر^(٦)، ويستعمل لذلك الأدوات: (لأن ، و لذلك ، و ولهذا، ... إلى غير ذلك)، وعدد من التعبيرات مثل: (نتيجة لـ ، و سبب لـ)^(٧)، بل يدخل فيها كل أداة أو تعبير يربط النتيجة بالسبب ، ويمثل أسلوب الشرط في علاقة الشرط بجوابه أحد أهم تلك الوسائل . وهذه الوسائل تمنح إشارة سطحية إلى العلاقات التحتية التي تكون صالحة في بعض الحالات لأن تستنتج بواسطة النص والدلالة^(٨). ومن أمثلة ذلك دعاؤه ﷺ: ((يَا رَبِّ وَأَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفِي عَنْ قَلِيلٍ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا وَعُقُوبَاتِهَا ، وَمَا يَجْرِي فِيهَا مِنَ الْمَكَارِهِ عَلَى أَهْلِهَا ، عَلَى أَنَّ ذَلِكَ بَلَاءٌ وَمَكْرُوهٌ قَلِيلٌ مَكْنُهُ، يَسِيرُ بِقَاوُهُ ، قَصِيرٌ مُدَّتُهُ ، فَكَيْفَ احْتِمَالِي لِبَلَاءِ الْآخِرَةِ ، وَحُلُولِ وَقُوعِ الْمَكَارِهِ فِيهَا ، وَهُوَ بَلَاءٌ تَطُولُ مُدَّتُهُ ، وَيَدُومُ مَقَامُهُ ، وَلَا يَخَفُّ عَنْ أَهْلِهِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ غَضَبِكَ وَأَنْتِقَامِكَ وَسَخَطِكَ ، وَهَذَا مَا لَا تَقُومُ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، يَا سَيِّدِي فَكَيْفَ بِي وَأَنَا عَبْدُكَ الضَّعِيفُ

(١) ينظر: أسباب نزول القرآن ، ص ١٩٥ .

(٢) ينظر: النص والخطاب والإجراء ، ص ٣٤٧ .

(٣) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص ١١٣ . ومدخل إلى علم لغة النص ، ص ١١٠ .

(٤) ينظر: النص والسياق ، ص ١٣٢ .

(٥) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ٢٣ .

(٦) ينظر: النص والخطاب والإجراء ، ص ٣٤٧ .

(٧) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص ١١٢ .

(٨) ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص ١٢٩ .

الدَّليلُ ، الْحَقِيرُ الْمُسْكِينُ الْمُسْتَكِينُ))^(١)، يتمّ الوصل في هذا المقطع من الدعاء بين السبب والنتيجة بالأداة (لأن) في مقارنة غير متكافئة بين بلاء الدنيا وبلاء الآخرة ، فبلاء الدنيا قصير لا دوام له، وأما بلاء الآخرة فيدوم مقامه ، وهو مما لا تقوم له السماوات والأرض ؛ لأنه ناشيء عن غضب الله، وبحسبان هذا يظهر الداعي ضعفه ، ويستعطف رحمة الله لتشمل هذا البدن الضعيف غير القادر على تحمل بلاء الدنيا ، فكيف ببلاء الآخرة^(٢) . وتعدّ (فاء السببية) من وسائل الوصل السببي بين الجمل، وقد تنبه ابن يعيش إلى هذا إذ يقول ((واعلم أنّ هذه الفاء التي يُجابُ بها تعقد الجملة الأخيرة بالأولى، فتجعلها جملة واحدة كما يفعل حرف الشرط))^(٣)، كما في دعائه: ((إِلَهِي وَالْحَقْنِي بُنُورِ عِزِّكَ الْأَبْهَجِ ، فَأَكُونُ لَكَ عَارِفًا ، وَعَنْ سِوَاكَ مُنْحَرِفًا ، وَمِنْكَ خَائِفًا مُرَاقِبًا ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ))^(٤)، فإنّ الإنسان إذا التحق بهذا النور الإلهي، فإنه سيترتب على ذلك آثار في حياته هي: أن هذا النور ينير له الطريق فيصل إلى معرفة الله ﷻ ، وتحصل لديه حالة زهد قهرية عن كل ما سوى الله ﷻ ، فلا يتعلق قلبه بشيء أبداً، وتنشأ عنده حالة الخوف والمراقبة لكل أموره - صغيرها وكبيرها- ، بحيث ينزجر تلقائياً عن كل ما يغضب الله ﷻ ؛ لأنه وصل إلى درجة يرى فيها ذلك البطش الإلهي الذي يكفيه عن كل واعظ^(٥).

ومن وسائل الوصل الأخرى التي يتمّ بها الوصل السببي (الباء) التي تحمل معنى السببية، وهي الداخلة على سبب الفعل^(٦)، نحو دعائه عليه السلام على معاوية وعمرو بن العاص: ((اللَّهُمَّ الْعَنْ عَمْرًا وَالْعَنْ مُعَاوِيَةَ بِصَدِّهِمَا عَنْ سَبِيلِكَ ، وَكَذِبِهِمَا عَلَى كِتَابِكَ ، وَاسْتِخْفَافِهِمَا بِنَبِيِّكَ ، وَكَذِبِهِمَا عَلَيْهِ وَعَلَيَّ))^(٧)،

(١) مصباح المتجهد ، ص ٥٨٦ .

(٢) ينظر: أضواء على دعاء كميل ، ص ٢٩٧ .

(٣) شرح المفصل ، ٢٧/٧ .

(٤) الإقبال بالأعمال الحسنة ، ٢٩٩/٣ .

(٥) محاضرة للشيخ حبيب الكاظمي ، موقع شبكة السراج في الطريق إلى الله .

(٦) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني ، ٣٢٩/٢ .

(٧) كتاب سليم بن قيس الهلالي ، ٧٣٨/٢ .

فقد دعا عليهما^(١)، وجعل لعنه لهما بسبب صدهما عن سبيل الله ، وكذبهما على كتابه ، وما أظهره من
استخفاف برسول الله ﷺ ، مع كذبهما عليه وعلى الإمام علي عليه السلام .

(١) ينظر: المصنف لابن أبي شيبة ، ٢٤٥/٣ . والبداية والنهاية ، ٤٨٠/٧ . وكنز العمال ، ٨٢/٨ .

الفصل الثاني

السبك المعجمي

الفصل الثاني:

السبك المعجمي Lexical Cohesion :

يُعنى بالسبك المعجمي بأنه: ((العلاقة التي تجمع بين كلمتين أو أكثر داخل المتتابعات في النص، وهي علاقة معجمية خالصة لا تقتصر إلى عنصر نحوي يظهرها))^(١)، ويحدث الربط باستمرارية المعنى بإحالة عنصر على عنصر آخر على مستوى المعجم بما يعطي النص صفة النصية، حيث تتجه الوحدات المعجمية على نحو منتظم في اتجاه بناء الدلالة الكلية للنص^(٢)؛ ولذلك لا تحتاج إلى وسيلة شكلية (نحوية) للربط بينها^(٣)، فهي في ذاتها تتصف بالربط ، لأن بعضها يفسر الآخر^(٤). ويتحقق السبك المعجمي بين عناصر النص بوسيلتين لغويتين ، هما: التكرار، والتضام (المصاحبة المعجمية)^(٥) .

المبحث الأول: التكرار Reiteration:

ويقصد به في الدراسات النصية: ((إعادة عنصر معجمي ، أو وجود مرادف له ، أو شبه مرادف))^(٦)، ويتمثل الربط في التكرار باستمرار عنصر لغوي من بداية النص حتى آخره ، مما يسهم

(١) تحليل الخطاب السياسي في ضوء نظرية الاتصال اللغوي ، ص ٢٢٧ .

(٢) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص ١٠٥ .

(٣) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ٢٤ .

(٤) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص ١٠٥ . وتحليل الخطاب السياسي في ضوء نظرية الاتصال اللغوي، ص ٢٢٧ .

(٥) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ٢٤ . وأصول تحليل الخطاب ، ١/١٤٢ . والبدیع بین البلاغة العربية واللسانيات النصية ، ص ٧٩ . وعلم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص ١٠٥ .

(٦) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص ١٠٦ .

مع تضافر عوامل أخرى في بناء النصّ وتماسكه^(١)، ولا يخفى أن وظيفة التكرار النصّية تتحقق بالإحالة ((عندما يحيل اللفظ الثاني المكرر إلى اللفظ الأول ، مما يحدث نوعاً من الربط بين الجملتين التي حدث فيهما التكرار في إطار النصّ))^(٢)؛ ولذلك اطلق عليه بعض الدارسين "الإحالة التكرارية"^(٣) .

والتكرار بوصفه ظاهرةً أسلوبيةً يختلف في أبعاده الدلالية من سياق إلى آخر ، فقد يكون في سياق لغة مكررة ربما يمجّها المتلقي ، على حين في سياق آخر يفجر اللغة ويخلق لغة جديدة^(٤)، وهذا ما أشار إليه دي بوجراند عندما قال: ((ويمكن لإعادة اللفظ في العبارات الطويلة أو المقطوعات الكاملة أن تكون ضارة لأنها تحبط الإعلامية مالم يكن هناك تحفيز قوي))^(٥). ومن هنا حظي التكرار بعناية الدارسين العرب قديماً وحديثاً ، وكان محل اهتمام علماء النحو والبلاغة وعلوم القرآن ، فبينوا خصائصه الأسلوبية وسماته الفنية^(٦).

وقد قدّم هاليداي ورقية حسن أربعة أنواع للتكرار هي^(٧):

أ) تكرار الكلمة نفسها ب) الترادف أو شبه الترادف ج) الكلمة الشاملة د) الكلمة العامة

(١) ينظر: علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق ، ٢٢/٢ .

(٢) إشكالات النصّ ، ص ٣٥٩ .

(٣) ينظر: نسيج النصّ ، ص ١١٩ .

(٤) ينظر: التكرار النصّي عند أبي مسلم البهلاني (بحث) ، ٩٧١/٢ .

(٥) النصّ والخطاب والإجراء ، ص ٣٠٦ .

(٦) ينظر: الإبداع والإتباع بين البلاغة العربية وعلم النصّ (رسالة ماجستير) ، ص ٥٨-٦١ .

(٧) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ١٠٦ .

أ- تكرار الكلمة نفسها:

ويندرج تحته ثلاثة أنواع هي:

١) التكرار المباشر للعنصر المعجمي:

ويكون بتكرار العنصر المعجمي نفسه من دون تغيير ، عندما يواصل المتكلم الحديث عن الشيء نفسه ، ما يعني استمراره في النص^(١)، ويبدو أنّ تكرار اللفظ هو الأصل في الربط بكونه خير وسيلة للتذكير بما سبق^(٢) نحو دعائه عليه السلام: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُيِّعُكَ بِمَعُونَتِكَ عَلَى مَا نِلْتُ بِهِ الثَّنَاءَ عَلَيْكَ ، وَأَقْرُبُكَ لَكَ عَلَى نَفْسِي بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ ، وَالْمُسْتَوْجِبُ لَهُ فِي قَدْرِ فَسَادِ نِيَّتِي وَضَعْفِ يَقِينِي ، اللَّهُمَّ نِعْمَ الْإِلَهِ أَنْتَ وَنِعْمَ الرَّبُّ أَنْتَ ، وَبِئْسَ الْمَرْيُوبُ أَنَا ، وَنِعْمَ الْمَوْلَى أَنْتَ وَبِئْسَ الْعَبْدُ أَنَا ، وَنِعْمَ الْمَالِكُ أَنْتَ وَبِئْسَ الْمَمْلُوكُ أَنَا))^(٣)، فقد تكرر ضمير المخاطب (أنت) وضمير المتكلم (أنا) في خطاب مباشر؛ لأنّ الموقف هنا هو موقف مصارحة ومكاشفة واعتراف ، وقد قيل: ((شَافِعُ الْمُذْنِبِ إِقْرَارُهُ ، وَتَوْبَتُهُ اعْتِدَارُهُ))^(٤)؛ لذلك أحضر الداعي ذاته المذنبية إلى ساحة الاعتراف لتقرّ بذنبها ، فيقول: ((فَأَنَا الظَّالِمُ لِنَفْسِي ، الْمُقَرَّبُ بِذَنْبِي ، الْمُعْتَرِفُ بِخَطِيئَتِي))^(٥)، وأكد ذلك الإقرار بالتكرار، فكرر الضمير (أنت) استحضاراً للذات الغافرة ، وكرر الضمير (أنا) إقراراً على الذات المذنبية. وكذلك في دعائه: ((يَا كَرِيمُ يَا كَرِيمُ يَا كَرِيمُ ، وَأَعْطِنِي فِي مَجْلِسِي هَذَا مَغْفِرَةً مَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِي ، وَأَعْصِمْنِي فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِي ، وَارْزُقْنِي الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ فِي عَامِي هَذَا ، مُتَقَبَّلاً مَبْرُوراً خَالِصاً لَوَجْهِكَ الْكَرِيمِ ، وَارْزُقْنِيهِ أَبَداً مَا أَبْقَيْتَنِي ، يَا كَرِيمُ يَا كَرِيمُ يَا كَرِيمُ ، وَاكْفِنِي مَوْئِنَةَ نَفْسِي ، وَاكْفِنِي مَوْئِنَةَ عِيَالِي ، وَاكْفِنِي مَوْئِنَةَ خَلْقِكَ ، وَاكْفِنِي شَرَّ فَسَقَةِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَاكْفِنِي شَرَّ فَسَقَةِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ ، وَاكْفِنِي شَرَّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ

(١) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ١٠٦ .

(٢) ينظر: ظاهرة الربط في التركيب والأسلوب العربي (بحث) ضمن كتاب مقالات في اللغة والأدب ، ١ / ١٨٩ .

(٣) البلد الأمين والدرع الحصين ، ص ٦٨ .

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم ، ص ١٩٥ .

(٥) البلد الأمين والدرع الحصين ، ص ٦٨ .

بِنَاصِيَّتِهَا ، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ))^(١)، والدَّاعِي هنا يلتمس العطاء وقد توسل بما يناسب المقام باسم (الكريم)؛ لأنَّ الكريم هو الذي ((إذا أعطى زاد على منتهى الرجاء ، ولا يبالي كم أعطى، ولمن أعطى ، وإن رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى))^(٢)، وكرر النداء للرجاء ، فإنَّه ((من أكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له))^(٣). ولا يقتصر الربط بالتكرار المباشر على تكرار الكلمة الواحدة ، بل قد يكون الربط بتكرار الجمل أو العبارات ، كما في تكرار كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) في دعاء يوم التاسع والعشرين من كل شهر حيث تكررت تسعاً وثلاثين مرة^(٤)، وفي دعائه (في الاعتصام بالله ﷻ)، حيث تكررت ((اعْتَصِمْتُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ))^(٥)، أربع عشرة مرة ، وكذلك في دعائه ﷻ: ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي عِلْمِهِ مُنْتَهَى رِضَاهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بَعْدَ عِلْمِهِ مُنْتَهَى رِضَاهُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ فِي عِلْمِهِ مُنْتَهَى رِضَاهُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ بَعْدَ عِلْمِهِ مُنْتَهَى رِضَاهُ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ فِي عِلْمِهِ مُنْتَهَى رِضَاهُ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ بَعْدَ عِلْمِهِ مُنْتَهَى رِضَاهُ ، سُبْحَانَ اللَّهِ فِي عِلْمِهِ مُنْتَهَى رِضَاهُ ، سُبْحَانَ اللَّهِ بَعْدَ عِلْمِهِ مُنْتَهَى رِضَاهُ ، سُبْحَانَ اللَّهِ مَعَ عِلْمِهِ مُنْتَهَى رِضَاهُ))^(٦)، وفي مثل هذا النوع من التكرار في الدعاء يكون له فضلاً على وظيفة الربط دلالة الخاصة به في كل مرة، فلا شك أنَّ دلالة السياق في (لا إله إلا الله) وتعلقها بما بعدها تختلف في المرة الأولى عنها في المرة الثانية وهي عن الثالثة ، وكذلك في (الله أَكْبَرُ) وفي (الْحَمْدُ لِلَّهِ) وفي (سُبْحَانَ اللَّهِ)؛ ولذلك أمر أهل البيت ﷺ بأن تكون قراءة الدعاء بالكيفية والترتيب الواردين عنهم عليهم السلام^(٧)، وقد يكون الكلام عن دلالة ذلك ضرباً من التأويل الذي لا محكم له يوجهه ، وأما التكرار بعدد معين ففيه من الأسرار ما يصعب الخوض فيه، فهو من الأشياء

(١) الإقبال بالأعمال الحسنة ، ٣٨١/١ . والصحيفة العلوية الجامعة ، ٨٥ .

(٢) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، ص ١١٥ .

(٣) بحار الأنوار ، ٨٩/١٥ .

(٤) ينظر: الدروع الواقية ، ص ٢٣٤-٢٣٧ .

(٥) مهج الدعوات ومنهج العبادات ، ص ١٦٨ .

(٦) السابق نفسه ، ص ١٧٠ .

(٧) ينظر: كتاب الخصال ، ٤٥٢/٢ .

التي لا يعرفها إلا من خوطب بها ، وقد عاتب الله موسى عندما عَجَّلَ قبل الأربعين. وبما أنَّ للتكرار وظيفة أخرى - فضلاً على السبك - هي تجسيد المعنى^(١)، فقد جاء التأكيد في بعض الأدعية على تكرار بعض الأساليب فيها بحسب طبيعة المناخ النفسي للدَّاعي كإسلوب النداء ، والدعاء في حقيقته نداء خرج للدعاء ، نحو ما جاء في دعاء كميل: ((يَا رَبَّ يَا رَبَّ يَا رَبَّ ، يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَمَالِكِ رَقِّي))^(٢)، فقد كرر لفظ (يا رب) ثلاث مرات في هذا المقطع ، وكرره بهذه الصيغة مع ما سبق في ثلاثة مقاطع من الدعاء ، في قوله: ((يَا رَبَّ يَا رَبَّ يَا رَبَّ ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ وَقُدْسِكَ وَأَعْظَمِ صِفَاتِكَ وَأَسْمَائِكَ))^(٣)، وفي قوله: ((يَا رَبَّ يَا رَبَّ يَا رَبَّ ، قَوِّ عَلَى خِدْمَتِكَ جَوَارِحِي، وَاشْدُدْ عَلَى الْعَزِيمَةِ جَوَانِحِي))^(٤)، فكان هذا التكرار من العوامل التي أسهمت في تماسك النص ، ولعل في اختيار التكرار بهذا الاسم لما يحمله من دلالات تتسجم مع ما يطلبه الدَّاعي ، فالربُّ هو المالك والمصلح والمربي^(٥)، وأن الأصل في مادة (رب) سوق الشيء إلى جهة الكمال ورفع النقائص بالتخلية والتخلية^(٦)، فالدَّاعي حتى يصل إلى مطلوبه في درجات التكامل في التربية جعل وسيلته الاستعانة بهذا الاسم، بوصفه ((أقرب الأسماء إلى الاسم الأعظم ، ولذا لم يذكر الله تعالى دعاء من أدعية الأنبياء، والصالحين إلا افتتحها به كقوله: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا ﴾^(٧)، ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾^(٨) ... ومثله كثير، وفيه استعطاف لما فيه من الدلالة على تربية كل شيء ، وتكميله ، وحفظه ، وإخراجه من حد النقص إلى الكمال بحسب ما يليق بحاله))^(٩)، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ((من قال عشر

(١) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية ، ص ٨٠ .

(٢) مصباح المتجهّد ، ص ٥٨٧ .

(٣) السابق نفسه ، ص ٥٨٧ .

(٤) السابق نفسه ، ص ٥٨٧ .

(٥) ينظر: البيان في تفسير القرآن ، ص ٤٨٣ .

(٦) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، ٢٢/٤ .

(٧) سورة الأعراف / من الآية: ٢٣ .

(٨) سورة الكهف / من الآية: ١٠ .

(٩) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، ٢٠٨/١٢ .

مرّات: يَا رَبِّ يَا رَبِّ قِيلَ لَهُ: لَبَّيْكَ مَا حَاجَتُكَ ^(١). وكرره للرجاء والإلحاح والتوسل ^(٢)، وقد تكرر النداء بصيغ أخرى غير ما سبق ، منها (يا الله) كما هو في (دعاء المذخور) ^(٣)، و(إلهي) بحذف حرف النداء كما هو في دعاء الصباح ^(٤)، وكان أكثرها شيوعاً (اللَّهُمَّ) في استهلال بعض الأدعية وتكراره في بداية كل مقطع ، كما هي الحال في دعائه في تحميد الله ﷻ وتوحيده ^(٥) .

٢ التكرار الجزئي:

ويقصد به التكرار الاشتقاقي ، وهو: ((تكرار عنصر سبق (استخدامه)، ولكن في أشكال وفئات مختلفة)) ^(٦)، وذلك بالاستعمالات المتنوعة للجزر اللغوي للكلمة ^(٧)، مثل: (دعا - يدعو - دعاء - دعوة)، وهو شكل آخر من الربط الذي يؤدي إلى استمرارية المعنى ، ويضفي على النصّ طابع التنوع وينفي عنه الرتابة ^(٨). ومن أمثلة ذلك دعاؤه ﷻ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ جَوْرِ كُلِّ جَائِرٍ، وَحَسَدِ كُلِّ حَاسِدٍ ، وَيَغْيِ كُلِّ بَاغٍ)) ^(٩)، ودعاؤه: ((يَا أَفْضَلَ الْمُنْعَمِينَ فِي آلَانِهِ وَأَنْعَمَ الْمُفْضَلِينَ فِي نِعْمَانِهِ كَثُرَتْ أَيْدِيكَ عِنْدِي فَعَجَزْتُ عَنْ إِحْصَائِهَا ، وَصِفْتُ دُرْعاً فِي شُكْرِي لَكَ بِجَزَائِهَا)) ^(١٠)، ودعاؤه: ((يَا أَسْمَعَ مَدْعُوٍّ ، وَخَيْرَ مَرْجُوٍّ ، وَأَحْلَمَ مُغْضًى ، وَأَقْرَبَ مُسْتَعَاثٍ ، أَدْعُوكَ مُسْتَعِثاً اسْتِغَاثَةَ الْمُتَحَيِّرِ الْمُسْتَيْئِسِّ مِنْ إِغَاثَةِ خَلْقِكَ ، فَعُدْ بِلُطْفِكَ عَلَيَّ ضَعْفِي، وَاغْفِرْ بِسَعَةِ رَحْمَتِكَ كِبَائِرَ ذُنُوبِي ، وَهَبْ لِي عَاجِلَ صُنْعِكَ ، إِنَّكَ أَوْسَعُ الْوَاهِبِينَ)) ^(١١)، فضلاً على وظيفته في تماسك

(١) أصول الكافي ، ٤٨٨/٢ .

(٢) ينظر: أسرار الليل في شرح دعاء كميل ، ص ٣٢٨ .

(٣) ينظر: الصحيفة العلوية الجامعة ، ص ٣٤-٣٦ .

(٤) ينظر: بحار الأنوار ، ٢٤٣/٩٤ .

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ٣١/٧ .

(٦) نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص ١٠٧ .

(٧) ينظر: علم النصّ أسسه المعرفية وتجلياته النقدية (بحث) ، ص ١٤٦ .

(٨) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ١٤٥ .

(٩) فلاح السائل ، ص ٢٤٩ .

(١٠) مصباح الكفعمي ، ٤٣٣/١ .

(١١) مهج الدعوات ومنهج العبادات ، ص ١٤٦ .

النص ، فقد ارتبط التكرار بموضوع الدعاء ، ففي الدعاء الأول نجد التكرار الجزئي بين (جور - جائر)، و (حسد - حاسد)، و (بغي - باغ)، ارتبط بالاستعانة التي هي موضوع الدعاء ، وقد أكد الأشياء التي منها يستعيز الداعي ، وفي الدعاء الثاني كان التكرار بين (أفضل - المفضلين)، و(المنعمين - أنعم - نعماء)، وقد ارتبط بالشكر فتكرر ذكر الفضل والنعمة تأكيداً على أنها منه سبحانه وتعالى؛ ((لأن تصور النعمة من المنعم ، ومعرفة أنها نعمة منه ، عينُ الشكر))^(١)، فأظهر شكر الجوانح بعد أن عجز عن أداء شكر الجوارح . وفي الدعاء الثالث كان التكرار الجزئي بين (مستغاث - مستغيثاً - استغاثة - إغاثة) مرتبطاً أيضاً بموضوع الدعاء وهو الاستغاثة ، وقد توافرت أركان الخطاب الثلاثة في هذا التكرار من المخاطب (المستغيث) والمخاطب (المستغاث) وموضوع الخطاب (الاستغاثة) مع بلاغة التعبير في استعمال المصدر (استغاثة) مع الله ﷻ و(إغاثة) مع الخلق، فهو يطلبها من الله رجاءً ويستغني عنها من المخلوقين استئناساً .

٣) الاشتراك اللفظي:

وهو أن تشترك كلمتان أو أكثر في التأليف الصوتي مع اختلاف في المعنى^(٢)، وهو ما يسمى في علم البديع بالجناس التام ، ويتحقق الربط بتوهم السبك المعجمي عندما يرتد ذهن السامع إلى الطرف الأول من طرفي الجناس فيظن أن له المعنى نفسه الذي للطرف الثاني ، ثم حين يعود إلى السياق يتبين له زيف ما ظنّه ، وأنه قد وهم^(٣)، فيكون لهذا التكرار وظيفة إعلامية مهمة ، وهي إيجاد عنصر المفارقة^(٤). ومن أمثلة ذلك دعاؤه ﷻ: ((وَأَسْأَلُكَ مَا كَانَ أَوْفَى بِعَهْدِكَ ، وَأَقْضَى لِحَقِّكَ ، وَأَرْضَى لِنَفْسِكَ ، وَخَيْرًا لِي فِي الْمَعَادِ عِنْدَكَ ، وَالْمَعَادِ إِلَيْكَ))^(٥)، وقد حصل السبك المعجمي بين لفظة (المعاد) الأولى التي كانت بمعنى (يوم القيامة)، و(المعاد) الثانية التي كانت بمعنى (الرجوع) . وفي دعائه ﷻ: ((

(١) شرح منازل السائرين ، ص ٣٦٥ .

(٢) ينظر: الاشتراك اللغوي والمعنى السياقي (بحث) ، ص ٤١٥ .

(٣) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية ، ص ١٠٥ .

(٤) ينظر: نظرية علم النص ، ص ١٠٨ .

(٥) الإقبال بالأعمال الحسنة ، ٢١٣/٣ .

فَالْوَحْدَانِيَّةُ آيَةُ الرُّبُوبِيَّةِ ، وَالْمَوْتُ الْآتِي عَلَى خَلْقِهِ مُخْبِرٌ عَنْ خَلْقِهِ وَقُدْرَتِهِ ((^(١))، فلفظة (خلق) الأولى بمعنى (المخلوق)، والثانية بمعنى (الإيجاد)، وإذا كانت الأولى ترتبط بالموت فإنَّ الثانية ترتبط بالإحياء ، وهنا عنصر المفارقة . وكذلك في دعائه: ((إِلَهِي كَيْفَ أَدْعُوكَ وَأَنَا أَنَا ، أَمْ كَيْفَ أَيْأَسُ مِنْكَ وَأَنْتَ أَنْتَ))^(٢)، والسبك المعجمي حصل هنا بين الضمير (أنا) الذي أحال في المرة الأولى على ذات الدّاعي ، وفي الثانية على نفسه بما تحمله من الذنوب والخطايا مما لا يؤهلها للدعاء، فكان في المرة الأولى مبتدأ وفي الثانية خبراً ، وبين الضمير (أنت) الذي أحال في المرة الأولى إلى الذات المقدسة، وفي المرة الثانية إلى ما تتصف به من الرحمة والمغفرة ، وهذا ليس من باب التكرار الذي يفيد التوكيد، وإنما هو معنى جديد له حسن الإفادة ، على الرغم من أن الصورة صورة التكرير والإعادة^(٣) .

ب- الترادف أو شبه الترادف:

ويطلق عليه دي بوجراند، ودريسler مصطلح (إعادة الصياغة) عندما يتكرر المحتوى مع تغيير في التعبير^(٤)، وقد عرّفه "ستيفن أولمان Stephen Ullmann" بأنه: ((ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق))^(٥). وبصرف النظر عن الخلاف بين من يقول بوجود الترادف، ومن يقول بعدمه^(٦)، أو من يقول بندرة الترادف المطلق في أي لغة^(٧)، فإنّه لما بين الطرفين من علاقة دلالية ، يعدّ وسيلة سبك معجمية تسهم في امتداد المعنى في داخل النصّ بوصفه شكلاً من أشكال التكرار^(٨)، فللتكرار أكثر من صورة واحدة فقد يكون تكراراً للفظ ، وقد يكون تكراراً للمعنى^(٩) .

(١) مهج الدعوات ومنهج العبادات ، ص ١٤٤ .

(٢) البلد الأمين والدرع الحصين ، ص ٤٤٠ .

(٣) ينظر: أسرار البلاغة ، ص ١٧ .

(٤) ينظر: مدخل إلى علم لغة النصّ ، ص ٨٨ .

(٥) دور الكلمة في اللغة ، ص ١١٩ .

(٦) ينظر: الترادف في اللغة ، ص ١٩١ .

(٧) ينظر: الكلمة دراسة لغوية معجمية ، ص ١٣٢ .

(٨) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ١٤٩ .

(٩) ينظر: ظاهرة الربط في التركيب والأسلوب العربي (بحث) ضمن كتاب مقالات في اللغة والأدب ، ١ / ١٨٩ .

وقد تعددت صور الربط بالترادف في الدعاء ، فقد يقع الترادف داخل الجملة الواحدة ، وعندها يكون مدى الربط قصيراً نحو، دعائه عليه السلام: ((وَيَا عَالِمَ السِّرِّ وَالنَّجْوَى ، وَيَا كَاشِفَ الضُّرِّ وَالْبَلَوِّ))^(١)، ومع أن هناك فارقاً في الدلالة بين لفظتي (السّر) و (النجوى)، إلا أنّهما ينتميان إلى حقل دلالي واحد، ما يجعل عملية الربط بينهما حاصلة ، والفرق هو: ((أن النجوى اسم للكلام الخفي الذي تتاجي به صاحبك ، كأنك ترفعه عن غيره ... والسر إخفاء الشيء في النفس ، ولو اختفى بستر أو وراء جدار لم يكن سرّاً ، ويقال: في هذا الكلام سر تشبيهاً بما يخفي في النفس))^(٢)، فالسرّ أشدّ خفاءً من النجوى؛ لأنّه لا يتجاوز المرء ، والنجوى تتجاوز المرء إلى غيره ، فهي ما اطلع عليه بعض الناس من دون بعض ، وقد جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾^(٣)، وفي تفسيرها يقول الطاهر بن عاشور: ((والسرّ ما يخفيه المرء من كلام وما يضمّر في نفسه فلا يُطلع عليه الناس ... والنجوى المحادثة بخفاء أي يعلم ما يضمرونه في أنفسهم وما يتحدّثون به حديثاً سرّاً لا يطلع عليه غيرهم . وإنّما عطف النجوى على السرّ مع أنّه أعمّ منها لينبئهم باطلاعه على ما يتتاجون به من الكيد والطعن . ثم عمّ ذلك بقوله : "وأن الله علام الغيوب" أي قوي علمه لجميع الغيوب))^(٤)، وبذلك يكون الجامع الذي به تمّ الربط بينهما هو (الغيب) عن عامة الناس ، فهو الحقل الدلالي الذي ينتميان له ؛ ولذلك ختمت الآية الكريمة بقوله: ((وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)) . وقد يقع الترادف بين جملتين ، وعندها يكون مدى الربط طويلاً نسبياً ، كما في دعائه: ((وَأَصْبَحَ دَائِي مُسْتَجِيراً بِدَوَائِكَ ، وَأَصْبَحَ سَقْمِي مُسْتَجِيراً بِشِفَائِكَ))^(٥)، والجامع اللغوي بين (الداء) و (السقم) الحقل الدلالي الذي يجمعهما، هو: (المرض)، فالداء هو: المرض^(٦)، والسقم هو: المرض^(٧)، فكان

(١) مصباح الكفعمي ، ٤٣٣/١ .

(٢) الفروق اللغوية ، ص ٦٣ .

(٣) سورة التوبة / الآية: ٧٨ .

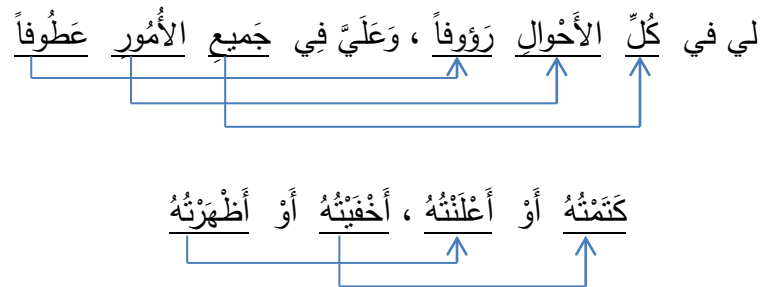
(٤) تفسير التحرير والتنوير ، ٢٧٤/١٠ .

(٥) مهج الدعوات ومنهج العبادات ، ص ١٥٣ .

(٦) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية ، ٥١/١ ، مادة (دوا) .

(٧) ينظر: لسان العرب ، ٣٣١/٦ ، مادة (سقم) .

ذكر الآخر يستدعي تذكر الأول فيتم الربط بذلك . ومن ذلك أيضاً دعاؤه: ((يا ربَّ اَرْحَمْ ضَعْفَ بَدَنِي وَرِقَّةَ جُلْدِي وَدِقَّةَ عَظْمِي))^(١)، والفرق بين الرقيق والدقيق: ((أن الدقيق: خلاف الغليظ ، والرقيق: خلاف الثخين ، ولهذا يقال: حَسَاء رَقِيقٌ وَحَسَاء ثَخِينٌ ، ولا يقال فيه: حَسَاء دَقِيقٌ))^(٢)، وفضلاً على الربط بالتترادف كان هناك السبك الصوتي في الجناس الناقص بين (دقق) وبين (رقق)، وإن كان السبك الصوتي يجب ألا يدخل في مباحث علم اللغة النصّي ، إلا إذا عمل على الاستمرارية الدلالية للنصّ مثلاً هو حاصل هنا . وقد يكون الربط بإعادة الصياغة بين الجمل ، بحيث تصبح كل كلمة في الجملة الأولى مرادفة لنظيرتها في الجملة الثانية ، فتنشأ جملتان (مترادفتان) في المعنى، نحو دعائه : ((وَكُنِ اللَّهُمَّ بِعِزَّتِكَ لِي فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ رَوْوفاً ، وَعَلَيَّ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ عَطُوفاً))^(٣)، ودعائه: ((إِلَهِي وَسَيِّدِي ، فَاسْأَلْكَ بِالْقُدْرَةِ الَّتِي قَدَّرْتَهَا ... أَنْ تَهَبَ لِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَفِي هَذِهِ السَّاعَةِ كُلَّ جُرْمٍ أَجْرَمْتُهُ ... وَكُلَّ جَهْلٍ عَمِلْتُهُ ، كَتَمْتُهُ أَوْ أَعْلَنْتُهُ ، أَخْفَيْتُهُ أَوْ أَظْهَرْتُهُ))^(٤)، ويمكن توضيح ذلك بالرسم الآتي:



(١) مصباح المتجهّد ، ص ٥٨٥ .

(٢) لسان العرب ، ٤ / ٤٣٨-٤٣٩ ، مادة (دقق) .

(٣) مصباح المتجهّد ، ص ٥٨٥ .

(٤) مصباح المتجهّد ، ص ٥٨٧ .

ج- الكلمة الشاملة:

ويقصد بها ((أن احدى الكلمات تشير إلى فئة ، والكلمة الأخرى تشير إلى عنصر في هذه الفئة))^(١)، فالكلمة التي تشكل أساساً مشتركاً لمجموعة من الأسماء يطلق عليها (الكلمة الشاملة)، مثل الأسماء: الناس ، الشخص ، الرجل ، المرأة ، الولد ، الطفل ، البنت ، فهي أسماء تشملها جميعاً كلمة (إنسان)^(٢)، وهو نوع من الربط يتم بالاقتران بين الكلمة الشاملة وما ينضوي تحتها. وقد ورد مثل ذلك في أدعية الإمام عليه السلام كدعائه: ((فَكَيْفَ لَا يَعْظُمُ شَأْنُكَ عِنْدَ مَنْ عَرَفَكَ ، وَهُوَ يَرَى مِنْ خَلْقِكَ مَا تَرْتَاعُ بِهِ عُقُولُهُمْ ، وَيَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ ، مِنْ رَعْدٍ تَفْزَعُ لَهُ الْقُلُوبُ ، وَبَرْقٍ يَخْطِفُ الْأَبْصَارَ ، وَمَلَانِكَةٍ خَلَقْتَهُمْ وَأَسْكَنْتَهُمْ سَمَوَاتِكَ))^(٣)، إذ تمثل كلمة (الخلق) الاسم الشامل الذي يندرج تحته (الرعد)، و (البرق)، و (الملائكة)، وهو تفصيل بعد إجمال ، فبعد أن ذكر الخلق وخصه بما ترتاع به عقول الناس ، فصل ذلك بذكر أبرز مصاديقه ، وهو الرعد والبرق والملائكة . ولعل من ابرز أمثلة الربط بالكلمة الشاملة في أدعية الإمام عليه السلام هذا الدعاء وما يماثله من الأدعية ، وهو: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الْغَفُورِ الْغَفَّارِ الْوَدُودِ النَّوَّابِ ، الْوَهَّابِ الْكَبِيرِ ، السَّمِيعِ الْبَصِيرِ الْعَلِيمِ ، الصَّمَدِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ الْمَلِكِ الْمُفْتَدِرِ الْقَادِرِ الْمَلِكِ الْحَقِّ الْمُبِينِ ، الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْمُتَعَالِ ، الْأَوَّلِ الْآخِرِ ، الظَّاهِرِ الْبَاطِنِ ، الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ ، الْمَوْلَى النَّصِيرِ ، الْخَلَّاقِ الْخَالِقِ الْبَارِئِ الْمُصَوِّرِ الْقَاهِرِ ، الْبَرِّ الشَّكَّارِ الشَّكُورِ ، الْوَكِيلِ الشَّهِيدِ ، الرَّؤُوفِ الرَّقِيبِ ، الْفَتَّاحِ الْعَلِيمِ الْكَرِيمِ الْمُحَمَّدِ الْجَلِيلِ ، غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ، مَلِكِ الْمُلُوكِ ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، الدَّائِمِ الْكَرِيمِ ، رَبِّ الْعَالَمِينَ))^(٤)، فبعد أن حمد الله بالكلمة الشاملة وهي (الله)، حمده بما ينضوي تحتها من الأسماء ، ذلك أَنَّ كلمة (الله) هي الاسم ((الجامع لجميع الأسماء الحسنی التسعة

(١) علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ١٠٨ .

(٢) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية ، ص ٨٣ .

(٣) العقد الفريد ، ١٤٤/٤ .

(٤) الدروع الواقية ، ص ١٥٤-١٥٥ .

والتسعين ، أو الثلاثمائة وستين ، التي مَن أحصاها دخل الجنة ... وهذه الأسماء المباركة منطوية في لفظ الجلالة ، انطواء الشعاع في نور الشمس ، مع المسامحة في هذا التشبيه ((^(١)).

د- الكلمة العامة:

وهي: ((مجموعة صغيرة من الكلمات لها إحالة عامة ، و(تستخدم) كوسائل للربط بين الكلمات في النص))^(٢)، ولها من العموم والشمول ما يتسع بكثير عن الشمول الموجود في الاسم الشامل ، وقد مثل هاليداي، ورقية حسن على ذلك بالمثال الآتي: (رأى هنري أن يستثمر أمواله في مزرعة ألبان ، أنا لا ادري ما الذي أوحى إليه بالفكرة) ، فكلمة (الفكرة) هنا كلمة عامة تحيل إلى ما رآه هنري في الجملة الأولى (استثمار أمواله)^(٣). ومن أمثلة ذلك في أدعية الإمام عليه السلام دعاؤه: ((إلهي أَطَعْتُكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ وَهُوَ التَّوْحِيدُ، وَلَمْ أَعْصِكَ فِي أَبْغَضِ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ وَهُوَ الْكُفْرُ، فَاعْفُ رَحِيمَةً لِي مَا بَيْنَهُمَا))^(٤)، فكلمة (شيء) عامة تشمل كل ما موجود إما حساً كالأجسام ، أو حكماً كالأقوال^(٥)، ومن ثم فهي تضمّ كلاً من (التوحيد)، و(الكفر)، وما بينهما ، وتحيل عليها . وكذلك دعاؤه: ((اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ مَا أَرْجُو، وَلَا أَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَا أَخْذَرُ، إِلَّا بِكَ وَالْأَمْرُ بِبَيْدِكَ))^(٦)، فالأمر ((لفظ عام للأفعال والأقوال كلها))^(٧)، فينضوي تحته كل ما سبق من الأقوال والأفعال مما رجاه الداعي أو حذر منه .

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، ١٦/١ .

(٢) علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ١٠٨ .

(٣) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية ، ص ٨٣ .

(٤) مصباح الكفعمي ، ٤٢٤/١ .

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، ص ٣٣٠ .

(٦) الدروع الواقية ، ص ٢١٢ .

(٧) المفردات في غريب القرآن ، ص ٣٤ .

المبحث الثاني: التضام (المصاحبة المعجمية) Collocation:

وهي: ((علاقة أفقية تجمع بين لفظين متجاورين ، أو متباعدين ؛ لوجود المناسبة بينهما، وهذه العلاقة يعتادها أبناء اللغة الواحدة ، بحيث يمكن توقع ورود كلمة محددة في النصّ من خلال ذكر كلمة أخرى فيه))^(١). إذ يرتبط عنصر بعنصر آخر نتيجة الظهور المشترك المتكرر بينهما في سياقات متماثلة^(٢)، وتمتاز هذه الظاهرة بعدم افتقارها إلى مرجعية سابقة أو لاحقة مثلما هي الحال مع عناصر السبك النحوي^(٣)، فهي تعتمد على معرفة القارئ المسبقة بالكلمات في سياقاتها المتشابهة ، فضلاً على فهمه لتلك الكلمات في سياقات النصّ المترابط^(٤). وللمصاحبة المعجمية امتدادات ظهرت في دراسات القدماء من البلاغيين العرب في مسميات مثل: المطابقة^(٥)، والمقابلة^(٦)، ومراعاة النظر^(٧)، وإن لم يصطلحوا على تسميتها بما عرفت به عند النصّيين ، وإنما تناولوها بوصفها من مظاهر المحسنات البديعية ، التي تعتمد على حسن اللفظ والأسلوب^(٨) .

ويصنف النصّيون هذه العلاقات المعجمية – على الرغم من شدة التداخل فيما بينها – على

النحو الآتي^(٩):

-
- (١) علم لغة النصّ والأسلوب ، ص ٥٦ .
 - (٢) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ١٠٩ .
 - (٣) ينظر: نظرية علم النصّ ، ص ١١١ .
 - (٤) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ١٠٩ .
 - (٥) المطابقة: ((وتسمى الطباق ، والتضاد أيضاً ، وهي الجمع بين المتضادين ، أي معنيين متقابلين في الجملة))
 - (٦) الإيضاح في علوم البلاغة ، ٧/٦ .
 - (٧) المقابلة: ((وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين ، أو معان متوافقة ، ثم بما يقابلها ، أو يقابلها على الترتيب)) الإيضاح في علوم البلاغة ، ١٦/٦ .
 - (٨) مراعاة النظر: ((وتسمى التناسب والائتلاف والتوفيق أيضاً ، وهي أن يُجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد)) الإيضاح في علوم البلاغة ، ١٩/٦ .
 - (٩) ينظر: علم لغة النصّ والأسلوب ، ص ٥٩ .
 - (٩) ينظر: السابق نفسه ، ص ١٣١ .

أ) علاقة التضاد ، نحو قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(١) .

ب) علاقة التدرج في سلسلة مرتبة ، مثل: (أيام الأسبوع أو الشهور) .

ج) علاقة الجزء بالكل ، مثل: (السقف - الجدران - الحجرة) وعلاقتها بالمنزل .

د) علاقة الجزء بالجزء ، مثل: (الأنف - العين) .

هـ) علاقة الصنف العام ، مثل: (الطواف - الكعبة - السعي) وعلاقتها بالحج ، فهو

الصنف الذي يجمعها .

و) علاقة التلازم الذكري ، مثل: (المرض - الطبيب) و(السفر - الطائرة) و(الطالب

- الامتحان) .

أ- التضاد:

يتحقق الربط في التضاد بتوقع القارئ للكلمة المقابلة^(٢)، معتمداً على حدسه اللغوي ، ومعرفته

بمعاني الكلمات ، وغير ذلك^(٣)، والتضاد المقصود به هنا هو ليس التضاد المنطقي دائماً، والذي يعني:

((الوجوديان المتعاقبان على موضوع واحد ، ولا يتصور اجتماعهما فيه ، ولا يتوقف تعقل احدهما على

تعقل الآخر))^(٤)، وإنما يعني المعنى المقابل لمعنى الكلمة ، التي عندما تذكر يتوقع معها الذهن ذكر

(١) سورة آل عمران / الآية: ٢٦ .

(٢) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ١٠٩ .

(٣) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ٢٥ .

(٤) المنطق ، ص ٥٢ .

ما يقابلها ، وإن كان التقابل المنطقي بين الكلمتين يعدّ أقوى سبكاً ، فكلما كان التضاد حاداً (غير متدرج) كان أكثر قدرة على الربط النصّي، والتضاد الحاد قريب من النقيض عند المناطقة^(١) .

ومثّل التضاد ظاهرة أسلوبية واضحة في أدعية الإمام عليه السلام برزت في أدعية كثيرة ، وقد تعددت مستويات الربط فيه من المستوى القصير على مستوى الجملة الواحدة، مثل دعائه: ((أَصْبَحْ ذُلِّي مُسْتَجِيراً بِعِزَّتِكَ ، وَأَصْبَحْ فَقْرِي مُسْتَجِيراً بِغِنَاكَ ، وَأَصْبَحْ جَهْلِي مُسْتَجِيراً بِحِلْمِكَ ، وَأَصْبَحْتُ قِلَّةَ حِيلَتِي مُسْتَجِيراً بِقُدْرَتِكَ ، وَأَصْبَحْ خَوْفِي مُسْتَجِيراً بِأَمَانِكَ ، وَأَصْبَحْ دَائِي مُسْتَجِيراً بِدَوَائِكَ ، وَأَصْبَحْ سُقْمِي مُسْتَجِيراً بِشِفَائِكَ ، وَأَصْبَحْ حَيْنِي^(٢) مُسْتَجِيراً بِقَضَائِكَ ، وَأَصْبَحْ ضَعْفِي مُسْتَجِيراً بِقُوَّتِكَ ، وَأَصْبَحْ ذَنْبِي مُسْتَجِيراً بِمَغْفِرَتِكَ ، وَأَصْبَحْ وَجْهِي الْفَانِي الْبَالِي مُسْتَجِيراً بِوَجْهِكَ الْبَاقِي الدَّائِم الَّذِي لَا يَبْلَى وَلَا يَفْنَى))^(٣)، وقد كوّن التضاد بتكراره بين الجمل سلسلة تراكيب متوازية من التقابل بين (ذلي - عزتك) و (فقري - غناك)، و (جهلي - حلمك)، و (خوفي - أمانك)، و (دائي - دوائك)، و (سقمي - شفائك)، و (ضعفي - قوتك)، و (ذنبي - مغفرتك)، و (وجهي الفاني البالي - وجهك الباقي الدائم)، وقد لا يكون التضاد معجماً ولكن السياق يجعله كذلك ، كما في (وَأَصْبَحْتُ قِلَّةَ حِيلَتِي مُسْتَجِيراً بِقُدْرَتِكَ) و (وَأَصْبَحْ حَيْنِي مُسْتَجِيراً بِقَضَائِكَ)، وفي الجمع بين الأضداد ما ينسجم وموضوع الدعاء وهو الاستجارة، فإنّما الأمر يدفع بضده ؛ ولأنّ الدّاعي محل النقصان ، والمدعو محل الكمال، استجار لدفع صفات النقصان عنده بما يقابلها من صفات الكمال عنده، ((فَأَوْلِيَاؤُهُ بِعِزِّهِ يَغْتَرُّونَ))^(٤)، وبغناه يغتترون، وبأمنه يأمنون وهكذا .

وفضلاً على الوظيفة البديعية للتضاد بوصفه من المحسنات المعنوية جاء منسجماً وبنية الدعاء الدلالية ليؤدي وظيفته الإبلاغية ، مما حفز المتلقي على المقارنة والتفاعل مع النصّ بذكر الشيء

(١) ينظر، نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص ١١٣ .

(٢) الحين بفتح الحاء وإسكان العين ، لسان العرب ، ٤٩٦/٣ ، مادة (حين) .

(٣) مهج الدعوات ومنهج العبادات ، ص ١٥٣ .

(٤) البلد الأمين والدرع الحصين ، ص ٣٥٨ .

وضده ، فالنفس أدعى إلى التأثر بالشيء وضده ، لأن وجودهما معاً يقوي المعنى ويزيده تأكيداً في نفس السامع^(١)، كما في دعائه عليه السلام: ((وَنَقَلْتَنِي مِنْ حَالٍ ضَعْفٍ إِلَى حَالٍ قُوَّةٍ ، وَمِنْ حَالٍ جَهْلٍ إِلَى حَالٍ عِلْمٍ ، وَمِنْ حَالٍ فَقْرٍ إِلَى حَالٍ غِنَى ، وَكُنْتُ فِي ذَلِكَ رَحِيماً رَفِيقاً بِي ، تُبَدِّلُنِي صِحَّةً بِسَقَمٍ ، وَجِدَّةً بِعَدَمٍ ، وَنُطْقاً بِبُكْمٍ ، وَسَمْعاً بِصَمَمٍ ، وَرَاحَةً بِتَعَبٍ ، وَفَهْماً بِعِيٍّ ، وَعِلْماً بِجَهْلٍ ، وَنُعْمَى بِبُؤْسٍ))^(٢)، فالأشياء تعرف بأضدادها ، وحتى يلتفت الإنسان إلى النعمة قرننها بضدها ، فمن طبيعة الإنسان أنه لا يشعر بعظيم النعم إلا عندما يمرّ بضدها ، فمن يعرف الضعف يقدر القوة ، ومن يعرف الجهل يقدر العلم ، ومن يعرف الفقر يقدر الغنى ، ومن يعرف السقم يقدر الصحة ، ومن يعرف العدم يقدر الجدة ، ومن يعرف البكم يقدر النطق ، ومن يعرف الصمم يقدر السمع ، ومن يعرف التعب يقدر الراحة ، ومن يعرف العي يقدر الفهم ، ومن يعرف البؤس يقدر النعمى ، وهذا الأسلوب في الإبلاغ والدعوة مما يكون أثره أوقع في النفوس ، وأنفع في التذكير .

وقد يكون التضاد فوق مستوى الجملة فيكون مدى الربط أطول ، كما في دعائه عليه السلام: ((فَاجْعَلِ اللَّهُمَّ صَبَاحِي هَذَا نَازِلاً عَلَيَّ بِضِيَاءِ الْهُدَى ، وَبِالسَّلَامَةِ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا ، وَمَسَائِي جُنَّةً مِنْ كَيْدِ الْعَدَى ، وَوَقَايَةً مِنْ مُرْدِيَاتِ الْهَوَى))^(٣)، وتعقيب (مَسَائِي) لـ (صَبَاحِي) من صنعة (مراعاة النظير)^(٤)، فإنّ من مراعاة النظير ما يكون فيه الجمع بين الشيء وضده ، مثل: الليل والنهار، والصبح والمساء ، والحياة والموت^(٥)، مما جعل كل لفظة من هاتين اللفظتين نظيرة للأخرى ، وهو ما يعكس الوظيفة التي يحققها هذا الفن ، وهي وظيفة تحقيق التناسب^(٦)، الذي يصير معه الكلام متلاحماً شديداً

(١) ينظر: الإبلاغية في الشاهد الشعري (أطروحة دكتوراه) ، ص ١١٢ .

(٢) مصباح الزائر ، ص ٩١ .

(٣) بحار الأنوار ، ٢٤٥/٩٤ .

(٤) ينظر: شرح دعاء الصباح ، ص ١٦١ .

(٥) ينظر: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، ص ٥١٨ .

(٦) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصيّة ، ص ١١٣ .

ملاءمة الألفاظ^(١) . ومن الأمثلة الأخرى على تجاوز السبك المعجمي في التضاد مستوى الجملة دعائه ﷺ: ((فَالْوَيْلُ لِي مِنْكَ ثُمَّ الْوَيْلُ ، أَكْثَرُ ذِكْرِكَ فِي الضَّرَاءِ ، وَأَغْفُلُ عَنْهُ فِي السَّرَّاءِ ، وَأَخِفُّ فِي مَعْصِيَتِكَ ، وَأَثْقَلُ عَنْ طَاعَتِكَ ، مَعَ سُبُوغِ نِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَحُسْنِ بِلَائِكَ لَدَيَّ ، وَقِلَّةِ شُكْرِي ، بَلْ لَا صَبْرَ لِي عَلَى بَلَاءٍ ، وَلَا شُكْرَ لِي عَلَى نِعْمَاءٍ))^(٢)، وقد تعددت صور التضاد فيه بين اسم واسم ، كما في (الضَّرَاءُ - السَّرَّاءُ) و (مَعْصِيَتِكَ - طَاعَتِكَ) و (بَلَاءٌ - نِعْمَاءٌ)، وبين فعل وفعل ، كما في (أَخِفُّ - أَثْقَلُ)، وبين اسم وفعل ، كما في (ذِكْرَكَ - أَغْفُلُ)، ويشير تعدد صور التضاد في النص إلى وفرة الحويلة اللغوية لدى كاتبه^(٣)، وجعل السياق كلمة (صَبْرٌ) في مقابل كلمة (شُكْرٌ)، فما ليس متضاداً في المعجم يجعله السياق التداولي متضاداً أحياناً .

ب- علاقة التدرج في سلسلة مرتبة:

وفيه يتم توقع العنصر القادم بحسب سلسلة العلاقات التي يحددها العرف الاجتماعي أو الثقافي أو المنطقي ، وهذا يؤكد أهمية البعد المقامي في إنشاء علاقة الربط بين عناصر النص ، فمن أمثلة التسلسل المنطقي دعاؤه ﷺ: ((اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَقْلِنِي عَثْرَتِي وَآمِنْ رَوْعَتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي وَمِنْ تَحْتِي))^(٤)، فهذه الجهات هي التي تحيط بالإنسان ، ويمكن أن يكون هذا التعبير كناية عن أنَّ الشيطان يحاصر الإنسان من كل الجهات ، ويتوسل إلى إغوائه بكل وسيلة ممكنة ، ويسعى إلى إضلاله^(٥)، وقد توعد الشيطان الإنسان على ذلك ، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَهُمْ مِّنْ

(١) ينظر: تحرير التخبير ، ٣/٣٦٥-٣٦٦ .

(٢) مصباح الزائر ، ص ٩٢ .

(٣) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص ١٥٣ .

(٤) الدروع الواقية ، ص ٢٢٢ .

(٥) ينظر: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٤/٣٢٠ .

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١﴾ ، وحتى يسعى الإنسان إلى سدّ هذه المنافذ يرشده الإمام عليه السلام إلى وسائل منها هذا الدعاء . وأما علاقات التسلسل الذي يحدده السياق الثقافي فيختلف من مجتمع إلى آخر ، ومن أمثلتها دعاؤه عليه السلام : ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أَشْهَدُكَ وَكَفَى بِكَ شَهِيداً ... بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ... وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَعَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ وَجَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ وَعَلِيَّ بْنَ مُوسَى وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ وَعَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ وَالْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَالْخَلَفَ الصَّالِحَ الْحُجَّةَ الْقَائِمَ الْمُنتَظَرَ ، صَلَوَاتُكَ يَا رَبِّ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، هُمْ الْأَئِمَّةُ الْهُدَاةُ الْمُتَهْتَدُونَ غَيْرُ الضَّالِّينَ وَلَا الْمُضِلِّينَ ... صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِمْ وَالسَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَاكْتُبْ لِي هَذِهِ الشَّهَادَةَ عِنْدَكَ حَتَّى تُلَقِّنِيهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنْتَ عَنِّي رَاضٍ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))^(٢) ، ومنشأ هذا التسلسل للأئمة عليهم السلام ما جاء عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ، فقد قال : ((لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى يَكُونَ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً مِنْ قُرَيْشٍ))^(٣) ، ولما ورد في فرائد السمطين^(٤) ونقله عنه القندوزي في (ينابيع المودة) في حديث اليهودي مع الرسول الكريم صلى الله عليه وآله حينما سأله عن أشياء منها سؤاله عن وصيه ، فقال صلى الله عليه وآله : ((إِنْ وَصِيَّ عَلِيٌّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَبَعْدَهُ سِبْطَايَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ، تَتْلُوهُ تِسْعَةُ أُمَمَةٍ مِنْ صُلْبِ الْحُسَيْنِ . قَالَ : يَا مُحَمَّدُ فَسَمِّهِمْ لِي . قَالَ : إِذَا مَضَى الْحُسَيْنُ فَابْنُهُ عَلِيٌّ ، فَإِذَا مَضَى عَلِيٌّ فَابْنُهُ مُحَمَّدٌ ، فَإِذَا مَضَى مُحَمَّدٌ فَابْنُهُ جَعْفَرٌ ، فَإِذَا مَضَى جَعْفَرٌ فَابْنُهُ مُوسَى ، فَإِذَا مَضَى مُوسَى فَابْنُهُ عَلِيٌّ ، فَإِذَا مَضَى عَلِيٌّ فَابْنُهُ مُحَمَّدٌ ، فَإِذَا مَضَى مُحَمَّدٌ فَابْنُهُ عَلِيٌّ ، فَإِذَا مَضَى عَلِيٌّ فَابْنُهُ الْحَسَنُ ، فَإِذَا مَضَى الْحَسَنُ فَابْنُهُ الْحُجَّةُ مُحَمَّدُ الْمَهْدِيُّ ، فَهَؤُلَاءِ اثْنَا عَشَرَ))^(٥) ، وورد أيضاً هذا التسلسل بأسمائهم عليهم السلام في كتاب (كفاية الأثر) فيما روي عن الإمام

(١) سورة الأعراف / الآيتان : ١٦ - ١٧ .

(٢) جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع ، ص ٢٨٢ .

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ٤٠١/٣٤ .

(٤) فرائد السمطين ، ١٣٤/٢ .

(٥) ينابيع المودة ، ٤٩٩/٣ .

الحسين عليه السلام^(١)، ومن هنا ورد أنه من أنكر واحداً منهم فقد أنكر نبوة النبي صلى الله عليه وآله^(٢)؛ ولذلك على من آمن بأولهم أن يتسلسل بإيمانه حتى آخرهم كي يتحقق عنده الترابط (النصي) في علاقة التدرج في سلسلة مرتبة .

ج - علاقة الجزء بالكل:

ومن أمثلتها في أدعية الإمام علي عليه السلام دعاؤه: ((إلهي هذه صلاتي صلّيتها لا حاجة منك إليها ، ولا رغبة منك فيها ، إلا تعظيماً وطاعة وإجابة لك إلى ما أمرتني به ، إلهي إن كان فيها خلل أو نقص من نيتها أو قيامها أو قراءتها أو ركوعها أو سجودها فلا تؤاخذني وتفضل عليّ بالقبول والغفران ، برحمتك يا أرحم الراحمين))^(٣)، فالصلاة هي العنوان الكلي الذي من أجزائه: النية ، والقيام ، والقراءة ، والركوع ، والسجود ، وفي تدارك الخلل فيها والنقصان ما يوجب القبول والغفران ، فإن في إقامة الصلاة بحدودها وركوعها وسجودها وتسليمها نجاة من النار ، وفي قبولها تقبل سائر الأعمال، وإن ردت ردّ ما سواها من الأعمال الصالحة^(٤)، ومن الأمثلة الأخرى دعاؤه عليه السلام: ((أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة يشهد بها سمعي وبصري ، ولحمي ودمي ، وشعري وبشري ، ومخي وقصبي وعصبي وما تستقل به قدمي))^(٥)، فالضمير المستتر في (أشهد) هو الكل الذي بتشهده تشهدت معه جميع أجزائه ، وهي دلالة على إخلاص التوحيد العملي الذي نطق به الجوارح بسلوكها، فالجوارح تبع (للقلب) ، فهو أمير البدن وإمام الجسد ، الذي لا تورد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه، وأمره ونهيه^(٦) .

(١) ينظر: كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر ، ص ١٦٩-١٧٠ .

(٢) قال النبي صلى الله عليه وآله: ((الأئمة من بعدي اثنا عشر، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم القائم ، طاعتهم طاعتي ، ومعصيتهم معصيتي ، من أنكر واحداً منهم فقد أنكرني)) . الاعتقادات ، ص ١٠٤ .

(٣) مصباح الكفعمي ، ٣١/١ .

(٤) ينظر: علل الشرائع ، ٣٥٢/٢-٣٥٣ .

(٥) الدروع الواقية ، ص ١٩٥ .

(٦) ينظر: بحار الأنوار ، ٤٩/٩٣ .

د- علاقة الجزء بالجزء:

وفي هذه العلاقة ترتبط الأجزاء بعضها ببعض في علاقة عضوية باتجاه بنية النص الدلالية ،
نحو دعائه عليه السلام: ((إلهي هَبْ لِي قَلْبًا يُدْنِيهِ مِنْكَ شَوْقُهُ ، وَلِسَانًا يَرْفَعُهُ إِلَيْكَ صِدْقُهُ ، وَنَظْرًا يَقْرَبُهُ مِنْكَ حَقُّهُ))^(١)، فالإنسان في كدحه إلى حضرة القدس في (قوس الصعود) يحتاج في صعوده إلى أجنحة
مثنى وثلاث ورباع إلى ما يشاء الله ، ووسيلته إلى ذلك جوارحه التي يعملها الصالح معاً ، يدنو ، ثم
يتدلى ، قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾^(٢)، فإذا وهب الله للإنسان قلباً
مشتاقاً ، ولساناً صادقاً ، ونظراً حقاً ، فإنه يدنو ، ويرتفع ، ويقترب ، حتى يكون قاب قوسين أو أدنى .

هـ- علاقة الصنف العام:

وفيه ترتبط العناصر بالبنية العليا للخطاب بالمفهوم العام الذي يجمعها وتقع تحته في الحقل
الدلالي ، نحو دعائه عليه السلام في تعليمه لأصحابه ضمن حديث الأربعمائة عند تهنئة القادم من مكة: ((قَبْلِ
اللَّهِ نُسُكُكَ ، وَرَحِمَ سَعْيِكَ ، وَ أَخْلَفَ عَلَيْكَ نَفَقَتَكَ ، وَلَا جَعَلَهُ آخِرَ عَهْدِكَ بِبَيْتِهِ الْحَرَامِ))^(٣)، فالنسك،
والسعي ، والنفقة ، والبيت الحرام ، كلها عناصر تقع تحت الصنف العام الجامع لها وهو الحج ، وهو
يمثل الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه ، ونحو دعائه عليه السلام في حث أصحابه على القتال يوم صفين: ((
اللَّهُمَّ فَإِنْ رُدُّوا الْحَقَّ فَأَفْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ ، وَشَتَّتْ كَلِمَتَهُمْ ، وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ . إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ
مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنِ دِرَاكٍ : يَخْرُجُ مِنْهُمْ النَّسِيمُ ، وَضَرْبُ يَفْلُقِ الْهَامَ ، وَيُطِيحُ الْعِظَامَ ، وَيُنْدِرُ السَّوَاعِدَ
وَالْأَفْدَامَ ، وَحَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ تَتَّبِعُهَا الْمَنَاسِرُ ، وَيُرْجَمُوا بِالْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا الْحَلَابِبُ ، وَحَتَّى يُجَرَّ
بِبِلَادِهِمُ الْخَمِيسُ يَتْلُوهُ الْخَمِيسُ ، وَحَتَّى تَدْعَقَ الْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ ، وَيَأْغْنَانِ مَسَارِبَهُمْ

(١) الإقبال بالأعمال الحسنة ، ٢٩٨/٣ .

(٢) سورة فاطر / الآية: ١٠ .

(٣) كتاب الخصال ، ٦٣٥/٢ .

وَمَسَارِحِهِمْ^(١)، فالطعن ، والضرب ، والرمي ، والرجم ، والخميس ، ودعق الخيول ، عناصر يربط

بعضها ببعض حقل دلالي تجتمع فيه هو الحرب .

و- علاقة التلازم الذكري:

وابرز مصاديق هذا التلازم الذكري هي ارتباط الصلاة على الرسول الكريم ﷺ بأهل بيته في ادعيته عليه السلام ، ومنها: ((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَتَحَنَّنْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ وَتَحَنَّنْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ أَعْطِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالشَّرَفَ وَالْفَضِيلَةَ وَالْمَنْزِلَةَ الْكَرِيمَةَ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ أَكْثَرَ الْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ شَرَفًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَقْرَبَهُمْ مِنْكَ مَقْعَدًا ، وَأَوْجَهُهُمْ عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَاهًا ، وَأَفْضَلَهُمْ عِنْدَكَ مَنْزِلَةً وَنَصِيبًا))^(٢)، ومنشأ هذا التلازم ما يروى عن رسول الله ﷺ قوله: ((لا تصلوا علي الصلاة البتراء ، فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون ، بل قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد))^(٣)، ولأن اقتران الدعاء بالصلاة عليهم موجب لرفع الحجب عنه ، وهو قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((كل دعاء يدعى الله عز وجل به محجوب عن السماء حتى يصلي على محمد وآل محمد))^(٤). ومنها تلازم ذكر الاستعاذة من النار مع طلب الجنة - ﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾^(٥) - ، كما في دعائه عليه السلام: ((إِلَهِي إِنْ دَعَانِي إِلَى النَّارِ بِذَنْبِي مَخْشِي عِقَابِكَ ، فَقَدْ نَادَانِي إِلَى الْجَنَّةِ بِالرَّجَاءِ حُسْنُ ثَوَابِكَ))^(٦)، ودعائه عليه السلام: ((وَأَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ الَّتِي تَقْدَرْتُ بِهَا أَنْ تَقِينِي مِنَ النَّارِ بِقُدْرَتِكَ،

(١) نهج البلاغة ، ص ١٨١ .

(٢) روضة الكافي ، ص ١٥٠ .

(٣) الصواعق المحرقة ، ٤٣٠/٢ .

(٤) أصول الكافي ، ٤٦١/٢ .

(٥) سورة آل عمران / الآية: ١٨٥ .

(٦) مصباح الكفعمي ، ٤٢٣/١ .

وَتُدْخِلْنِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِكَ))^(١). ومنها تلازم ذكر الدنيا بذكر الآخرة ، كما في دعائه عليه السلام: ((رَبِّي دَعْتَنِي دَوَاعِي الدُّنْيَا مِنْ حَرِّ النَّسَاءِ وَالْبَنِينَ ، فَأَجَبْتُهَا سَرِيعاً ، وَرَكَنْتُ إِلَيْهَا طَائِعاً ، وَدَعْتَنِي دَوَاعِي الْآخِرَةِ مِنَ الزُّهْدِ وَالْإِجْتِهَادِ فَكَبَوْتُ لَهَا ، وَلَمْ أُسَارِعْ إِلَيْهَا مُسَارِعَتِي إِلَى الْحُطَامِ الْهَامِدِ ، وَالْهَشِيمِ الْبَائِدِ ، وَالسَّرَابِ الذَّاهِبِ عَنْ قَلِيلٍ))^(٢)، ودعائه عليه السلام: ((اَللّٰهُمَّ اَلْبَسْنِي الْعَافِيَةَ حَتَّى تُهَنِّئَنِي الْمَعِيشَةَ ، وَاخْتِمْ لِي بِالْمَغْفِرَةِ حَتَّى لَا تَضُرَّنِي مَعَهَا الذُّنُوبُ ، وَاعْفِنِي نَوَائِبَ الدُّنْيَا وَهُمُومَ الْآخِرَةِ ، حَتَّى تُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِكَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))^(٣). والسياق الثقافي هو الذي يحدد علاقة التلازم الذكري بين الأشياء ، وهو يختلف من مجتمع إلى آخر ، وأحياناً من شخص إلى آخر ، ﴿ ... فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^(٤) .

(١) الإقبال بالأعمال الحسنة ، ٣٦٠/٢ .

(٢) مهج الدعوات ومنهج العبادات ، ص ١٢٦ .

(٣) الدروع الواقية ، ص ٢٢٨ .

(٤) سورة البقرة / الآية: ٢٠٠-٢٠١ .

الباب الثاني
الحَبْكُ النَّصِّيُّ فِي أُدْعِيَةِ
الإمام عليٍّ عليه السلام

الفصل الأول

مفهوم الحب وعلاقاته

الفصل الأول:

مفهوم الحبك وعلاقاته

المبحث الأول: مفهوم الحبك وأهميته:

يمثل الحبك المعيار الثاني من المعايير النصّية عند دي بوجراند ، ((وهو يتطلب من الإجراءات ما تنتشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي ... واسترجاعه))^(١)، فهو يختص برصد الاستمرارية المتعلقة في عالم النصّ ، التي تتجلى في منظومة المفهومات والعلاقات الرابطة بينها^(٢)، فما يظهر في البناء السطحي يمثل جزءاً من معنى النصّ ، وليس كل المعلومات الدلالية ، ما يعني أن وحدة النصّ لا توجد بشكل كافٍ إلا بمراعاة بناء القاعدة الدلالية في النصوص أيضاً ، وأما وسائل الربط التركيبية فهي وسائل إضافية تسهل على السامع التعرف على بناء تلك القاعدة ، وفهم ذلك البناء ، وقد عبر هاليداي، ورقية حسن عن ذلك بأنّ النصّ: يمثل وحدة دلالية ، ووحدته ليست في الشكل ، بل في المضمون^(٣) .

فالحبك في حقيقته ((تنظيم مضمون النصّ تنظيماً دلالياً منطقياً))^(٤). وقد حدّد الدكتور سعد مصلوح اختصاص الحبك بأنه متعلق بالاستمرارية الدلالية للنص^(٥)، وهو تعبير يحتاج إلى إعادة نظر، فالسبك أيضاً يحقق الاستمرارية الدلالية للنصّ ، ولكنها استمرارية متحققة عن علاقات الظاهر ، على

(١) النصّ والخطاب والإجراء ، ص ١٠٣ .

(٢) ينظر: نحو أجرومية للنصّ الشعري (بحث) ، ص ١٥٤ .

(٣) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصّي ، ص ٣٧-٣٨ .

(٤) النصّ والخطاب والاتصال ، ص ٩٢ .

(٥) ينظر: نحو أجرومية للنصّ الشعري (بحث) ، ص ١٥٤ .

حين أنَّها في الحبك تكون متحققة عن علاقات الباطن ، ولا يعني هذا عدم اجتماعهما معاً ، بحسب ما سبق توضيحه^(١). فالترابط النصي يتم بنوعين من الربط: يتحقق الأول منهما بأدوات الربط النحوية والمعجمية، والثاني يتمثل في بنية عميقة بوسائل دلالية في المقام الأول ، تقدم إيضاحاً بطرائق الترابط بين تراكيب ربما تبدو غير متسقة أو مفككة على السطح ، وإذا كان الأول ذا طبيعة خطية أفقية تظهر على مستوى تتابع العناصر اللغوية ، فإنَّ الثاني ذو طبيعة دلالية تجريدية تتجلى في علاقات وتصورات تتجزأ العناصر اللغوية أيضاً ؛ إلا أنَّها تحتاج إلى قدرة معينة على استخراجها ووصفها^(٢) .

فالترابط النصي لا يُنجز بروابط لغوية ظاهرة على سطح النصِّ فحسب ، بل يُنجز أيضاً في علاقات ضمنية يرصدها المتلقي في ما يضمه النص ، فيكون مفسراً لطبيعة الترابط، الذي يبدو غير متسق أحياناً ، ويستطيع بها أن يوجد للنص معنى بطريق الاستنباط^(٣)، وعندها يكون المتلقي هو الذي يصمم الحبك الضروري أو ينشئه^(٤). ولما كان الخطاب يقوم على طرفين ، هما: المؤلف والقارئ ، فإنَّ الحبك يتعلق بهما ، فالمؤلف يبني نصاً لغوياً يُفصح به عما في ذهنه ، متمثلاً في دمج القضايا الجزئية التي يعبر عنها النص ، والقارئ يقيمه في عملية قراءة معتمدة على قاعدة الاستنباط، وبهذا المعنى يمكن أن يوصف الخطاب بأنَّه ترابط معرفي مشترك بينهما^(٥)، فالقارئ شريك للمؤلف في صياغة المعنى، لأنَّ عملية القراءة لا تسير في اتجاه واحد من النصِّ إلى القارئ ، وإنما هي عملية تفاعل ((تسير في اتجاهين متبادلين ، من النصِّ إلى القارئ ، ومن القارئ إلى النصِّ . فبقدر ما يقدم النصُّ للقارئ، يضيفي القارئ على النصِّ أبعاداً جديدة ، قد لا يكون لها وجود في النصِّ))^(٦)، وبذلك يكون للعمل الأدبي قطبان ، يمكن تسميتهما بالقطب الفني: وهو نصُّ المؤلف ، والقطب الجمالي: وهو مستوى

(١) ينظر: الباب الأول ، ص ٣٨-٣٩ .

(٢) ينظر: علم لغة النصِّ المفاهيم والاتجاهات ، ص ١٢٢-١٢٣ .

(٣) ينظر: نحو أجرومية للنصِّ الشعري (بحث) ، ص ١٥٤ .

(٤) ينظر: النصُّ والخطاب والاتصال ، ص ٩١-٩٢ .

(٥) ينظر: تحليل الخطاب السياسي ، ص ٢٦٠ .

(٦) القارئ في النصِّ ، نظرية التأثير والاتصال (بحث) ، ص ١٠١ .

المتلقي الذي ينجزه القارئ ، ونظراً إلى هذه القطبية لا يمكن أن يتطابق العمل نفسه مع النصّ، أو مع وجوده الفعلي ، وإنما يجب أن يقع في مكان ما بين الاثنين^(١)، وهذا ما يجعل النصّ موضوعاً لاختلاف التأويل^(٢). فما يكون سبكاً عند متلقٍ قد يكون حبكاً عند متلقٍ آخر، نحو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾^(٣)، فمن جعل هذا الكلام عائداً إلى امرأة العزيز^(٤)، فهو سبك بالإحالة الداخلية القبلية بإرجاع الضمير إلى امرأة العزيز الوارد ذكرها في الآية السابقة: ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(٥)، ومن جعل الكلام عائداً إلى يوسف عليه السلام فهو حبك ؛ لأنّ المتلقي هنا جعل الربط بين الآيتين يتمّ بقضايا منطقية ومعرفية غير ظاهرة على سطح النصّ تفرضها البنية الفكرية للمتلقي على تفسيره أو تأويله^(٦). فالحبك لا يتعلق بالنصّ فقط ؛ ولذا عرّفه "ليفاندوفسكي Lewandowski" في معجمه بقوله: ((ليس الحبك محض خاصة من خواص النصّ، ولكنه أيضاً حصيلة اعتبارات معرفية (بنائية) عند المستمعين أو القراء))^(٧)، فإذا كان السبك ظاهرة مرتبطة بالنصّ والمؤلف ، فالحبك ظاهرة مرتبطة بالنصّ والقارئ معاً^(٨) .

(١) ينظر: القارئ في النصّ ، مقالات في الجمهور والتأويل ، ص ١٢٩-١٣٠ .

(٢) ينظر: نحو أجرومية للنصّ الشعري (بحث) ، ص ١٥٤ .

(٣) سورة يوسف / من الآية: ٥٢ .

(٤) ينظر: تفسير البحر المحيط ، ٣١٦/٥ .

(٥) سورة يوسف / الآية: ٥١ .

(٦) ينظر: تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب) ، ١٥٧/١٨-١٥٩ . وتفسير الميزان ، ١٦٤/١١-١٦٧ .

(٧) النصّ والخطاب والاتصال ، ص ٩١ .

(٨) ينظر: نظرية علم النصّ ، ص ١٢٨ .

المبحث الثاني: البنية الكبرى والبنية العليا:

البنية الكبرى:

يرى فان دايك من منظور النحو التوليدي أنَّ النصَّ: ((بنية سطحية توجهها وتحفرها بنية عميقة دلالية))^(١)، وهذه البنية العميقة هي (كم منظم من التتابعات) التي تعرض البنية المنطقية المجردة للنصّ ، وهي أيضاً نوع من إعادة صياغة مجردة تتحد في النواة (البنية الموضوعية للنصّ) ، وبحسب هذا يمكن أن ينظر إليها (البنية العميقة) بوصفها خطة نصّ ما ، أنَّ هذا الافتراض للبنية العميقة للنصّ يعزز بحسب رأي فان دايك الجوانب الآتية^(٢):

- (١) التماسك الدلالي للنصوص ، الذي يعدّ برأيه ظاهرة تركيبية عميقة .
 - (٢) إمكانية تقديم مختصرات وتلخيصات للنصوص .
 - (٣) إمكانية تذكر (مضمون) نص طويل حتى من دون استعمال الوحدات المعجمية للنصّ نفسه .
 - (٤) إمكانية كتابة نصوص جديدة مطابقة للنصّ الأصلي على مستوى البنية العميقة ، تعيد إنتاج النصّ في أشكال مختلفة ، كما في المحاكاة ، وفي المعالجة الدرامية ، أو السينمائية لرواية ... وغير ذلك .
- إنَّ هذا التصور للنصّ القائم على أساس دلالي يتيح للقارئ أن يحدد البنية الكبرى للنصّ، وهي "عالم محتمل" يجاور "عالمأ فعلياً" ، فعند تفسير النصوص لا يمكن أن نقف على حدود عالمها الفعلي المتمثل في أشياء مادية ، وإنما نحتاج إلى مفهومات تتجاوز حدود الأبنية السطحية لتصل إلى العلاقات العميقة بين الجمل والفقرات والنصوص ، وهي مفهومات ذات طبيعة دلالية في المقام الأول،

(١) مدخل إلى علم النصّ ، مشكلات بناء النصّ ، ص ٥٦ .

(٢) ينظر: السابق نفسه ، ص ٥٦ .

وما أوجه الربط التركيبية إلا تابعة لها^(١)، فعند تحليل النصوص لا يقتصر في ذلك على مستوى الجمل المتوالية فقط ، ولكن على مستوى إجمالي أعلى تحت هيمنة (الموضوع)، وأنّ المتصور النظري الذي يستعمل لوصف هذا المعنى الإجمالي هو البنية الكبرى ، ولكن في مستوى أعلى ، أكثر تجرداً، وأكثر عمومية ، وأكثر إجمالاً^(٢)، فهي تصور الترابط الكلّي ومعنى النصّ الذي يستقر على مستوى أعلى من مستوى القضايا الفردية^(٣) .

وإذا كان لابدّ للجمل المتوالية التي توصف بأنها نصيّة من تحقق شروط التماسك الدلالي، عندما يرتبط تفسير كل قضية بتفسير قضايا أخرى فيها ، أو قضايا خاصة أو عامة متضمنة خلالها، فإنّ تحليل النصوص لا يكتفي بهذا المستوى ، بل يتجاوز ذلك للوصول إلى أبنيتها الكبرى ، ويوجب ذلك التجاوز التمييز بين ما أطلق عليه أبنية صغرى وأبنية كبرى^(٤)، ومن مجموع الأبنية الصغرى تتكون البنية الكبرى ، التي توصف بأنها تمثيل تجريدي لدلالة النصّ الشاملة ، وهي ترتبط بموضوعه الكلي، فيمكن في ضوءها استنتاج موضوع النصّ ، ووصف غاياته ، أو تقديم ملخصات له تسهم في كشف أبنيتها ، فالنصّ يتكون من أبنية بعضها يحتوي الآخر ، ومن ثمّ يكون مصطلح (البنية الكبرى) نسبياً؛ إذ يشير إلى أبنية ذات نمط كلي شامل مقارنة بأبنية أكثر تحديداً وتخصيصاً منها في مستوى أدنى، يقول فان دايك: ((إنّ مفهوم البنية الكبرى يبدو نسبياً: فهو يميز بنية ذات طبيعة عامة، نسبياً بالنظر إلى أبنية خاصة على مستوى أدنى آخر))^(٥)، وهذا يعني أنّ ما يعدّ بنية صغرى في نصّ ما يمكن أن يكون في نصّ آخر بنية كبرى ، فضلاً عن أنّ هناك مستويات متعددة للأبنية الكبرى في النصّ الواحد، مما يجعل المستوى الذي يشملها جميعاً ويقع في أعلى المراتب هو الذي يعدّ بنية كبرى بالنسبة إلى ما دونه ، وعلى هذا فعلماء علم اللغة النصّي يطلقون اصطلاحاً كلمة (البنية الكبرى) للنصّ على أكبر

(١) ينظر: اتجاهات لغوية معاصرة (بحث) ، ص ١٥١ .

(٢) ينظر: العلاميّة وعلم النصّ ، ص ١٥٨-١٥٩ .

(٣) ينظر: علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات ، ص ٧٥ .

(٤) ينظر: اتجاهات لغوية معاصرة (بحث) ، ص ١٥٢ .

(٥) علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات ، ص ٧٥ .

أبنيتها وأكثرها شمولاً^(١) . وأما كيفية تحديدها فهو يختلف باختلاف القراء ، فهم يصطفون من النص عناصر مهمة تتباين بحسب معارفهم واهتماماتهم وآرائهم ، وعليه فإنها يمكن أن تتغير من شخص إلى آخر^(٢).

إنّ مستعمل اللغة في الوقت الذي بإمكانه من نصّ ما استنباط موضوع أو عدّة موضوعات، فإنّه قادر بوجه عام على تقديم إيجاز أو اختصار للنصّ ، أي إنتاج نصّ آخر يشتمل على علاقات خاصة بالنصّ الأصلي ، وأنّ هذا الإيجاز لمضمون النصّ يمكن أن يُقدّم بأكثر من صورة باختلاف مستعملي اللغة ، ويحصل ذلك منهم باستمرار بناءً على قواعد عامة وعرفية هي القواعد الكبرى^(٣)، التي تحدّد ما هو الأكثر جوهرية في مضمون النصّ الكلّي ، فتهمّل بعض التفاصيل لتقتصر على معلومات التكوين الأساسي للنصّ^(٤)، فهي إعادة بناء وتنظيم لمعلومات النصّ المعقّدة للغاية في سلسلة طويلة من العلاقات بين القضايا ، إذ يمكن أن تُعدّ عمليات لاختصارات خاصة بالمعلومات الدلالية^(٥). وبواسطة القواعد الكبرى نستطيع الوصول إلى الأبنية الكبرى للنصوص ، وهي بحسب ما قدّمها "فان دايك" تتمثّل في الآتي:

١- الحذف ٢- الاختيار ٣- (التعميم) ٤- التركيب أو الإدماج

ومن الناحية الشكلية فإنّ القاعدة الأولى والثانية للإلغاء ، والثالثة والرابعة للإبدال ، وإن كان في جميعها ينبغي تحقيق مبدأ ما يسمى (بالتضمن الدلالي) ، الذي يعني أن كلّ بنية كبرى نصل إليها بقواعد كبرى تقتضي أن تكون متضمنة دلاليّاً في جملتها سلسلة القضايا التي تطبق عليها القاعدة، ومعنى هذا يجب أن ينبثق محتوى البنية الكبرى بوصفه نتيجة لبنية صغرى ، أو لبنية كبرى أيضاً، لكنها

(١) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النصّ ، ص ٣٣٦ .

(٢) ينظر: العلاماتية وعلم النصّ ، ص ١٥٩ .

(٣) ينظر: علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات ، ص ٨٠ .

(٤) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النصّ ، ص ٣٣١ .

(٥) ينظر: علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات ، ص ٧٨ .

في مستوى أدنى منها . فضلاً على أنّ كلّ بنية كبرى عليها أن تفي بشروط التماسك الاعتيادية لسلاسل القضايا ، وتبعاً لذلك يمكن حذف قضية كليّة عندما تكون فرضية مسبقة لقضية أخرى على المستوى الأكبر ، ويصبح من غير الممكن حذف قول يؤدي دور الفرض الأولي لقول آخر يقع في مستواه، ويتوقف تفسيره عليه^(١) .

(١) قاعدة الحذف:

وتتضمن حذف المعلومات قليلة الأهمية وغير الجوهرية ، وذلك حين تكون لدينا سلسلة من القضايا ، فإنّه يمكن لنا أن نحذف منها ما ليست له وظيفة يقوم بها فيما بعد في النصّ ، أي ما لا يعدّ فرضاً يترتب عليه تفسير القضايا الأخرى. ففي جملة: (مرت فتاة ترتدي ثوباً أصفر) التي تضم من القضايا ما يأتي:

(أ) مرت فتاة . (ب) ترتدي ثوباً . (ج) كان الثوب أصفر .

ويمكن إيجازها إلى (أ) و (ب) ، أو إلى أكثر من ذلك فنقتصر على (أ) فقط .

فحين يكون تفسير النصّ المتبقي لا يتوقف على معرفة ما كانت ترتديه الفتاة ، إن كان ثوباً، أو شيئاً آخر، أو معرفة لون هذا الثوب ، ففي هذه الحالة يطلق على المعلومات المحذوفة بأنها ثانوية بالنسبة لتفسير المستوى الأعلى من النصّ ، أي إنّ المعلومات الكامنة فيها عرضية وغير لازمة^(٢) .

(٢) قاعدة الاختيار:

وتتضمن حذف بعض المعلومات أيضاً ، غير أنّه توجد علاقة بين ما يحذف وما لا يحذف، ففي مجموعة من القضايا مثل:

(أ) اتجه أحمد إلى سيارته . (ب) استقلها . (ج) سافر بها إلى بغداد .

(١) ينظر: علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات ، ص ٨١ .

(٢) ينظر: علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات ، ص ٨١-٨٢ .

وطبقاً لهذه القاعدة يمكن حذف (أ) و (ب) لأنها فرضيات مسبقة لتحقيق قضية غير محذوفة هي (ج) . واعتماداً على معلوماتنا العامة ندرك أنّ المسافر إلى مكان آخر في سيارة ينبغي له أولاً أن يتجه إليها ، ثم يركبها . وبناءً على ذلك أيضاً يمكن أن ندرك قضية غير مذكورة في النصّ هي: (وصل إلى بغداد) . هذا إذا لم يكن هناك أي عائق يحول دون الوصول ، وإلاّ يجب ذكر قضية أخرى: (لكنّه لم يصل) ؛ لأنّ لها أهمية دلالية في النصّ ، وتترتب عليها نتائج^(١) .

(٣) قاعدة (التعميم):

وفي هذه القاعدة تحذف معلومات تعدّ أساسية لتصوير ما ، بخلاف القاعدة الأولى التي يحذف فيها من المعلومات ما هو غير جوهري ، وغير أساس ، ليحلّ محلّها قضية تحمل المفهوم العام للقضايا المحذوفة ، مثل:

(أ) على الأرض دمية . (ب) على الأرض قطار خشبي . (ج) على الأرض مكعبات .

ويمكن أن نضع بدلاً منها قضية جديدة: (د) على الأرض لعب .

إذ أن كل من (أ) و (ب) و (ج) تتضمنها مفهوماً القضية (د) . وتسمّى التعميمات التي تحدث بهذه الطريقة تجريداً ، وفيها تكون الخواص المميزة لسلسلة من الموضوعات غير مهمة نسبياً في هذا المستوى^(٢) .

(٤) قاعدة التركيب أو الإدماج:

وهذه القاعدة تشبه في وظيفتها القاعدة الثانية ، غير أنّها تختلف عنها من ناحية علاقة العناصر بعضها ببعض ، فمفاهيم القضايا فيها ترتبط بالقضية الجديدة ارتباطاً لزومياً ، على نحو:

(أ) ذهبت إلى محطة القطار . (ب) اشتريت تذكرة سفر . (ج) اقتربت من الرصيف .

(١) ينظر: السابق نفسه ، ص ٨٢-٨٣ .

(٢) ينظر: علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات ، ص ٨٣-٨٤ .

(د) صعدت إلى القطار . (هـ) تحرك القطار .

وهذه القضايا يمكن أن تدمج في قضية واحدة تتضمنها لزومياً ، هي:

(و) ركبت القطار .

وأهمية هذه القاعدة أن مفهوم (السفر في القطار) لا يلزم أن يرد في النصّ ، بل يكفي ذكر سلسلة من العناصر المكونة له حتّى يمكن أن يستنتج هذا الرابط بينهما اعتماداً على النصّ نفسه^(١) .

وهذه القواعد يجب أن تعمل في أضيق الحدود حتى لا تؤدي إلى أن يفقد النصّ محتواه، فنختار التصور الأعلى مباشرة ، ولا نتجاوزه قفزاً إلى تصور أعلى منه من دون المرور به ، ومعنى هذا أن القضية الكبرى المستنتجة عن قضايا صغرى ينبغي أن يتوصل لها بعملية "تضمين مباشر"^(٢) .

وهذه القواعد يمكن أن تتداخل فيما بينها ، فتتوارد القواعد المختلفة على النصّ الواحد نفسه باختلاف المفسرين ؛ لاختلاف طبيعة التلقي والعوامل المؤثرة فيه ، فالقاعدة التي تنطبق على هذا النصّ عند هذا المتلقي ، قد تكون قاعدة أخرى تنطبق عليه عند متلقي آخر ، والغاية عند كليهما هو الوصول إلى بنية مجردة أعلى للنصّ .

وإذا كانت القواعد الكبرى من الوسائل التي تسهم في الوصول إلى البنية الدلالية الكبرى للنصّ بتقسيمه إلى سلسلة من القضايا على مستوى البنية الصغرى ، للوصول إلى معنى النصّ الذي يستقر على مستوى أعلى من مستوى القضايا المفردة ، ما ينتج عنه استنتاج المعلومات الأساسية أو موضوع النصّ ، فإنّ الملاحظ في أدعية الإمام علي^(عليه السلام) أن فقرات الدّعاء أو بنيته الصغرى هي من الإيجاز في مقام يمكن عدّها فيه قواعد كبرى ، فهي اختصارات إلى معلومات ومعارف جمّة أودعها الأمام^(عليه السلام) فيها،

(١) ينظر: السابق نفسه ، ص ٨٤-٨٥ .

(٢) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النصّ ، ص ٣٣٥-٣٣٦ .

وأي فقدان لأي عنصر فيها قد يؤدي إلى أن يفقد النصّ محتواه ؛ لذلك يمكن لهذه النصوص أن تفتح وتصبح شروحات كبيرة .

ولبيان ذلك نورد الأمثلة الآتية:

(١) قاعدة الحذف: في دعائه عليه السلام: ((رَحِمَ اللهُ عَمَّاراً يَوْمَ أَسْلَمَ ، وَرَحِمَ اللهُ عَمَّاراً يَوْمَ قُتِلَ، وَرَحِمَ اللهُ عَمَّاراً يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا))^(١)، فقد أشار الإمام عليه السلام إلى ثلاثة مواقف مهمة في سيرة عمار بن ياسر رضي الله عنه لما لها من شأن ، وحُذِفَت التفاصيل المتعلقة بها مع أن فيها أحداثاً كبيرة ، ولكنها في هذا المستوى تعدّ معلومات ثانوية ، تتم الإشارة إليها ، والوصول إلى تفاصيلها بالالتفات إلى هذه المواقف الثلاثة التي خُصّت كعلامات فارقة في سيرته رضي الله عنه .

(٢) قاعدة الاختيار: في دعائه للإمام المهدي عليه السلام: ((اللَّهُمَّ فَاجْعَلْ بَعْثَهُ خُرُوجاً مِنَ الْغُمَةِ، وَاجْمَعْ بِهِ شَمْلَ الْأُمَّةِ))^(٢)، وهنا توجد قضايا لم تذكر هي مقدمات وفرضيات مسبقة لتحقيق هذا الدعاء، تتعلق بأحداث ما قبل الظهور ، وقد وقع الاختيار على ما بعده من قضايا من كشف الغمة ولم شمل الأمة ، كنتائج مركوزة في الفكر الديني على علاقة بالقضايا غير المذكورة . وقد جاء الخبر على ذلك بصيغة الإنشاء ، فقد يخرج الإنشاء إلى الخبر ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾^(٣)، يقول أبو حيان في معنى قوله تعالى: " فَلْيَمْدُدْ ": ((ويحتمل أن يكون خبراً في المعنى وصورته صورة الأمر ، كأنه يقول: من كان ضالاً من الأمم فعادة الله له أنه يمدّ له ولا يعاجله حتى يفضي ذلك إلى عذابه في الآخرة))^(٤)، وكقولهم في الأمثال: " وَجَدْتُ النَّاسَ اخْبُرْتُ نَفْلِهِ "، فأخرجوا الكلام على لفظ الأمر ومعناه الخبر، يريدون: أنك إذا خبرت الناس قلّبتهم^(٥) .

(١) كتاب الطبقات الكبير ، ٢٤٢/٣ .

(٢) كتاب الغيبة للنعماني ، ص ٢١٤ .

(٣) سورة مريم / الآية: ٧٥ .

(٤) تفسير البحر المحيط ، ١٩٩/٦ .

(٥) ينظر: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، ص ٣٩١ .

٣) قاعدة التعميم: في دعائه عليه السلام: ((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وافعل بي ما أنت أهله ، ولا تفعل بي ما أنا أهله ، واستجب دعائي يا أرحم الراحمين))^(١)، فقد عمم الطلب بسؤال الخير كله ، لا بتخصيص الحاجات ، حين حدّده بحدود فعل الله ، وما هو أهله ، وأوكل الأمر إليه ، لعلمه بأنّ فعله الخير ، وعادته الإحسان، ولم يحدّد على الخصوص ما يريد من العطاء ، فأحياناً يكون تحديد النائلة تبخيلاً للكریم . والكلام نفسه في الشطر الثاني من الدّعاء ولكن في معنى مقابل ، فمن كان خيره إلينا نازل فشرنا إليه صاعد .

٤) قاعدة التركيب أو الإدماج: في دعائه عليه السلام: ((اللَّهُمَّ احْفَظْ حَسَنًا وَحُسَيْنًا ، وَلَا تُمَكِّنْ فَجْرَةَ قُرَيْشٍ مِنْهُمَا مَا دُمْتُ حَيًّا ، فَإِذَا تَوَفَّيْتَنِي فَأَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ))^(٢)، ويمكن استنباط مجموعة من القضايا اللازمة ، وقد أدمجت في تركيب هذا الدّعاء ، على النحو الآتي:

أ) إنّ قريشاً كانت تكيد للإمامين الحسن والحسين عليهما السلام .

ب) إنّ هذا الكيد كان في حياة الإمام علي عليه السلام ويستمر بعد وفاته .

ج) يكشف هذا الدّعاء عن علم الإمام عليه السلام بأنّ فجرة قريش لن يصلّوا بكيدهم إلى الإمامين عليهما السلام مُدّة حياته ؛ لذلك أودعهم بعين الله بعد وفاته .

د) إنّ الشاهد على فعل هؤلاء هو الله ، فهو الرقيب عليهم بما فعلوا ، وسيكون جزاؤهم عنده بوصفهم فجرة ؛ لما لهذا الوصف من دلالة في الاستعمال القرآني .

(١) بحار الأنوار ، ١٨/٨٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ٢٩٨/٢٠ .

البنية العليا:

إذا كانت البنية الكبرى هي تمثيل تجريدي دلالي لمضمون النصّ على مستوى البنية العميقة، ففي مقابل هذا عرض فان دايك أيضاً مفهوم البنية العليا التي هي نمط من شكل النصّ^(١)، فالخطاب لا يحتوي فقط على بنية المعنى ، ولكن يحتوي كذلك على بنية الشكل ؛ لذلك فالبنية العليا تتعامل مع الشكل الذي تنتظم فيه أجزاء النصّ ، شأنها في ذلك شأن الأبنية النحوية التي تتركز على قواعد عرفية^(٢). وقد قدمت تعريفات متعددة للبنى العليا منها أنها: ((الهياكل العرفية التي تقدم الشكل العام لمحتوى البنية الكبرى للخطاب))^(٣)، أو: ((نوع من المخطط المجرد الذي يحدد النظام الكلي لنصّ ما، وتتكون من مجموعة من المقولات التي تتركز إمكاناتها التأليفية على قواعد عرفية))^(٤)، أو: ((النماذج الأعم لتنظيم المعلومات في بنية النصّ))^(٥)، أو: ((الهيكل العام الذي تنتظم فيه أجزاء النصّ))^(٦)، أو: ((البنية التنظيمية للنصّ))^(٧)، وعلى هذا فهي الطريقة التي ترتب بها تفاصيل النصّ طبقاً لخطة عامة ، بما يساعد القراء على فهم وتذكر النصّ مرة أخرى ، مما يعني أنها تتضمن مخطط إنتاج يدركه المتكلم ، ومخطط تفسير يعرفه القارئ^(٨)، ((فالمتكلم ينطلق عند تشكيل النصّ من موضوع يكون قاعدة لبرمجة النصوص بمعنى توسع موضوع النصّ ، وعند عملية تلقي النصّ لدى السامع يشكل موضوع النصّ مرة أخرى نتيجة عملية الفهم))^(٩). وهذا يعني أنّ البنية العليا تعود إلى المنشئ أو المتكلم في كيفية تكوين النصّ ، على حين أنّ البنية الكبرى تعود إلى المتلقي في كيفية فهم موضوع النصّ .

(١) ينظر: علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات ، ص ٢٠٨-٢٠٩ .

(٢) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ٢٤٣-٢٤٤ .

(٣) السابق نفسه ، ص ٢٤٣ .

(٤) علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات ، ص ٢١٢ .

(٥) علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ٢٤٣ .

(٦) السابق نفسه ، ص ٢٤٣ .

(٧) السابق نفسه ، ص ٢٤٣ .

(٨) ينظر: السابق نفسه ، ص ٢٤٣ .

(٩) مدخل إلى علم اللغة النصّي ، ص ٥٠ .

وقد قَدِّمَت نماذج مختلفة للأبنية العليا منها نموذج (BPSE)، الذي قدمه "رفائيل سالكي

Raphael Salkie"، ويتكون من^(١):

(أ) الخلفية: ويجب ذلك الجزء في النصّ عن التساؤل حول (الوقت ، المكان ، والأشخاص ... إلى غير ذلك) أي العناصر المتضمنة في النصّ ، والتي نحتاج إلى معرفتها لفهم الجزء التالي من النصّ وهو المشكلة .

(ب) المشكلة: وهو الجزء المفتاح في النموذج . فعندما نعرف هذا الجزء سيصبح من السهل التعرف على صلة الأجزاء الأخرى من النصّ وفهمها . ويجب هذا الجزء عن التساؤل: عن أي شيء يتحدث النصّ بصورة أساسية ؟ ما المعضلة ، أو اللغز ، أو العقبة ، أو النقص في هذا النصّ .

(ج) الحل: ويعني حل المشكلة ، أي كيف نواجه ونحل المعضلة أو اللغز ، أو نقضي على العقبة، أو نعالج النقص ؟

(د) التقييم: أي تقييم الحل . وإذا كان هناك أكثر من حل فأيهما أفضل ؟

وقدّم فان دايك نماذج من الأبنية العليا لأنماط من الكتابة ، كأبنية السرد ، وأبنية الحجاج، والمقالة العلمية ... إلى غير ذلك^(٢).

وأما نموذج البنية العليا للدعاء ، فقد تحدّد في ضوء أحاديث أهل البيت عليهم السلام، فقدّموا النموذج الأفضل الذي يحقق شروط الاتصال، بوصف الدّعاء وسيلة اتصال بين العبد وربه، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾^(٣). وقد اتخذ أشكالاً مختلفة بحسب طبيعة الدّعاء وغرضه ، فكان لكل غرض منها هيكل

(١) علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ٢٤٥ .

(٢) ينظر: علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات ، ص ٢٢٦-٢٥٦ .

(٣) سورة الإسراء / الآية: ٥٧ .

تنظيمي يختلف عن الآخر ، والذي يحدّد ذلك هو السياق التداولي . ولكنها - وإن اختلفت في التفاصيل

- تشترك في بنية عامة يمكن تحديدها بما يأتي:

أ) زمان الدّعاء:

أن يترصد الدّاعي الأوقات الشريفة لدعائه ، ومنها وقت السحر ، فقد ورد عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: ((إن الله عزّ وجلّ يحبّ من عباده المؤمنين كلّ عبد دعّاء ، فليكم بالدّعاء في السحر إلى طلوع الشّمس فإنّها ساعة تفتح فيها أبواب السّماء ، وتقسم فيها الأرزاق ، وتقضى فيها الحوائج العظام))^(١). ومنها وقت الزوال ، فعن الباقر عليه السلام أنّه قال: ((كان أبي إذا كانت له إلى الله حاجة طلبها في هذه الساعة ، يعني زوال الشمس))^(٢)، وقال عليه السلام: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا زالت الشمس فتحت أبواب السماء وأبواب الجنان ، واستجيب الدّعاء ، فطوبى لمن رفع له عند ذلك عمل صالح))^(٣). ومنها يوم الجمعة ، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: ((أكثروا المسألة في يوم الجمعة والدّعاء ، فإنّ فيه ساعات يستجاب فيها الدّعاء والمسألة ما لم تدعوا بقطيعة ، أو معصية ، أو عقوق ، واعلموا أنّ الخير والشرّ يضاعفان يوم الجمعة))^(٤). ومنها يوم عرفة ، فعن حنان بن سدير، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال: ((سألته عن صوم يوم عرفة فقلت: جعلت فداك ، إنهم يزعمون أنّه يعدل صوم سنة ، قال: كان أبي عليه السلام لا يصومه ، قلت: ولم ذاك؟ قال: إن يوم عرفة يوم دعاء ومسألة ، وأتخوّف أن يضعفني عن الدّعاء، وأكره أن أصومه))^(٥). ومن الأوقات والحالات التي ترجى فيها الإجابة ، ما جاء عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام ، أنّه قال: ((اطلبوا الدّعاء في أربع ساعات: عند هبوب الرياح ، وزوال الأفياء ، ونزول القطر، وأول قطرة من دم القتل المؤمن ، فإن

(١) أصول الكافي ، ٤٤٩/٢ .

(٢) السابق نفسه ، ٤٤٨/٢ .

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق ، ص ٦٧١ .

(٤) كتاب المحاسن ، ص ٥٨-٥٩ .

(٥) تهذيب الأحكام ، ٢٦٠-٢٦١/٤ .

أبواب السماء تفتح عند هذه الأشياء))^(١)، إلى غير ذلك من الأوقات التي يستحب فيها الدعاء وذكرت في كتب الحديث والأدعية^(٢).

ب) مكان الدعاء:

أن يتخير الداعي الأماكن الشريفة التي حثَّ الأئمة عليهم السلام على زيارتها والدعاء فيها ، ومنها مكة المكرمة عند الميزاب ، وعند المقام ، وعند الحجر الأسود ، وبين المقام والباب ، وجوف الكعبة ، وعند بئر زمزم ، وعلى الصفا والمروة ، وعند المشعر ، وعند الجمرات الثلاث ، وعند رؤية الكعبة^(٣)، وقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: ((ما وقف أحد بتلك الجبال إلا استجيب له ، فأما المؤمنون فيستجاب لهم في آخرتهم ، وأما الكفار فيستجاب لهم في دنياهم))^(٤). ومنها المساجد، فإنها بيوت الله في الأرض ، قال الإمام الصادق عليه السلام: ((عليكم بإتيان المساجد ؛ فإنها بيوت الله في الأرض ، ومن أتاها متطهراً طهره الله من ذنوبه ، وكُتب من زواره ، فأكثرُوا فيها من الصلاة والدعاء))^(٥)، وأشرف المساجد مسجد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ((إذا فرغت من الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وآله ، فانت المنبر فامسحه بيدك ... وسل حاجتك فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ...))^(٦)، ومنها مسجد الكوفة ، فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((ما دعا فيه مكروب بمسألة في حاجة من الحوائج إلا أجابه الله ، وفرج عنه كُرْبَتَهُ))^(٧)، ومنها مسجد السهلة ، ومما ورد في فضل التعبد فيه والدعاء ما روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: ((ما أتاه مكروب قط فصلى فيه بين العشائين ، ودعا الله ، إلا فرج الله

(١) أصول الكافي ، ٤٤٧/٢ .

(٢) ينظر: على سبيل المثال ، أصول الكافي ، ٤٤٧/٢-٤٤٩ . وتهذيب الأحكام ، ٧٠/٣-١١٣ . ومكارم الأخلاق، ٣٥٤-٣٥٣ . وعدة الداعي ونجاح الساعي ، ص ٤٥-٥٥ . وبحار الأنوار ، ٣٥١/٩٣-٣٥٢ .

(٣) ينظر: بحار الأنوار ، ٣٤٩/٩٣ .

(٤) عدة الداعي ونجاح الساعي ، ص ٥٦ .

(٥) الأمالي للشيخ الصدوق ، ص ٤٤٠ .

(٦) فروع الكافي ، ٥٥٣/٢ .

(٧) فروع الكافي ، ٤٨٦/١ .

كُرْبَتُهُ ^(١))). ومن أماكن الدّعاء بل اشرفها عند قبر الحسين عليه السلام ^(٢)، فقد روي عن الإمام الهادي عليه السلام قوله: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَقَاعاً يَحِبُّ أَنْ يُدْعَى فِيهَا فَيَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَاهُ، وَالْحَائِرُ مِنْهَا)) ^(٣)، فقد خُصَّ الإمام الحسين عليه السلام بثلاث خصال منها: إِنَّ الإِجَابَةَ تَحْتَ قَبْتِهِ ^(٤)، وعندما أصاب الأمام الصادق عليه السلام وجع أمر من عنده أن يستأجروا له أجيراً يدعو له عند قبر الحسين عليه السلام ^(٥)، وفي رواية شعيب العرقوفي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ((قُلْتُ لَهُ: مَنْ أَتَى قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام مَا لَهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ جَعَلْتَ فِدَاكَ؟ قَالَ: يَا شُعَيْبُ مَا صَلَّى عَنْهُ أَحَدٌ الصَّلَاةَ إِلَّا قَبَّلَهَا اللَّهُ مِنْهُ ، وَلَا دَعَا عَنْهُ دَعْوَةً أَحَدٌ إِلَّا اسْتَجِيبَتْ لَهُ عَاجِلَةً وَآجِلَةً ...)) ^(٦) .

ج) أسلوب الدّعاء:

حثُّ الأئمة عليهم السلام أصحابهم على الالتزام بما ورد عنهم نصّاً في الدّعاء من دون إحداث أي تغيير فيه بتحريف أو زيادة أو نقصان ؛ لأنّ الدّعاء شفرة أو رمز سرّي لفتح مغالق أبواب الغيب ، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ ^(٧)، وأحد هذه المفاتيح: الدّعاء ، وفي تغيير أية علامة منه في المطالب المعينة قد لا تحصل الإجابة ، فالدّعاء من جملة السنن التي بعضها حاكم على بعض على أساس العلة والمعلول ، وعليها يجري النظام الأحسن، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ^(٨). وقد روى عبدالله بن سنان عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام قوله: ((ستصيبكم شبهة فتبكون بلا علم يرى ، ولا إمام هدى ، ولا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق ، قلت: كيف دعاء الغريق؟ قال: يقول: " يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " فقلت: " يا الله

(١) السابق نفسه ، ٤٨٨/١ .

(٢) ينظر: عدة الداعي ونجاح الساعي ، ص ٥٦ .

(٣) كامل الزيارات ، ص ٤٦٠ .

(٤) ينظر: كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر ، ص ١٧ .

(٥) ينظر: عدة الداعي ونجاح الساعي ، ص ٥٧ .

(٦) كامل الزيارات ، ص ٤٣٥ .

(٧) سورة الأنعام / من الآية: ٥٩ .

(٨) سورة السجدة / الآية: ٧ .

يا رحمن يا رحيم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك " قال: إنَّ الله ﷻ مقلب القلوب والأبصار، ولكن قل كما أقول لك: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك))^(١)، وفي حديث عبدالرحيم القصير قال: ((دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي اخترعت دعاءً قال: دعني من اختراعك ...))^(٢).

وقد قدّم الأئمة عليهم السلام إرشادات على كيفية الدعاء ، منها:

(١) أن يبدأ الدعاء بالبسملة ، قال رسول الله ﷺ: ((لا يُرَدُّ دعاء أوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ))^(٣).

(٢) الشاء على الله تعالى:

على الداعي قبل أن يشرع في المسألة أن يحمّد الله ويثني عليه ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحًا لِذِكْرِهِ وَ سَبَبًا لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ ...))^(٤)، وعن الإمام الصادق عليه السلام: ((إذا طلب أحدكم الحاجة فليثن على ربه وليمدحه ...))^(٥)، وعنه عليه السلام أنه قال: ((إن في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام: إن المدحة قبل المسألة فإذا دعوت الله ﷻ فمجده ...))^(٦).

(٣) الدعاء بالأسماء الحسنى:

أن يدعو الله بأسمائه الحسنى لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾^(٧)، وأن يذكر من الأسماء ما يناسب مطلوبه ، فإذا كان مطلوبه الرزق يذكر من أسمائه تعالى: الرزاق،

(١) كمال الدين وتمام النعمة ، ٣٥٢/٢ .

(٢) فروع الكافي ، ٤٧٢/١ .

(٣) بحار الأنوار ، ٣١٣/٩٣ .

(٤) نهج البلاغة ، ص ٢٢١ .

(٥) أصول الكافي ، ٤٥٤/٢ .

(٦) مكارم الأخلاق ، ص ٣٥٥ .

(٧) سورة الأعراف / من الآية: ١٨٠ .

والوهاب، والجواد، والمغني، والمنعم، والمفضل، والمعطي، والكريم، والواسع، ومسبب الأسباب ، والمنان، ورازق من يشاء بغير حساب. وإن كان مطلوبه المغفرة والتوبة يذكر: التواب، والرحمن، والرحيم، والرؤوف، والعطوف، والصبور، والشكور، والعفو، والغفور، والستار، والغفار، والفتاح، والمرتاح، وذا المجد والسماح، والمحسن، والمجمل، والمنعم، والمفضل. وإن كان مطلوبه الانتقام من العدو يذكر: العزيز، والجبار، والقهار، والمنتقم، وذا البطش الشديد، والفعال لما يريد، وقاصم المردة، والطالب الغالب، المهلك المدرك، الذي لا يعجزه شيء، والذي لا يطاق انتقامه، وعلى هذا القياس. ولو كان مطلبه العلم يذكر: العالم، والفتاح، والهادي، والمرشد، والمعز، والرافع، وما أشبه ذلك^(١).

(٤) الصلاة على النبي وآله:

ينبغي للداعي بعد الحمد والثناء على الله سبحانه وتعالى أن يصلي على محمد وآله ، فقد روى الطبراني (ت ٣٦٠هـ) في معجمه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))^(٢)، وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: ((لَا يَزَالُ الدَّعَاءُ مَحْجُوبًا حَتَّى يُصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ))^(٣)، وفي بيان علّة ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانُهُ حَاجَةٌ فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمُ مَنْ أَنْ يُسَالَ حَاجَتَيْنِ ، فَيَقْضِي إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعَ الْأُخْرَى))^(٤).

(٥) التوسل برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته:

ورد في الأحاديث الشريفة تأكيد التوسل برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته عليهم السلام، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الْأَوْصِيَاءُ مِنِّي إِلَى أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ الْحَوْضَ ... بِهِمْ تَنْصُرُ أُمَّتِي وَبِهِمْ يَمْطَرُونَ ، وَبِهِمْ يَدْفَعُ عَنْهُمْ،

(١) ينظر: عدة الداعي ونجاح الساعي ، ص ١٩٩ .

(٢) المعجم الأوسط ، ١/ ٢٢٠ .

(٣) أصول الكافي ، ٢/ ٤٦٠ .

(٤) نهج البلاغة ، ص ٥٣٨ .

وبهم استجاب دعاءهم))^(١)، وعن داود الرقي قال: ((إني كنت أسمع أبا عبد الله عليه السلام أكثر ما يلح به في الدعاء على الله بحق الخمسة، يعني رسول الله ﷺ، وأمير المؤمنين، وفاطمة، والحسن، والحسين، صلوات الله عليهم))^(٢)، وعن سماعة قال: ((قال لي أبو الحسن عليه السلام: إذا كان لك يا سماعة إلى الله ﷻ حاجة فقل: " اللهم إني أسألك بحق محمد وعليّ ، فإنّ لهما عندك شأناً من الشأن ، وقدرًا من القدر، فبحقّ ذلك الشأن وبحقّ ذلك القدر أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تفعل بي كذا وكذا))^(٣) .

٦) الإقرار بالذنوب:

على الدّاعي قبل المسألة أن يعترف بذنوبه، ويقرّ مدعناً معترفاً مستغفراً عما اقترفه من خطايا، وما ارتكبه من ذنوب ، قال الإمام الصادق عليه السلام: ((إنّما هي المدّحة ، ثمّ الثناء ، ثمّ الإقرار بالذنب، ثمّ المسألة ، إنّ الله ما خرج عبداً من ذنب إلا بالإقرار))^(٤) .

٧) المسألة:

وينبغي على الدّاعي بعد الثناء على الله تعالى ، والصلاة على النبي وآله ، والإقرار بالذنب أن يذكر مسألته ، وعليه ألا يستكثر مطلوبه ، فإنّه يطلب ممن عنده خزائن كلّ شيء ، ولا تنفذ خزائنه ، فلا يستصغر شيئاً من مطلوبه ، أو يستكثر، وليسأل الله في جميع حوائجه ، ولا يبخل بالدعاء والسؤال ، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: ((ليسأل أحدكم ربّه حاجته كلّها ، حتّى يسأله شسع نعله إذا انقطع))^(٥)، ولما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: ((ولا تتركوا صغيرة لصغرها أن تدعوا بها، إنّ

(١) تفسير العياشي ، ٢٦/١ .

(٢) أصول الكافي ، ٥٤٥/٢ .

(٣) السابق نفسه ، ٥٢٩/٢ .

(٤) أصول الكافي ، ٤٥٤/٢ .

(٥) بحار الأنوار ، ٢٩٥/٩٣ .

صاحب الصغار هو صاحب الكبار))^(١). وعلى الداعي أيضاً أن يسمي حاجته مع علمه بأن الله محيط بعباده، يعلم حالهم وحاجاتهم ، وهو أقرب اليهم من حبل الوريد ، ولكنه سبحانه يحب أن تُبث إليه الحوائج، وتُسمى بين يديه تعالى . قال الإمام الصادق عليه السلام: ((إنَّ الله تبارك وتعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعاه، ولكنه يحب أن تبث إليه الحوائج ، فإذا دعوت فسمِّ حاجتك))^(٢) . وألا يُخصَّ الداعي نفسه بالداء فقط، بل يعمم فيذكر معه إخوانه من المؤمنين والمؤمنات ، قال رسول الله ﷺ: ((إذا دعا أحدكم فليعم ، فإنه أوجب للدعاء))^(٣)، وفي فضل هذا العمل أن الله تعالى يثيب صاحب الدعاء بعدد كل مؤمن يشملُه دعاؤه بالחסنات ، وأنَّ كل مؤمن يشملُه هذا الدعاء يشفع يوم القيامة بين يدي الله تعالى، عندما يأذن سبحانه للصالحين من عباده بالشفاعة للمذنبين منهم ، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما من مؤمن دعا للمؤمنين والمؤمنات إلا رَدَّ الله ﷻ عليه مثل الذي دعا لهم به من كل مؤمن ومؤمنة ، مضى من أوَّل الدهر أو هو آت إلى يوم القيامة ، إنَّ العبد ليؤمر به إلى النار يوم القيامة فيُسحب فيقول المؤمنون والمؤمنات: يا ربِّ هذا الذي كان يدعو لنا فشَقَّنا فيه، فيشَقَّعهم الله ﷻ فيه فينجو))^(٤) .

٨ خاتمة الدعاء:

يستحب للداعي أن يختم دعاءه بقول: " ما شاء الله لا قوة إلا بالله "، قال الإمام الصادق عليه السلام: ((ما من رجل دعا فختم دعاءه بقول: ما شاء الله ، لا قوَّة إلا بالله ، إلا أُجيب صاحبه))^(٥)، وقال عليه السلام: ((إذا دعا الرَّجل فقال بعد ما دعا: ما شاء الله ، لا حول ولا قوَّة إلا بالله. قال الله ﷻ: استبسل عبدي واستسلم لأمرِّي اقضوا حاجته))^(٦). وأن يصلي على محمد وآل محمد ، فضلاً على

(١) أصول الكافي ، ٤٣٨/٢ .

(٢) السابق نفسه ، ٤٤٧/٢ .

(٣) أصول الكافي ، ٤٥٧/٢ .

(٤) السابق نفسه ، ٤٧٦/٢ .

(٥) الأمالي للشيخ الصدوق ، ص ٢٦٦ .

(٦) أصول الكافي ، ٤٨٩/٢ .

صلاته في ابتداء دعائه ، قال الإمام الصادق عليه السلام : ((مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ فَلْيَبْدَأْ بِالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، ثُمَّ يَسْأَلْ حَاجَتَهُ ، ثُمَّ يَخْتِمُ بِالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَ مَنْ أَنْ يَقْبَلَ الطَّرْفَيْنِ وَيَدْعَ الْوَسْطَ ؛ إِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ لَا تَحْجُبُ عَنْهُ))^(١) .

(د) هَيَاةُ الدَّاعِي:

بَيَّنَّتِ الْإِحَادِيثُ الشَّرِيفَةُ مَا يَنْبَغِي لِلدَّاعِي أَنْ يَقُومَ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ قَبْلَ الدَّعَاءِ وَفِي أَثْنَائِهِ وَبَعْدَهُ ، مِمَّا تَكُونُ مِنْ أَسْبَابٍ تَحَقُّقُ الْإِجَابَةِ ، وَمِنْهَا أَنْ يَتَوَضَّأَ وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الدَّعَاءِ ، قَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عليه السلام : ((مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَأَتَمَّ رُكُوعَهُمَا وَسُجُودَهُمَا ، ثُمَّ جَلَسَ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ وَصَلَّى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ سَأَلَ اللَّهَ حَاجَتَهُ فَقَدْ طَلَبَ الْخَيْرَ فِي مِظَانِهِ وَمَنْ طَلَبَ الْخَيْرَ فِي مِظَانِهِ لَمْ يَخِبْ))^(٢) . وَمِنْهَا اسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ ، فَعَنِ الْإِمَامِ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام ، قَالَ : ((إِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ وَأَنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَجْلِسَ ، فَلَا تَدْخُلْهُ إِلَّا طَاهِرًا ، وَإِذَا دَخَلْتَهُ فَاسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ ، ثُمَّ ادْعِ اللَّهَ وَسَلِّهِ ، وَسَمِّ حِينَ تَدْخُلْهُ ، وَاحْمَدِ اللَّهَ ، وَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))^(٣) . وَمِنْهَا إِظْهَارُ التَّضَرُّعِ وَالْخُشُوعِ بِرَفْعِ الْيَدَيْنِ عِنْدَ الدَّعَاءِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((إِنْ اللَّهَ لَيْسَتْ حَاجَتِي مِنَ الْعَبْدِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ فَيُرَدِّهُمَا خَائِبَتَيْنِ))^(٤) ، وَعَنِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام ، قَالَ : ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِذَا ابْتَهَلَ وَدَعَا كَمَا يَسْتَطْعِمُ الْمَسْكِينُ))^(٥) ، وَقَدْ سَأَلَ أَبُو قُرَّةَ الْإِمَامَ الرِّضَا عليه السلام : مَا بِالْكَمِّ إِذَا دَعَوْتُمْ رَفَعْتُمْ أَيْدِيَكُمْ إِلَى السَّمَاءِ؟ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام : ((إِنَّ اللَّهَ اسْتَعْبَدَ خَلْقَهُ بِضُرُوبٍ مِنَ الْعِبَادَةِ ... وَاسْتَعْبَدَ خَلْقَهُ عِنْدَ الدَّعَاءِ وَالطَّلَبِ وَالتَّضَرُّعِ ، بِبَسْطِ الْأَيْدِي وَرَفْعِهَا إِلَى السَّمَاءِ لِحَالِ الْاسْتِكَانَةِ وَعِلَامَةِ الْعِبَادَةِ وَالتَّذَلُّلِ لَهُ))^(٦) ، وَأَنْ تَتَغَيَّرَ وَضْعِيَةُ الْيَدَيْنِ بِتَغْيِيرِ حَالِ الدَّاعِي فِي الرِّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالتَّضَرُّعِ وَالتَّبَتُّلِ وَالْإِبْتِهَالِ^(١) ،

(١) السابق نفسه ، ٤٦٣/٢ .

(٢) فروع الكافي ، ٤٧٣/١ .

(٣) بحار الأنوار ، ٢١/٨٤ .

(٤) مكارم الأخلاق ، ص ٣٥٩ .

(٥) بحار الأنوار ، ٣٣٩/٩٣ .

(٦) الاحتجاج ، ٣٧٧/٢ .

قال الإمام الصادق عليه السلام: ((الرَّغْبَةُ تبسط يديك وتظهر باطنهما ، والرَّهْبَةُ تبسط يديك وتظهر ظهرهما ،
والتَضَرُّع تحرك السَّبَّابَةَ اليمنى يميناً وشمالاً ، والتَّبَتُّل تحرك السَّبَّابَةَ اليسرى ترفعها في السماء رسلاً
وتضعها ، والابتهال تبسط يديك وذراعيك إلى السماء ، والابتهال حين ترى أسباب البكاء))^(١)، وعن
أبي بصير قال: سألت الإمام الصادق عليه السلام عن الدَّعاء ورفع اليدين؟ فقال عليه السلام: ((على أربعة أوجه: أما
التعوذ فتستقبل القبلة بباطن كَفِّكَ ، وأما الدَّعاء في الرِّزْق فتبسط كَفِّكَ وتفضي بباطنهما إلى
السَّمَاء ، وأما التَّبَتُّل فأيماء بأصبعك السَّبَّابَةَ ، وأما الابتهال فرفع يديك تجاوز بهما رأسك ، ودعاء
التضرع أن تحرك أصبعك السَّبَّابَةَ ممّا يلي وجهك وهو دعاء الخيفة))^(٢). ومنها ألا يلحن في دعائه
قدر استطاعته ، فقد روي عن الإمام الجواد عليه السلام أنه قال: ((إِنَّ الدَّعاء الملحون لا يصعد إلى
الله ﷻ))^(٣)، والأفضل له اختيار ما يناسب حاله وحاجته من الأدعية المأثورة ، إن كان في حالة
الخوف ، أو الرجاء ، أو البلاء ، أو الرخاء ، وأن يكون دعاؤه خفية ؛ لآثمه أبعد عن الرياء ، وأقرب إلى
الإخلاص ، ولأجل أن يكون الدَّعاء مقروناً بتوجّه الفكر وحضور القلب^(٤)، قال تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ
تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾^(٥)، ولما روي عن الإمام الرضا عليه السلام، أنه قال: ((دعوة تخفيها
أفضل عند الله من سبعين دعوة تظهرها))^(٦). ومنها التخنم بالعقيق أو الفيروز، لقول الإمام
الصادق عليه السلام: ((ما رُفِعَتْ كَفٌّ إلى الله أحب إليه من كف فيها عقيق))^(٧)، ولما ورد عنه عليه السلام: ((قال:
قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: إِنِّي لَأَسْتَحِي من عبد يرفع يده وفيها خاتم فيروز ، فأردّها

(١) الرغبة: السؤال والطلب ، والرغبة: الخوف والفرح ، والتضرع: التذلل والمبالغة في السؤال ، والتبتل: الانقطاع إلى الله،
والابتهال: أن تمدّ يديك جميعاً وأصله التضرع والمبالغة في الدَّعاء . (ينظر: مرآة العقول ، ٤١/١٢ .

(٢) أصول الكافي ، ٤٥٠/٢ - ٤٥١ .

(٣) السابق نفسه ، ٤٥١/٢ .

(٤) عدة الداعي ونجاح الساعي ، ص ٢٣ .

(٥) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٣٩٧/٤ .

(٦) سورة الأنفال / الآية: ٥٥ .

(٧) أصول الكافي ، ٤٤٧/٢ .

(٨) جامع الأخبار ، ص ٣٧٣ .

خائبة))^(١). ومنها أن يمسح بعد الدعاء وجهه ورأسه بيديه ، قال الإمام الصادق عليه السلام: ((ما أبرز عبداً يده إلى الله العزيز الجبار إلا استحيا الله ﷻ أن يردّها صفراً ، حتّى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء ، فإذا دعا أحدكم فلا يردّ يده حتّى يمسح على وجهه ورأسه))^(٢) .

المبحث الثالث: علاقات الحب النصية:

هناك نوعان من الروابط: بعضها روابط دلالية شكلية ظاهرة ، والأخرى روابط دلالية تتمثل في الربط المعنوي الذي يعتمد العلاقات المنطقية بين الجمل . وتسمى العلاقة الأولى ملفوظة إذا عبر عنها الحرف ونحوه ، فإذا فهمت العلاقة بقرينة عقلية ولم تعتمد على اللفظ سميت علاقة ملحوظة^(٣)، وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى هذا النوع من الربط بقوله: ((واعلم أنه كما كان في الأسماء ما يصله معناه بالاسم قبله ، فيستغني بصلة معناه له عن واصل يصله وربط يربطه ، وذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به ، والتأكيد الذي لا يفتقر كذلك إلى ما يصله بالمؤكد ، كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها ، وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها ، وهي كل جملة كانت مؤكدة للتي قبلها ، ومبينة لها ، وكانت إذا حصلت لم تكن شيئاً سواها ، كما لا تكون الصفة غير الموصوف ، والتأكيد غير المؤكد))^(٤)، فعندما لا يوجد في النصّ وسائل ربط حرفية أو شكلية ، ينظر إلى العلاقات الرابطة التي تجمع أجزاءه بوصفها روابط دلالية تعتمد على قرائن معنوية ، وقد ذكر الزركشي هذين النوعين من الربط عند حديثه عن أنواع ارتباط الآي بعضها ببعض، وهما:

(١) عدة الداعي ونجاح الساعي ، ص ١٢٨-١٢٩ .

(٢) أصول الكافي ، ٤٤٢/٢ .

(٣) ينظر: اجتهادات لغوية ، ص ٢٦٨ .

(٤) دلائل الإعجاز ، ص ٢٢٧ .

((القسم الأول: أن تكون معطوفة ولا بد أن تكون بينهما جهة جامعة ...))

القسم الثاني: ألا تكون معطوفة فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهي قرائن معنوية

مؤذنة بالربط والأول مزج لفظي وهذا مزج معنوي ...))^(١) .

وهذه العلاقات متنوعة ومتجددة مع النصوص ، بحيث يكاد كل نصّ يبتكر من الوسائل ما يحقق تماسكه الدلالي^(٢). فيمكن أن تتعدّد وتختلف باختلاف المتلقين بالنظر إلى مرجعياتهم الفكرية. وفيما يأتي بعض هذه العلاقات:

أ- علاقة الإجمال والتفصيل

يتحقق الحبك في هذه العلاقة بالاستمرارية الدلالية ، فهي تقوم على ذكر قضية مجملّة سابقة، ويتمّ تفصيلها في قضايا أخرى لاحقة لها ، ومن ثم نرى أن التفصيل - في الغالب - يحمل صفة المرجعية لما سبق إجماله^(٣). وقد تنبه حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) لهذه العلاقة الدلالية، ودورها في تماسك النصّ دلاليّاً^(٤)، حين أوجب على الشاعر أن يردف البيت الأول من الفصل بما يكون لائقاً به من بقية معاني الفصل ، ومن ذلك أن يكون تفسيراً له^(٥)، وقد قسم التفسير على أنواع ، وجعل منه تفسير الإجمال والتفصيل^(٦) .

ومثلما يمثل العنوان إجمالاً لمضمون النصّ^(٧)، فإنّ الجملة الأولى تمثّل بؤرته التي تلتقي عندها الجمل اللاحقة لها ((ففي الغالب يركّز المرسل كلّ جهوده في هذه الجملة ؛ إذ يكون ما بعدها

(١) البرهان في علوم القرآن ، ٤٤/١ - ٤٨ .

(٢) ينظر: الإبداع الموازي ، التحليل النصّي للشعر ، ص ٣٦ .

(٣) ينظر: علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق ، ١٤١/٢ .

(٤) ينظر: التماسك النصّي للاستخدام اللغوي في شعر الخنساء ، ص ١٧٣ .

(٥) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص ٢٩٠ .

(٦) ينظر: السابق نفسه ، ص ٥٨ .

(٧) ينظر: علم لغة النصّ والأسلوب ، ص ٩٥ .

غالباً تفسيراً لها . وتمثل كذلك المحور الذي يدور عليه النصّ فيما بعد ؛ إذ تتعلق الأجزاء الباقية من النصّ بالجملة الأولى بوسيلة ما ((^(١)). ويمكن إدراك هذا في بعض أدعية الإمام علي عليه السلام التي تشير فيها الجملة الاستهلالية إلى موضوع الدعاء ، كما في دعائه: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، كَانَ حَيًّا بِلاَ كَيْفٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ، كَانَ وَلَا كَانَ لِكَانِهِ كَيْفٌ ، وَلَا كَانَ لَهُ أَيْنٌ ، وَلَا كَانَ فِي شَيْءٍ ، وَلَا كَانَ عَلَى شَيْءٍ ، وَلَا ابْتَدَعَ لِكَانِهِ مَكَانًا ، وَلَا قَوِيَ بَعْدَ مَا كَوَّنَ شَيْئًا ، وَلَا كَانَ ضَعِيفًا قَبْلَ أَنْ يُكَوَّنَ شَيْئًا ، وَلَا كَانَ مُسْتَوْحِشًا قَبْلَ أَنْ يَبْتَدَعَ شَيْئًا ، وَلَا يُشَبَّهُ شَيْئًا ، وَلَا كَانَ خُلُوعًا عَنِ الْمُلْكِ قَبْلَ إِنْشَائِهِ ، وَلَا يُكَوَّنُ خُلُوعًا مِنْهُ بَعْدَ ذَهَابِهِ ، كَانَ إِلَهًا حَيًّا بِلاَ حَيَاةٍ ، وَمَالِكًا قَبْلَ أَنْ يُنْشِئَ شَيْئًا ، وَمَالِكًا بَعْدَ إِنْشَائِهِ لِلْكَوْنِ ، وَلَيْسَ يَكُونُ لِلَّهِ كَيْفٌ وَلَا أَيْنٌ وَلَا حَدٌّ يُعْرَفُ ، وَلَا شَيْءٌ يُشَبَّهُهُ ، وَلَا يَهْرُمُ لِطَوْلِ بَقَائِهِ ، وَلَا يَضْعُفُ لِدُعْرَةٍ ، وَلَا يَخَافُ كَمَا تَخَافُ خَلِيقَتُهُ مِنْ شَيْءٍ ، وَلَكِنْ سَمِيعٌ بِغَيْرِ سَمْعٍ ، وَبَصِيرٌ بِغَيْرِ بَصَرٍ ، وَقَوِيٌّ بِغَيْرِ قُوَّةٍ مِنْ خَلْقِهِ ، لَا تُدْرِكُهُ حَدَقُ النَّاطِرِينَ ، وَلَا يُحِيطُ بِسَمْعِهِ السَّمَاعِينَ ، إِذَا أَرَادَ شَيْئًا كَانَ بِلاَ مَشُورَةٍ ، وَلَا مُظَاهَرَةٍ وَلَا مُخَابَرَةٍ ، وَلَا يَسْأَلُ أَحَدًا عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ أَرَادَهُ ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ))^(٢)، فقد خصّ بحمده في الجملة الأولى اسم الذات لذاتها بما تحمله من صفات ، من باب ((وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك))^(٣)، فالحمد يكون حمداً على العطاء في مرتبة ، وفي مرتبة عالية يكون حمداً للصفات الذاتية ، وهو خاصته الفارقة بينه وبين الشكر ، جاء في لسان العرب: ((الحمد والشكر متقاربان ، والحمد أعمهما ؛ لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية ، وعلى عطائه ، ولا تشكره على صفاته))^(٤)، فقولنا: (الحمد لله) معناه: ((أن الحمد والثناء حق لله وملكه ، فإنه تعالى هو المستحق للحمد بسبب كثرة أياديهِ وأنواع آلائهِ على العباد، فقولنا : (الحمد لله) معناه: أن الحمد لله حق يستحقه))^(٥)، وما تعليقه الحمد بما يدل على التوحيد إلا لبيان جهة استحقاقه،

(١) علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق ، ٦٥/١ .

(٢) روضة الكافي ، ص ٣٠-٣١ .

(٣) مرآة العقول ، ٨١/٧ .

(٤) لسان العرب ، ٣٦٦/٣ ، مادة (حمد) .

(٥) تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب) ، ٢٢٤/١ .

وشرع في تفصيلها في الفقرات اللاحقة لبيان علة ذلك الاستحقاق ، فهو سبحانه: (كَانَ حَيًّا بِلاَ كَيْفٍ) ، فحياته ليست أمراً زائداً قائماً به ، بل هي عين ذاته ، وأما أنه بلا كيف فلأن الكيفيات على أقسامها مخلوقة محدثة ، والقديم الأزلي الكامل بالذات يمتنع أن يتصف بالمحدثات . (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ) ، أي ولم يكن الكيف له . (كَانَ وَلَا كَانَ لِكَانِهِ كَيْفٌ) ، أي كان موجوداً في الأزل وما كان لوجوده كيف ؛ لأنَّ الكيف حادث فوجب أن لا يتصف به أبداً . (وَلَا كَانَ لَهُ أَيْنٌ) ، أي كان في الأزل ولا كان له أين ؛ إذ أن الأين حادث أيضاً . (وَلَا كَانَ فِي شَيْءٍ) ، كالجزء في الكل والصفة في الموصوف والصورة في المادة إلى غير ذلك ؛ لأنَّ معنى الحلول في الشيء هو الحصول فيه على سبيل التبعية ، وهو عليه محال ؛ لأنه إن افتقر إلى ذلك المحل في وجوده وكماله لزم الاحتياج المنافي للوجوب الذاتي . (وَلَا كَانَ عَلَى شَيْءٍ) ، بالاستقرار فيه كالملك على السرير ، والجسم على المكان ؛ للزوم التشابه بالجسم والجسمانيات ، والافتقار والنقص والاختصاص ببعض الجهات . (وَلَا ابْتَدَعَ لِكَانِهِ مَكَانًا) ؛ لتقدس وجوده عن المكان ، وللزوم النقصان اللازم للإمكان ؛ ولأنَّ المبتدع حادث . (وَلَا قُوِيَ بَعْدَ مَا كَوَّنَ شَيْئًا) ، فليس الغرض من تكوين الأشياء تحصيل القوة والاستعانة بها في سلطانه على غيره ، بل الغرض منه إظهار روبييته وحكمته وقدرته ، وإمضاء تقديره وتدبيره وعظمته . (وَلَا كَانَ ضَعِيفًا قَبْلَ أَنْ يُكَوَّنَ شَيْئًا) ، فلم يَكُنْه لجبر ضعفه وتشديد قدرته ورفع العجز عنه ؛ لأنه إنما يحتاج إلى ذلك العاجز الناقص في القدرة والقوة ، والله سبحانه هو القادر القوي على الإطلاق . (وَلَا كَانَ مُسْتَوْحِشًا قَبْلَ أَنْ يَبْتَدَعَ شَيْئًا) ، أي مغتماً بتفرد ، فابتدع الأشياء ليستأنس بها ، ويدفع ألم الوحشة عن نفسه ؛ لأنَّ الوحشة من لوازم التغير وتوابع المزاج . (وَلَا يُشْبِهُ شَيْئًا) ، لا في الذات ، ولا في الصفات لتتنزه عن المشابهة ؛ لتتنزه عن بخلقه إذ الوجوب الذاتي يتأبى عن المشابهة بما في عالم الإمكان . (وَلَا كَانَ خَلُوءًا عَنِ الْمُلْكِ قَبْلَ إِنْشَائِهِ) ، وَلَا يَكُونُ خَلُوءًا مِنْهُ بَعْدَ ذَهَابِهِ) ، فهو سبحانه لتتنزه عن الزمان والمكان كانت نسبته إلى ملكه من الموجودات قبل إنشائها وحين إنشائها وبعد فنائها واحدة ، ولا تقدم ولا تأخر فيها ، بل كلها حاضرة عنده ، وسلطته على الممكنات بعلمه وقدرته سواء أوجدها أو لا . (كَانَ إِلَهًا حَيًّا بِلاَ حَيَاةٍ) ، أي

مستحقاً للألوهية في الأزل من غير حياة زائدة على ذاته، فحياته عين ذاته، لا صفة زائدة عليها مثل حياة الخلق. (وَمَالِكاً قَبْلَ أَنْ يُنْشِئَ شَيْئاً، وَمَالِكاً بَعْدَ إِنْشَائِهِ لِلْكَوْنِ)، فملكه سبحانه ليس بالأشياء حتى يرتبط بها ، وينتفي بعدمها . (وَلَيْسَ يَكُونُ لِلَّهِ كَيْفٌ وَلَا أَيْنٌ)؛ لأنهما مخلوقان ولو كانا له لزم افتقاره إلى خلقه ، واتصافه به ، وانتقاله من حال إلى حال ، وكرر نفي الكيف والأين عنه لأن أكثر الخلق يتوهمونهما له . (وَلَا حَدٌّ يُعْرَفُ)؛ لأنه من لوازم الكم وتوابعه . (وَلَا شَيْءٌ يُشَبِّهُهُ)؛ لأنه يصبح قديم مثله ، وهو محال ، قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾^(١) . (وَلَا يَهْرَمُ لِطُولِ بَقَائِهِ)؛ لأن الهرم إنما يحصل بتغير المزاج وانفعاله وانكساره بطول الزمان ، وكل ذلك ممتنع . (وَلَا يَضْعُفُ لِذُعْرَةٍ، وَلَا يَخَافُ كَمَا تَخَافُ خَلْقُهُ مِنْ شَيْءٍ)؛ لأنه قاهر على كل شيء ، فكيف يخاف منه ، ولأن الخوف تابع للانفعال وهو منزّه عنه . (وَلَكِنْ سَمِيعٌ بَغَيْرِ سَمْعٍ ، وَبَصِيرٌ بَغَيْرِ بَصَرٍ)، أي بغير جارحة، فسمعه وبصره هو علمه بالمسموعات والمُبْصَرَاتِ، فهما نوعان من مطلق العلم . (وَقَوِيٌّ بَغَيْرِ قُوَّةٍ مِنْ خَلْقِهِ)؛ إذ أن قوته بذاته لا بقوة زائدة نشأت من خلقه يستعين بها على تدبير سلطانه . (لَا تُدْرِكُهُ حَقُّ النَّاطِرِينَ)؛ لتنزّهه عن الجسمية ولوآحقها من الجهة والأين مما يمكن أن تدركه الأبصار . (وَلَا يُحِيطُ بِسَمْعِهِ سَمْعُ السَّامِعِينَ)؛ لأنه يسمع بذاته ما لا يسمع السامعون من الأصوات الخفية التي بلغت من الخفاء حداً لا يدركه حديد السمع)) فيسمع السر والنجوى، بل ما هو أدق من ذلك وأخفى ، ويدرك دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، يسمع حمد الحامدين فيجازيهم ، ودعاء الداعين فيستجيب لهم))^(٢) . (إِذَا أَرَادَ شَيْئاً كَانَ بِلاَ مَشُورَةٍ)، إرادته للأشياء كن فيكون من غير تراخ ولا مهلة، ولا يستشير أحد ليعلم صلاح ذلك الشيء من فساد، وقد قال ﷺ في دعاء آخر له: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْمُبِينُ ، الْمُدَبِّرُ بِلَا وَزِيرٍ، وَلَا خَلْقَ مِنْ عِبَادِهِ يَسْتَشِيرُ))^(٣) . (وَلَا مُظَاهَرَةٍ وَلَا مُخَابَرَةٍ)، بانضمام قوة أخرى له تعينه في الإيجاد

(١) سورة الأنبياء / الآية: ٢٢ .

(٢) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، ص ٨٩ .

(٣) مهج الدعوات ومنهج العبادات ، ص ١٥٨ .

ليجيء الفعل كاملاً ، وبلا مخابرة، والمخابرة هي المزارعة على نصيب معين ، بأن يعطي الرجل أرضاً غيره ليزرع فيها على الثلث والرُّبع والخُمس وغيرها^(١)، فهو سبحانه وتعالى لم يفوض أمر ملكه وخلقه إلى غيره ليعمل فيه ويكون له نصيب منه . (وَلَا يَسْأَلُ أَحَدًا عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ أَرَادَهُ) ، ليخبره بصلاح ذلك الشيء وفساده ، وخيره وشره، ويفتح عليه أبواب علمه وحكمته ؛ لأتته سبحانه عالم بجميع الأشياء لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء . (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) ، أي أحداق العيون ، فعلمه يحيط بها وبمدرجاتها ، ولها تفسير آخر فيما روي عن أبي هاشم الجعفري عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: ((سألته عن الله هل يوصف؟ فقال: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: أما تقرأ قوله تعالى: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾^(٢)؟ قلت: بلى، قال: فتعرفون الأبصار؟ قلت: بلى ، قال: ماهي؟ قلت: أبصار العيون ، فقال: إنَّ أوْهام القلوب أكبر من أبصار العيون ، فهو لا تدركه أوْهام وهو يدرك أوْهام))^(٣)، فيكون المراد أنَّه لا تدركه القلوب المجردة، والعقول المقدسة ، ويلزم منه ألا يدركه البصر أيضاً ؛ لأنَّ كلَّ ما يدركه البصر يدركه العقل دون العكس ، وفي الآية دلالة على نفي إدراكه مطلقاً ، وهذا أولى من نفي إدراكه بالعين . (وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) ، أي العالم بلطائف الأمور وخفياتها، والخبير بحقائقها وحقائق ظواهرها وبواطنها ، ويمكن أن يكون من باب النشر المرتب ، أي وهو اللطيف فلا تدركه الأبصار، وهو الخبير فهو يدرك الأبصار^(٤). وقد مثَّلتُ جملة النواة (الحمد لله) في هذا النصِّ الأسَّ الذي انبثقت منه جميع التفرعات الكلامية اللاحقة ، التي تعدّ تفصيلات وتفسيرات لها ، فتكونت شبكة من العلاقات الدلالية التي تعمل بشكل رأسي على ربط أجزاء النصِّ في المستوى الجواني ، فضلاً على شبكة العلاقات الأفقية الظاهرة في المستوى البراني ، على شكل روابط لفظية من العناصر الإحالية والعاطفة وغيرها ، مما جعل النصَّ يظهر بنية نصّية واحدة متماسكة . ومن جانب آخر تتصف مثل هذه النصوص بكفاءتها الإعلامية

(١) ينظر: مجمع البحرين ، ١/٤٩٠ ، مادة (خبر) .

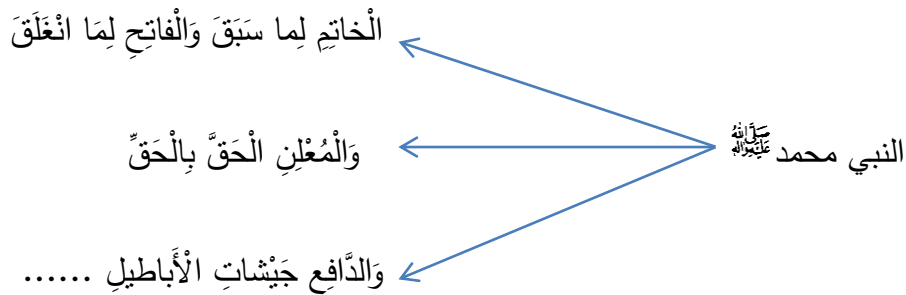
(٢) سورة الأنعام / من الآية: ١٠٣ .

(٣) أصول الكافي ، ١/١٥٢ .

(٤) ينظر: شرح أصول الكافي ، ١١/٢٧١-٢٧٥ .

العالية ؛ لما تقدمه لمستقبل النص من جدّة في معارف التوحيد والعلوم الإلهية ، مما يمتنع الحصول عليها من غير أهل البيت عليهم السلام ؛ لأنّ درجة (كفاءة) النصوص الإعلامية ترتفع كلّما كانت المعلومات التي يحملها النصّ غير معتادة في معناها وفي أسلوب التعبير عنها وطريقة عرضها ، وأمّا إذا كانت معتادة فتمثل (كفاءة) إعلامية منخفضة الدرجة^(١) .

وفي دعائه في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ، يقول عليه السلام : ((اللَّهُمَّ داحيَ المَذْحُوتَاتِ ، وداعمِ المَسْمُوكَاتِ ، وجابِلِ القُلُوبِ على فِطْرَتِها: شَقِيَّها وَسَعِيدِها ، اجْعَلْ شَرائِفَ صَلَواتِكَ ، ونَوامِي بَرَكاتِكَ ، على مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ، الخاتِمِ لِمَا سَبَقَ ، والْفاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ ، والمُعْلِنِ الحَقِّ بِالْحَقِّ ، والدَّافِعِ جَيْشَاتِ الأَباطِيلِ ، والدَّامِعِ صَوْلَاتِ الأَضاليلِ ، كما حُمِلَ فَاضْطَلَعَ قائِماً بِأَمْرِكَ ، مُسْتَوْفِزاً في مَرْضاتِكَ ، غَيْرَ ناكِلٍ عَن قُدِّمٍ ، ولا واهٍ في عَزَمٍ ، واعِياً لَوَحْيِكَ ، حافِظاً لِعَهْدِكَ ، ماضِياً على نَفادِ أَمْرِكَ ، حتّى أَوْرى قَبَسَ القابِسِ ، وأضاءَ الطَّرِيقَ لِلْخابِطِ ، وَهَدَيْتَ بِهِ القُلُوبَ بَعْدَ حَوَاضَاتِ الْفِتَنِ وَالْأَثامِ ، وأقامَ بِمَوْضِحَاتِ الأَعْلَامِ ، وَنَيِّرَاتِ الأحكامِ ، فَهُوَ أَمِينُكَ المَأْمُونُ ، وَخازِنُ عِلْمِكَ المَخْزُونِ ، وشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ ، وَرَسُولُكَ إِلى الخَلْقِ))^(٢) ، وبنية النصّ الكبرى في هذا الدعاء وعنوانه العام هو الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ؛ لذلك كانت نواة النصّ شخصية الرسول الكريم ، وما تفرع من كلام يعود عليها، فذكر بنوع من التفصيل صفاته التي بها استحق الصلاة ، حتى قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾^(٣) ، ويمكن التمثيل لذلك على النحو الآتي:

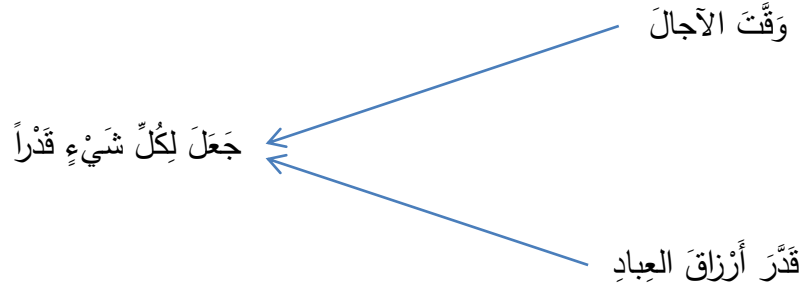


(١) ينظر: نظرية علم النصّ ، ص ٦٦ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ١٠٠-١٠١ .

(٣) سورة الأحزاب / الآية: ٥٦ .

وقد يكون الإجمال بعد التفصيل ، وهي طريقة أخرى يلجأ إليها بعض الكتاب لتأكيد المعنى، بأن يظهر فكرته بشكل مفصل ، ثم يعود فيكرر تناوله لها بشكل مجمل . فالعلاقة من المجمل إلى المفصل لا تسلك دوماً الاتجاه نفسه ، وإنما قد تسلك سبيلا مخالفا من المفصل إلى المجمل ، والترتيب الأولي معياري والثاني تداولي ، وهو يأتي لتحقيق غاية معينة^(١)؛ لأنَّ ((للإجمال بعد التفصيل وقعاً من نفوس السامعين))^(٢). كما في دعائه عليه السلام: ((حَدَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا بِعِلْمِهِ ، وَلَمْ يَحُلْ فِيهَا فَيَقَالَ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ ، وَلَمْ يَنَأْ عَنْهَا فَيَقَالَ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ ، أَحَاطَ بِهَا عِلْمُهُ ، وَاتَّقَنَّا صُنْعُهُ ، وَدَلَّلَهَا أَمْرُهُ ، وَأَحْصَاهَا حِفْظُهُ، لَمْ تَعْرُبْ عَنْهُ غُيُوبُ الْهَوَاءِ ، وَلَا مَكُونُونَ ظِلْمُ الدُّجَى ، فَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ))^(٣)، فبعد أن ذكر ما يحيط به علمه سبحانه ، حتى أنَّ كلَّ الأشياء في حدوده ، من دون حلولٍ أو بينونة، فكان أن اتَّقَنَّا صنعاً ، واتقان الصنعة فرع العلم ، ثم ذكر إحصاءه لها ، ما كان منها في غيب الهواء، أو في دياجي الظلم ، عاد فأجمل فكرته بأنه سبحانه بكلِّ شيء محيط . وكذلك في دعائه عليه السلام: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَقَّتَ الْأَجَالَ ، وَقَدَّرَ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا))^(٤)، ويمكن تمثيل هذه العلاقة على النحو الآتي:



(١) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ١٨٩ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير ، ٣٠٢/١ .

(٣) نهج البلاغة الثاني ، ١٠/١ .

(٤) دستور معالم الحكم ، ص ٧٢ .

ب- علاقة السببية:

تقوم هذه العلاقة على الربط بين قضيتين ، تكون إحداهما بسبب من الأخرى ، فتعطي معقولة لكيفية تتابع قضايا النصّ وتسمها بسمة المنطقية^(١)، وهي من العلاقات (الملحوظة) التي تربط أجزاء النصّ من دون أن تعتمد في ذلك على أداة من الأدوات التي تعتمد عليها العلاقة السببية (الملفوظة)^(٢)، والمتلقي هو مَنْ يوجد هذا النوع من الربط بناءً على معرفته بالنصّ وخلفيات تكوينه . ومن أمثلة ذلك دعاؤه عليه السلام: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ أَكُنْ عِنْدَهُ مُنْسِيًّا ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَثْبَتَنِي عِنْدَهُ فِي صَحِيفَةِ الْأَبْرَارِ))^(٣)، وقد يبدو للوهلة الأولى ألا رابط بين القضيتين ، ولكن إذا تأملنا في سياق الدعاء بالعود إلى منظومة المفهومات القرآنية ، نستطيع أن نستنبط أن كتابة العبد في صحيفة الأبرار بسبب من ذكر الله له وعدم نسيانه ، وهذه القضية تقودنا إلى قضية أخرى هي: متى يذكر الله العبد حتى يُثَبَّت في صحيفة الأبرار؟ ويتضح الجواب في قوله تعالى: ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾^(٤)، وفي معنى الذكر، وبيان فضله ، وترتب نتائجه يقول رسول الله ﷺ: ((ارتعوا في رياض الجنة قالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر اغدوا وروحوا واذكروا ، ومن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده ، فإن الله تعالى ينزل العبد حيث أنزل العبد الله من نفسه ، واعلموا أن خير أعمالكم و أزكاها وأرفعها في درجاتكم وخير ما طلعت عليه الشمس ذكر الله سبحانه ، فإنه أخبر عن نفسه فقال: أنا جليس من ذكرني، وقال سبحانه: ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ ﴾ بنعمتي ، واذكروني بالطاعة والعبادة ، أذكركم بالنعم والإحسان ، والرحمة والرضوان))^(٥)، فالذكر لا يكون باللسان فقط ، بل هو أحد مراتبه ، يقول الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ): ((أما الذكر فقد يكون

(١) ينظر: نظرية علم النصّ ، ص ١٤٣ .

(٢) ينظر: المعايير النصّية في السور القرآنية ، ص ١٥٩ .

(٣) فروع الكافي ، ١٨٨/٢ .

(٤) سورة البقرة / الآية: ١٥٢ .

(٥) عدة الداعي ونجاح الساعي ، ص ٢٥٣ .

باللسان، وقد يكون بالقلب ، وقد يكون بالجوارح))^(١)، وفي وصية الرسول الكريم ﷺ للإمام علي عليه السلام بلسان (إياك أعني واسمعي يا جارة) يقول: ((يا علي ثلاث لا تطيقها هذه الأمة: المواساة للأخ في ماله ، وإنصاف الناس من نفسه ، وذكر الله على كل حال ، وليس هو " سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر " ولكن إذا ورد على ما يحرم عليه خاف الله عز وجلَّ عنده وتركه))^(٢)، وبذلك يتبين إن الإثبات في صحيفة الأبرار هو نتيجة لذكر العبد ربه بالمعنى المذكور. وفي دعائه: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَرَّفَنِي نَفْسَهُ ، وَلَمْ يُتْرَكْنِي عَمِيَانِ الْقَلْبِ))^(٣)، وعمى القلب هو فقدان البصيرة ، وقد قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾^(٤)، وهو العمى الحقيقي الذي لا يقاس به عمى البصر ، ولذلك وصفه رسول الله ﷺ بقوله: ((وأعمى العمى عمى القلب))^(٥)، وهو مترتب على عدم معرفة الله ، التي هي نور يُقْتَبَسُ من مشكاته ، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(٦)، فالله نور ومن عرف النور استضاء بشعاعه ، وأصبح على بصيرة من أمره ، فينتقل من حال الموت إلى حال الحياة ، قال تعالى: ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٧). ولعلَّ في قوله ﷺ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَرَّفَنِي نَفْسَهُ) إشارة إلى برهان الصديقين ، فإنَّ للناس في معرفة الله طريقين: أحدهما للعامة ، وفيه يستدل بالأثر على

(١) تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب) ، ١٥٨/٤ .

(٢) كتاب الخصال ، ١٢٥/١ .

(٣) مصباح الكفعمي ، ١٩٣/١ .

(٤) سورة الحج / الآية: ٤٦ .

(٥) تفسير نور الثقلين ، ٥٠٨/٣ .

(٦) سورة النور / الآية: ٣٥ .

(٧) سورة الأنعام / الآية: ١٢٢ .

المؤثر ، والآخر للصديقين ، وفيه يكون الطريق إلى المقصود هو عين المقصود^(١)، ويتجلى هذا المفهوم في دعاء أبي حمزة الثمالي للإمام زين العابدين عليه السلام: ((بِكَ عَرَفْتُكَ وَأَنْتَ دَلَّلْتَنِي عَلَيْكَ وَدَعَوْتَنِي إِلَيْكَ، وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ أَدْرِ مَا أَنْتَ))^(٢). ومن لطائف هذا الدعاء أنه عليه السلام قرن معرفة الله بالقلب ، فقال: (وَلَمْ يَتْرُكْنِي عَمِيَانِ الْقَلْبِ)؛ لأنَّ معرفة الله حقاً هي ما كانت بعين القلب ، لا عين العقل ؛ لذلك قال عليه السلام لسائله: ((لَا تُدْرِكُهُ الْغُيُوبُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ وَ لَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ))^(٣). ويؤكد هذا المعنى في دعائه عليه السلام: ((إِلَهِي هَبْ لِي كَمَالَ الْإِنْقِطَاعِ إِلَيْكَ ، وَأَنْزِرْ أَبْصَارَ قُلُوبِنَا بِضِيَاءِ نَظَرِهَا إِلَيْكَ، حَتَّى تَخْرِقَ أَبْصَارُ الْقُلُوبِ حُجُبَ النُّورِ فَتَصِلَ إِلَى مَعْدِنِ الْعِظَمَةِ ، وَتَصِيرَ أَرْوَاحُنَا مُعَلَّقَةً بِعِزِّ قُدْسِكَ))^(٤)، إذ يبين طريق سير الإنسان في كدحه إلى الله ، في مراحل مترتبة بعضها بسبب من بعض ، فإذا أتمَّ الإنسان الأربعين الأولى ، وحصلَّ على كمال الانقطاع بقطع جميع خيوط الجذب الأرضية ، ينتج عنه استعداد قابله لفيوضات الأربعين الثانية بتحمل أبصار القلوب أنوار القدس، فتكون النتيجة في الأربعين الثالثة خرق حجب النور بعد طَيَّ حجب الظلام في منازل سابقة، وعندها ((أَطْفِئِ الْمَصْبَاحَ فَقَدْ طَلَعَ الصَّبَاحُ))^(٥) .

ج - علاقة المقابلة:

المقابلة في اللغة: المواجهة^(٦)، وبذلك تقتضي وجود طرفين ، ومن ثمَّ حصول علاقة بينهما. والمقابلة من المحسنات المعنوية التي عرّفها القزويني (ت ٧٣٩هـ) بقوله: ((أن يوتى بمعنيين متوافقين، أو معان متوافقة ، ثم بما يقابلهما ، أو يقابلها على الترتيب))^(٧). وهي من العلاقات التي تحقق

(١) ينظر: الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة ، ١٣/٦ .

(٢) الإقبال بالأعمال الحسنة ، ١٥٧/١ .

(٣) نهج البلاغة ، ص ٢٥٨ .

(٤) الإقبال بالأعمال الحسنة ، ٢٩٩/٣ .

(٥) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ، ٨١/٢ .

(٦) ينظر: لسان العرب ، ٢٠/١١ ، مادة (قبل) .

(٧) الإيضاح في علوم البلاغة ن ١٦/٦ .

الاستمرارية الدلالية للنص ؛ لأنها تربط بين جملتين أو أكثر ، فينتقل بذلك دورها من تحسين المعنى إلى حبك النص ، نحو قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿ۛ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿ۛ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿ۛ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿ۛ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿ۛ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿ۛ﴾^(١)، ويعلق السكاكي (ت ٦٢٦هـ) بقوله: ((لما جعل التيسير مشتركاً بين الإعطاء والاتقاء والتصديق ، جعل ضده وهو التعسير مشتركاً بين أضداد تلك، وهي: المنع والاستغناء والتكذيب))^(٢). وتكشف المقابلة في مجموع آيات السورة ، من هذه الآيات ومن التي سبقتها والتي بعدها عن كونها ركيزة أساسية في حبك السورة^(٣)، بل إنها شكلت ظاهرة أسلوبية في عموم سور القرآن الكريم ، حتى قيل في حقها إنَّ القرآن الكريم كلّه وارد عليها^(٤). ومن ذلك في أدعية الإمام علي عليه السلام دعاؤه: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ ، وَالْآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ ، وَالظَّاهِرِ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ ، وَالْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ))^(٥)، وقد تحقق الحبك في المقابلة بين (الأول والآخر) و (قبله و بعده) و (الظاهر والباطن) و (فوقه ودونه)، ومع أنَّ القصد البلاغي الجمالي قد تحقق في هذه المقابلة بتحقيق شروط قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) فيها ، فهو يرى أن تأتي: ((في الموافق بما يوافق ، وفي المخالف بما يخالف على الصحة ، أو يشترط شروطاً ، ويعدد أحوالاً في أحد المعنيين ، فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده ، وفيما يخالف بأضداد ذلك))^(٦)، إلا أنَّ معه مقصداً إعلامياً قد لا يتحقق إلا من طريق هذا الأسلوب ، الذي يثير انتباه المتلقي بإعلاميته العالية بانزياحه عن المألوف سواء في التركيب أم في الدلالة ، وما يؤكد ذلك كثرة الاحتمالات في تفسيره^(٧)، ومنها ما أورده البحراني (ت ٦٧٩هـ) بقوله: ((أثنى على الله سبحانه باعتبارات

(١) سورة الليل / الآيات: ١٠-٥ .

(٢) مفتاح العلوم ، ص ٥٣٣ .

(٣) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية ، ص ١٥٢ .

(٤) البرهان في علوم القرآن ، ٢٨١/٣ .

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ٦٧/٧ .

(٦) نقد الشعر ، ص ١٣٣ .

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ١٥٤/٥-١٥٥ . ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٨-٦/٥ ، و

٢٤٦-٢٤٧ ، و ٩٤/٧-٩٥ .

أربعة: الأوليّة والآخريّة والظاهرية والباطنيّة ، وأكّد كل واحد منها بكماله ، فكمال الأوليّة بسلب قبليّة شيء عنه، وكمال الآخريّة بسلب بعديّة كل شيء له ، والظاهرية بسلب فوقية شيء له ، والباطنيّة بسلب شيء دونه. والمراد بالظاهر هنا العالي ، فلذلك حسن تأكّيده بسلب فوقية غيره له ، والباطن الذي بطن خفيّات الأمور علماً، وهو بهذا الاعتبار اقرب الأشياء إليها ؛ فلذلك حسن تأكّيده بسلب ما هو دونه: أي ما هو اقرب إليها منه ، وحصلت حينئذ المقابلة بين الداني والعالي ...))^(١)، وهذا ما يجعل ((الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني ، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية))^(٢). وهي معادلة يصعب تحقيقها إلا في النصوص الفنية العالية . وقد تكرر مثل هذا المعنى في دعائه: ((اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَا شَيْءَ قَبْلَكَ ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَا شَيْءَ بَعْدَكَ ، ظَهَرْتَ فَبَطُنْتَ ، وَبَطُنْتَ فَظَهَرْتَ ، عَلَوْتَ فِي دُنُوكَ ، وَدَنَوْتَ فِي غُلُوكَ))^(٣)، وبسبب تعدد المقابلات وأطرافها ، فقد اتسع مدى الحبك النصّي من خلالها ، فكان من العناصر الرئيسة التي أسهمت في بناء النصّ وتماسكه . وقد لا يكون التقابل بين (المنطوقات) الملفوظة ، وإنما يكون بين (المفهومات) الملحوظة ، فيتطلب ذلك جهداً من المتلقي لإنشاء الحبك وتكوينه ، ويساعده في ذلك بعض العبارات الظاهرة على البنية السطحية ، التي تخفي في البنية العميقة مفهوم مقابليها ، نحو دعائه عليه السلام: ((إِلَهِي كَيْفَ أَدْعُوكَ وَقَدْ عَصَيْتُكَ ، وَكَيْفَ لَا أَدْعُوكَ وَقَدْ عَرَفْتُكَ ، وَحُبُّكَ فِي قَلْبِي مَكِينٌ ، مَدَدْتُ إِلَيْكَ يَدًا بِالذُّنُوبِ مَمْلُوءَةً ، وَعَيْنًا بِالرَّجَاءِ مَمْدُودَةً ، إِلَهِي أَنْتَ مَالِكُ الْغَطَايَا وَأَنَا أَسِيرُ الْخَطَايَا))^(٤)، ويفهم من هذا الدعاء أنّ الداعي معلق بين الخوف والرجاء ، وقد قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾^(٥)، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: ((كان أبي عليه السلام يقول: إنه ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران: نور خيفة

(١) شرح نهج البلاغة للبحراني ، ٤١٧/٢-٤١٨ .

(٢) التصوير الفني في القرآن ، ص ١٤٣ .

(٣) الدروع الواقية ، ص ٢٢٣ .

(٤) المزار الكبير ، ص ١٤٩ .

(٥) سورة السجدة / الآية: ١٦ .

ونور رجاء ، لو وزن هذا لم يزد على هذا ، ولو وزن هذا لم يزد على هذا ^(١)، ويتكرر التقابل تحت هذا المفهوم ، فيكون للحبك مدى أوسع في هذا الدعاء ، فيقول: ((إلهي لئن طالبتني بذنوبي لأطالبك بغفوك ، وإن طالبتني بسريرتي لأطالبك بكرمك ، وإن طالبتني بشري لأطالبك بخيرك ، وإن جمعت بيني وبين أعدائك في النار لأخبرنهم أنني كنت لك محباً ، وأنتي كنت أشهد أن لا إله إلا الله)) ^(٢)، ويؤكد هذا المعنى في فقرات أخرى من الدعاء ، منها: ((إلهي إن أوحشتني الخطايا عن محاسن لطفك ، فقد آنسنتي باليقين مكارم عفوك ، إلهي إن أنامتني الغفلة عن الاستعداد ، للقاءك فقد أنبهتني المعرفة يا سيدي بكرم آلائك)) ^(٣)، وبذلك يمتد التقابل على امتداد أبنية الدعاء ليشكل البنية الكبرى له، حتى يمكن لنا أن نضع عنواناً لها هو: (الخوف والرجاء) .

د- علاقة حسن الابتداء بمضمون النص:

تعدّ الجملة الافتتاحية من عتبات النصّ التي يولج منها إلى عالمه ، ولها أهمية في بناء النصّ لغوياً وتوجيهه دلاليّاً ((فالاستهلال يحتل مكانة بارزة من حيث أهميته من ناحية ، ومن حيث علاقته ببقية أجزاء النصّ من ناحية أخرى ، وتحكمه كذلك في هذه الأجزاء)) ^(٤). والجملة الأولى في أي نصّ تمثل معلماً تقوم عليه سائر مكوناته ، وهي الحلقة الأولى التي تنتهي من دون أن تتغلق على نفسها، فهي مستقلة من حيث التركيب ، ولكنها منطلق لما يأتي بعدها من حلقات هي جمل أخرى، فترصف الحلقة إلى جنب الأخرى لتكوّن عالماً ممتداً هو عالم النصّ ^(٥). وقد التفت القدماء من البلاغيين والنقاد العرب إلى أهمية ذلك ، فقالوا في وصف الشعر الجيد ، أن يكون: حسن المقاطع جيد المطالع ، وجودة المطلع _ وهو أول بيت _ أن يكون دالاً على ما بعده ^(٦)، وأن يعلم السامع له إلى أي معنى يساق القول

(١) أصول الكافي ، ٧٦/٢ .

(٢) المزار الكبير ، ص ١٥٠ .

(٣) المزار الكبير ، ص ١٥١ .

(٤) علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق ، ٦٥/١ .

(٥) ينظر: نسيج النصّ ، ص ٦٧ .

(٦) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ٢١٦/١ .

فيه قبل استتمامه^(١). فيستهل الصلوة دعاءه في الاستسقاء بقوله: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ سَابِغِ النِّعَمِ ، وَمُفَرِّجِ الْهَمِّ ، وَبَارِيِ النَّسَمِ))^(٢)، فقد افتتح الدعاء بحمد الله بوصفه (سابغ النعم)، وهي نتيجة وأثر عن نزول الغيث، فقد يذكر لفظ المسبَّب ويراد منه السَّبَب ، نحو قوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلْ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾^(٣)، أي: مطراً هو سبب الرزق^(٤)، وهو يجري على ذكره (كشف الهم) بوصف الهم ناتجاً عن حبس القطر، وكذلك على قوله (باريء النسم)، فهو إشارة إلى خلقه جلَّ جلاله ، وقد قال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾^(٥)، وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾^(٦)، بإنزال الماء ، إذ أن الأنعام لا تعيش إلا بالنبات ، والنبات لا يقوم إلا بالماء ، وقد انزل الماء ، فكأنه انزلها^(٧). وكان من دعائه الصلوة إذا طلب شيئاً بدأ بما يناسبه من الأسماء الحسنى ، فإذا طلب الرحمة بدأ باسم الرحيم ، فيقول: ((يَا رَحِيمٌ تَعَطَّفْ عَلَى ضُرِّي بِرَحْمَتِكَ ، وَجُدْ عَلَيَّ بِجُودِكَ وَرَأْفَتِكَ ، وَخَلِّصْنِي مِنْ عَظِيمِ جُرْمِي بِرَحْمَتِكَ ، فَإِنَّكَ الشَّفِيقُ الرَّفِيقُ))^(٨)، وإذا طلب الملك بدأ باسم المالك ، فيقول: ((يَا مَالِكُ مِنْ مَلِكِكَ أَطْلُبُ ، وَمِنْ خَزَائِنِكَ الَّتِي لَا تَنْفَدُ أَسْأَلُ، فَأَعْطِنِي مَلِكَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَإِنَّهُ لَا يُعْجِزُكَ وَلَا يَنْقُصُكَ شَيْءٌ ، وَلَا يُؤَثِّرُ فِيمَا عِنْدَكَ))^(٩)، وإذا طلب السلامة بدأ باسم السلام ، فيقول: ((يَا سَلَامُ سَلِّمْنِي مِنْ مَظَالِمِ الْعِبَادِ ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ))^(١٠)، وإذا طلب الأمان بدأ باسم

(١) ينظر: عيار الشعر ، ص ٢٣ .

(٢) من لا يحضره الفقيه ، ٣٨٩/١ .

(٣) سورة غافر / الآية: ١٣ .

(٤) ينظر: مفتاح العلوم ، ص ٤٧٤ .

(٥) سورة الأنبياء / الآية: ٣٠ .

(٦) سورة الزمر / الآية: ٦ .

(٧) ينظر: تفسير الكشاف ، ١١٠/٤ .

(٨) الإقبال بالأعمال الحسنة ، ٣٦١/٢ .

(٩) السابق نفسه ، ٣٦١/٢ .

(١٠) السابق نفسه ، ٣٦٢/٢ .

المؤمن ، فيقول: ((يا مُؤْمِنُ آمِنِّي مِنْ كُلِّ خَوْفٍ ، وَارْحَمْ ضُرِّي وَذُلَّ مَقَامِي ، وَاكْفِنِي مَا أَهَمَّنِي مِنْ أَمْرِ دُنْيَايَ وَآخِرَتِي))^(١) .

هـ - التناص:

يعرف التناص بأنه: ((تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نصّ حدث بكيفيات مختلفة))^(٢)، وهذه العلاقات أو التفاعلات الحاصلة بين النصوص قد تكون مباشرة أو ضمناً ، عن قصد أو غير قصد^(٣). وتعدّ جوليا كرسيفا أول من أسست له وأول من استعملته في مجال التطبيق النقدي في منتصف ستينيات القرن العشرين وأواخرها ، بعد أن كانت قد تأثرت بأعمال ميخائيل باختين حول الحوارية^(٤)، وتوصف كتابات جيرار جينيت الأدبية في هذا السياق بأنها من أعمق التأصيلات النظرية التي عرفتھا النظرية النقدية الحديثة ، فقد حاول في كتابه (طروس) رصد جميع العلاقات النصّية التي بإمكان النصوص أن تأخذھا في حوار بعضها مع بعض^(٥)، ففي حديثه عن شعرية النصّ يرى جيرار جينيت أنّها تكمن في الاستعلاء النصّي للنصّ ، الذي كان قد عرفه من قبل تعريفاً كلياً^(٦)، فقال: ((إنّهُ كلّ ما يضع النصّ في علاقة ظاهرة أو خفية مع نصوص أخرى))^(٧)، ويتضمن ذلك خمسة أنماط من العلاقات ، هي^(٨):

١- التناص: وهو الحضور الفعلي لنصّ في داخل نصّ آخر، ويأتي على ثلاثة أشكال: الاقتباس، والسرقة ، والتلميح .

(١) السابق نفسه ، ٣٦٢/٢ .

(٢) تحليل الخطاب الشعري ، ص ١٢١ .

(٣) ينظر: الرواية والتراث السردى ، ص ١٧ .

(٤) ينظر: نظرية التناص ، ص ٢٨ - ٨٨ .

(٥) ينظر: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي ، ص ٢١ .

(٦) في كتابه مدخل لجامع النصّ ، ص ٩٠ .

(٧) طروس: الأدب على الأدب ، ضمن كتاب آفاق التناصية ، ص ١٦٠ .

(٨) ينظر: السابق نفسه ، ص ١٦٠ - ١٦٩ ، و التناص في الخطاب النقدي والبلاغي ، ص ٢٢ - ٢٣ ، و في تحليل الخطاب الشعري ، ص ٨٦ - ٨٨ .

٢- المناص: ويشمل جميع ما يحيط بالنصّ ، نحو: العنوان ، والعنوان الفرعي ، والعنوان الداخلي، والهوامش ، والرسوم ، فضلاً عن كلّ العمليات التي تتمّ قبل إنتاج النصّ من مسودات وملخصات ومخططات ... الى غير ذلك .

٣- الميناص: وهو العلاقة التي تربط نصّاً بآخر يتحدث عنه من دون أن يذكره مباشرة ، وتتمثل في علاقة التفسير والتعليق ، وهي علاقة غالباً ما تأخذ طابعاً نقدياً .

٤- معمارية النصّ: وهو العلاقة التي تربط النصّ بجنسه ، أو النوع الأدبي الذي ينتمي إليه .

٥- التعلق النصّي: ويقصد به العلاقة التي تجمع بين نصّين سابق ولاحق ، فالنصّ اللاحق يبنّي وجوده من السابق ، حين يشتق تراكيبه ودلالاته وفق طريقة ما من سابقه .

وينبغي أن يعدّ التناص من وسائل الحبكة النصّية ، فهو ايضاً علاقة ربط دلالية تعمل على ربط النصّ بنصوص آخر في المستوى غير الظاهر بالرجوع لما مخزون في الذاكرة ، فالنصّ ((أفق مفتوح يحتوي على أفكار ومعتقدات ... إلخ ، قابلة للتلفيح والاندماج ، ومستقرة في الذاكرة الفردية ، او الجماعية للإنسان في كلّ زمان ومكان))^(١)، وفيه تتمازج كتابات وتعارض ، من غير أن يكون فيها ما هو أكثر من غيره أصالة ، فالنصّ نسيج من الاقتباسات تتحدر من منابع ثقافية متعددة^(٢)، ولا يوجد تعبير لا تربطه علاقة بتعبيرات آخر^(٣)، وأي نصّ لا يمكنه إلّا أن يدخل في علاقات ما وعلى مستوى ما مع النصوص السابقة أو المعاصرة له^(٤)، فيتحقق له بذلك الاستمرارية الدلالية عن طريق ربط النصّ بسياقه الثقافي مما يسهم في عملية التفسير والتأويل ، إذ إنّ التناص يمثل السياق الثقافي للنصّ ، الذي عن طريقه يتمّ توجيه دلالة النصّ بربط قضاياه التي قد تكون متباعدة ، لولا الرجوع إلى النصّ المتناص معه ، ومن الضروري ((إعطاء اهتمام لما هو أكبر من محيط النصّ يصل إلى (الخلفية الثقافية) للنصّ؛ لأنّ أي نوع من التفاعل اللغوي أو التبادل الحوارى لا يمثله فقط مجموع الرؤى أو الأصوات

(١) نحو تحديد المصطلحات ، التناص .. الأدب المقارن .. السرقات الأدبية (بحث) ، ص ٦٢ .

(٢) ينظر: درس السيميولوجيا ، ص ٨٥ .

(٣) ينظر: ميخائيل باختين المبدأ الحوارى ، ص ١٢١ .

(٤) ينظر: الرواية والتراث السردى ، ص ١٧ .

المحيطة بالحدث ، ولكن أيضاً كل التاريخ الثقافي الكامن في عقل المشاركين في الخطاب (المتكلم - المستمع)، والكامن في نوع النشاط الذي يمارسونه . كل هذا يلعب دوراً هاماً في تفسير المعنى العام للنص ((^(١)).

وبعد القرآن الكريم مصدر التناص الرئيس لأدعية أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم ، وقد وضعوا لنا القاعدة الحديثة لمعرفة الصحيح من كلامهم بأن قالوا: ((إذا جاءكم عنا حديثٌ فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فخذوه ، وما خالفه فاطرحوه ، أو ردّوه إلينا))^(٢)، مما يعني أنّ حديثهم في (تناص) مع القرآن الكريم ، وقد أحصى محقق الصحيفة العلوية الجامعة ما يقرب من إحدى وخمسين وثلاثمائة آية في اقتباس مباشر من القرآن الكريم ، فضلاً على ما لمّح به من تناص غير مباشر، فمن التناص المباشر الذي يأتي به تعريضاً للمعنى الذي يقصده دعاؤه: ((يا خَيْرَ مَنْ سُئِلَ ، وَخَيْرَ مَنْ أُعْطِيَ ، يا صادقُ يا باريُّ، يا مَنْ لا يُخْلِفُ الميعادَ ، يا مَنْ أَمَرَ بالدُّعاءِ ووَعَدَ بالإِجابةِ ، يا مَنْ قالَ: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾^(٣)، يا مَنْ قالَ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾^(٤)، ويا مَنْ قالَ: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾^(٥)، لِبَيْتِكَ وَسَعْدَيْكَ، ها أنا ذا بَيْنَ يَدَيْكَ الْمُسْرِفُ ، وَأَنْتَ الْقَائِلُ: ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾^(٦)))^(٧)، وقد كانت الآيات المستشهد بها في مثل هذا النوع من التناص كلاً منسجماً مع بنية الدعاء ومتسقة مع سياقه ، وليست جسداً غريباً لا علاقة له بالنص . ومن المصادر الأخر - وهي أقل وروداً - ما كان مع أدعية الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ، نحو دعائه عليه السلام: ((اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا خَالِدًا مَعَ

(١) علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص ٣ .

(٢) وسائل الشيعة ، ٢٠/٤٦٣-٤٦٤ .

(٣) سورة غافر / الآية: ٦٠ .

(٤) سورة البقرة / الآية: ١٨٦ .

(٥) سورة الزمر / الآية: ٥٣ .

(٦) سورة الزمر / الآية: ٥٣ .

(٧) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ، ص ٢٦٠ .

خُلُودِكَ ، وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا لَا مُنْتَهَى لَهُ دُونَ عِلْمِكَ ، وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا لَا أَمَدَ لَهُ دُونَ مَشِيَّتِكَ ، وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا لَا أَجَرَ لِقَائِهِ إِلَّا رِضَاكَ))^(١)، وهو في تناسخ مباشر تقريباً مع ما روي في حديث قدسي عن الرسول الكريم ﷺ أن جبرئيل عليه السلام أتاه فقال: ((إن ربك يقول لك: إذا أردت أن تعبدني يوماً وليلة حقَّ عبادتي فارع يدك إليَّ وقل: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا خَالِدًا مَعَ خُلُودِكَ ، وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا لَا مُنْتَهَى لَهُ دُونَ عِلْمِكَ ، وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا لَا جَزَاءَ لِقَائِهِ إِلَّا رِضَاكَ))^(٢)، وينقل مثل هذا المضمون عن نبي الله داود عليه السلام دعاؤه: ((اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ دَائِمًا مَعَ دَوَامِكَ وَلَكَ الْحَمْدُ بَاقِيًا مَعَ بَقَائِكَ وَلَكَ الْحَمْدُ خَالِدًا مَعَ خُلُودِكَ وَلَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِكَرَمِ وَجْهِكَ وَعِزِّ جَلَالِكَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ))^(٣)، فيكون تناسخاً غير مباشر من هذا الجانب .

ويكون التناسخ وسيلة حبك نصية تحقق للنص انسجامه عندما تتوقف الاستمرارية الدلالية للنص والتواصل مع مقصدياته على معرفة النص المتناسخ معه ، فالتناسخ ((وسيلة تواصل لا يمكن أن يحصل القصد من أي خطاب لغوي بدونه ، إذ يكون هناك مرسل بغير متلق متقبل مستوعب مدرك لمرامية))^(٤)؛ لأنَّ المعنى لا يدرك في نصٍّ ما إلا في علاقته بأنماط عليا هي متوالية طويلة من النصوص يدخل معها في علاقة تحقق أو تحويل أو خرق^(٥)، وقد استعان شراح أدعية الامام علي عليه السلام بـ (التناسخ القرآني) في عملية التلقي بالكشف عن بنياته الدلالية الكامنة والربط بين فقراته ، ومن أمثلة ذلك دعاؤه عليه السلام: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحًا لِذِكْرِهِ وَسَبَبًا لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ وَدَلِيلًا عَلَى آلَانِهِ وَعَظَمَتِهِ))^(٦)، ففي شرحه للدعاء يقول ابن أبي الحديد(ت ٦٥٥هـ أو ٦٥٦هـ): ((جعل الحمد مفتاحاً لذكره لأن أول الكتاب العزيز: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٧)، والقرآن هو الذكر قال سبحانه: ﴿ إِنَّا

(١) جمال الاسبوع ، ص ٢٨٣ .

(٢) اصول الكافي ، ٥٤٦/٢ .

(٣) مهج الدعوات ، ص ٣٧٣ .

(٤) تحليل الخطاب الشعري ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٥) ينظر: انفتاح النص الروائي ، ص ٩٤ .

(٦) نهج البلاغة ، ص ٢٢١ .

(٧) سورة الفاتحة / الآية: ٢ .

نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^(١)، وسبباً للمزيد ؛ لأنه تعالى قال: ﴿لَيْنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٢)، والحمد هاهنا هو الشكر، ومعنى جعله الحمد دليلاً على عظمته وآلائه أنه إذا كان سبباً للمزيد ، فقد دلّ ذلك على عظمة الصانع وآلائه ؛ أمّا دلالاته على عظمته ، فلأنّه دالٌّ على أن قدرته لا تنتهى أبداً ، بل كلما ازداد الشكر ازدادت النعمة . وأمّا دلالاته على آلائه ، فلأنّه لا جود أعظم من جود مَنْ يعطي من يحمده ، لا حمداً متطوعاً بل حمداً واجباً عليه))^(٣). وكذلك في دعائه: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ وَسَاطِحِ الْمِهَادِ وَمُسِيلِ الْوَهَادِ وَمُخْصِبِ النَّجَادِ لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ إِبْتِدَاءٌ وَلَا لِآخِرِيَّتِهِ انْقِصَاءٌ))^(٤)، فقد حمد الله سبحانه وأثنى عليه بأوصاف فيها دلائل القدرة والعظمة منها أنه (سَاطِحِ الْمِهَادِ)، وهي عبارة تتضح دلالتها وارتباطها بسياق الحمد بالرجوع الى القرآن الكريم ، جاء في كتاب بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة قوله: ((« وساطح المهاد » أي: الأرض التي جعلها للناس كالمهد للطفل ، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾^(٥)، أو الأرض التي جعلناها ممهّدة ومهيّأة لانتفاع النَّاسِ بها ، أي نوع أرادوا منها، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا ۖ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾^(٦)، وقال عزّ وجلّ: ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾^(٧)، وقال عزّ اسمه: ﴿ وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾^(٨))).^(٩) وفي شرحه لدعاء الصباح في فقرة: ((أَلْفَتْ بِقُدْرَتِكَ الْفِرْقَ ، وَفَلَقْتَ بِلُطْفِكَ الْفَلَقَ ، وَأَنْزَلْتَ بِكَرَمِكَ دِيَاغِي الْغَسَقِ ، وَأَنْهَرْتَ الْمِيَاهَ مِنَ الصُّمِّ الصَّيَاخِيدِ عَذْبًا وَأَجَا ، وَأَنْزَلْتَ مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَاجًا ، وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِلْبَرِّيَّةِ سِرَاجًا وَهَاجًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُمَارِسَ فِيمَا ابْتَدَأْتَ بِهِ لُغُوبًا وَلَا عِلَاجًا))^(١٠)، يقول

(١) سورة الحجر / الآية: ٩ .

(٢) سورة إبراهيم / الآية: ٧ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ٩/٢١٠ - ٢١١ .

(٤) نهج البلاغة ، ص ٢٣٢ .

(٥) سورة النبأ / الآية: ٦ .

(٦) سورة نوح / الآية: ١٩ - ٢٠ .

(٧) سورة الذاريات / الآية: ٤٨ .

(٨) سورة الغاشية / الآية: ٢٠ .

(٩) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ١/٢٦٧ - ٢٦٨ .

(١٠) بحار الأنوار ، ٩٤/٢٤٥ - ٢٤٦ .

ملا هادي السبزواري (ت ١٢٨٩هـ): ((وفيه تلميح إلى الآية الشريفة: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ ^(١))) ^(٢)، فالداعي بعد أن نوه عن قدرة الله في فقرة سابقة، وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، عدّد هنا بعض مظاهرها ، ولمّح إلى الآية الكريمة؛ لتتجلى عظمة هذه القدرة في أنّ هذه الاشياء صدرت منه تعالى من غير أن يتطلب ذلك جهداً أو مقدمات تستوجب العناء والمشقة ، مثلما جرت عليه العادة عند الانسان إذا قام بعمل كبير ^(٣) . وفي دعائه: ((إِلَهِي إِنْ كَانَتْ الْخَطَايَا قَدْ أَسْقَطْنِي لَدَيْكَ ، فَاصْفَحْ عَنِّي بِحُسْنِ تَوَكُّلي عَلَيْكَ)) ^(٤)، يجعل الداعي شفيعه عند الله من خطايا حسن توكله عليه ، والعلاقة بين الصّحح عن الخطايا وحسن التوكّل لا تتضح إلا بمعرفة حقيقة مقام المتوكّلين بالرجوع إلى القرآن الكريم ، فبدون ذلك لا تبدو العلاقة واضحة بينهما ، وتغدو هذه الأجزاء من النصّ كأنّها مفككة ، وأمّا إذا رجعنا إلى القرآن الكريم وعرفنا مقام المتوكّلين منه ، فعند ذلك تبدو هذه العلاقة واضحة ؛ لأنّ مقام المتوكّلين مقام عظيم ((موسوم بمحبّة الله سبحانه صاحبه ، ومضمون بكفاية الله تعالى ملابسته ، فمن الله تعالى حسبه وكافيه ، ومحبّه ومراعيه ، فقد فاز الفوز العظيم ؛ فإنّ المحبوب لا يعذب ، ولا يبعد ولا يحجب ، وقال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ ^(٥)، ... وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(٦)، أي: عزيز لا يذلّ من استجار به، ولا يضيع من لاذّ بجناحه والتجأ إلى ذمّاره وحماه ، وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكّل على تدبيره)) ^(٧)، فإذا كانت الخطايا قد أسقطته وأبعدته ، فإنّ حسن التوكّل قد قرّبه وأدناه .

(١) سورة ق / الآية: ٣٨

(٢) شرح دعاء الصباح ، ص ٢١٢ .

(٣) ينظر: اضواء على دعاء الصباح ، ص ٣٣٦ .

(٤) الإقبال بالأعمال الحسنة ، ٢٩٩/٣ .

(٥) سورة الزمر / الآية: ٣٦ .

(٦) سورة الانفال / الآية: ٤٩ .

(٧) احياء علوم الدين ، ١٩٥/٨ .

الفصل الثاني

الحَبِّكَ النُّصِّي فِي دُعَاءِ كُمَيْلٍ

الفصل الثاني:

الحَبْكُ النَّصِّيُّ فِي دُعَاءِ كَمِيلٍ

دعاء كميل من الأدعية التي تتحو منحى قصدياً هادفاً في تركيز جملة من المعاني ، والسير بها سيراً منطقياً^(١)، وهو ينتقل من محور إلى آخر على طريقة تدرجية مقصودة ، تبرز فيها دقة الأسلوب وفنية الانتقال^(٢). فهو سلسلة من المقاطع النصّية مَبْنِي بعضها على بعض ؛ إذ يؤسس كلّ مقطع للذي يليه ويمهّد له ، وعلى الرغم من أنّ لكلّ مقطع بنيته الدلالية التي تكوّن موضوعه في مستوى معين وتميّزه عن المقاطع الأخر، إلا أنّه - في الوقت نفسه - يرتبط معها في تأسيس بنية النصّ الكبرى التي تستقر في أعلى مستوى . ويمثّل الانتقال التدرجي من مستوى إلى آخر منازل سير الدّاعي في الدعاء، أو (خطة النصّ)، التي يمكن تقسيمها على ثلاث مراحل مرتبة النتائج ، في تسلسل منطقي باتجاه موضوع النصّ ، وكل مرحلة إلى مقاطع تمثّل مستوى الأبنية الصغرى ، تنتظم أفكارها في نسق هندسي وترابط موضوعي ؛ فتكوّن المستوى الدلالي الذي يستقر عند كلّ مرحلة ، وجعلنا لكل مقطع عنواناً يرمز إلى بنية المقطع الدلالية ، وبحسب التسلسل الآتي:

(١) ينظر: أبعاد معرفية جديدة في دعاء كميل ، ص ١٤٦ .

(٢) ينظر: السابق نفسه ، ص ١٧٧ .

المرحلة الأولى: التمهيد:

المقطع الأول: الولوج من عتبة مراتب الأسماء:

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، وَبِقُوَّتِكَ الَّتِي فَهَرَتْ بِهَا كُلُّ شَيْءٍ ، وَخَضَعَ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ ، وَذَلَّ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ ، وَبِجَبْرُوتِكَ الَّتِي غَلَبَتْ بِهَا كُلُّ شَيْءٍ ، وَبِعِزَّتِكَ الَّتِي لَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ ، وَبِعِظَمَتِكَ الَّتِي مَلَأَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، وَبِسُلْطَانِكَ الَّذِي عَلَا كُلُّ شَيْءٍ ، وَبِوَجْهِكَ الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبِأَسْمَانِكَ الَّتِي غَلَبَتْ أَرْكَانَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبِعِلْمِكَ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَضَاءَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ ، يَا نُورُ يَا قُدُّوسُ ، يَا أَوَّلَ الْأَوَّلِينَ وَيَا آخِرَ الْآخِرِينَ))^(١) .

يبدأ الدّعاء مثلما يقتضي أدبه بتقديم الثناء على الله تعالى بين يدي المسألة ، فإنّما ((هي المدحة ، ثم الثناء ، ثم الإقرار بالذنب ، ثم المسألة))^(٢) ، والثناء المطلوب هو نحو معرفة لدى الداعي يكون بها مؤهلاً للدخول إلى حرم الله تعالى ، وتكون سبباً في استجابة الدّعاء ، وحتى تحصل المناسبة بين افتتاح الدّعاء وما يقصد به ، كان من حسن الابتداء _ بعد النداء باسمه الجامع _ الثناء عليه برحمته التي وسعت كلّ شيء في تناصّ قرآني مع قوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾^(٣) ، وكان لو استفتح الدّعاء بذكر غير الرحمة كذكر القوة الإلهية ، فإنّ الهزة الوجدانية التي يحدثها تصور القوة والجبروت سيحوّل المسار النفسي لجو الثناء بكامله بما يفرع العبد ويبعده عن الإقبال على الدّعاء ، ((ذلك أنّ القوة قد (تستخدم) في مجال النّكال والانتقام ، وتكون عندها تعبيراً عن غضب الله تعالى وسخطه ، كما قد تكون تعبيراً عن رضا الله تعالى ؛ ولذا ولج عليه السلام إلى القوة من باب الرحمة ، لكي يكون توسله بها رفعاً للنقمة ، وتسبيهاً لما يرضي الله تعالى))^(٤) . هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ للرحمة عمومية وحاكمية على سائر الصفات والأسماء الإلهية ، ورجوع الصفات الأخرى لها بنحو تكون

(١) مصباح المتهجد ، ص ٥٨٤ .

(٢) وسائل الشيعة ، ٨١/٧ .

(٣) سورة الأعراف / الآية: ١٥٦ .

(٤) في رحاب دعاء كميل ، ص ٣٦-٣٧ .

هي الأم لها ، ويكون السياق اللاحق واقع تحت تأثيرها ، فالقوة التي تتلوها _ وما ينتج عنها على الترتيب من خضوع وذلّ كلّ شيء _ هي القوة الرحيمية ، والجبروت الذي يهز إيقاعه اللغوي جوانب النفس هو الجبروت الذي يستبطن الرحمة ، والسلطان الذي يملأ على النفس آفاقها هو سلطان الهيمنة الرحيمة المحبة للخير ... إلى غير ذلك^(١)، فكلّ اسم ذُكر أولاً هو عام بالنسبة للذي ذُكر بعده ، وهو حاكم عليه ، فاللاحق واقع تحت تأثير جميع ما سبقه من الأسماء ، حتى تنتهي إلى الرحمة فتكون الدائرة التي تضمها جميعاً ، وهو بدوره واقع تحت عنوان الاسم الجامع (الله) . إذ إنّ ((ما بين نفس الأسماء سعة وضيقاً ، وعموماً وخصوصاً على الترتيب الذي بين آثارها الموجودة في عالمنا فمنها خاصة ، ومنها عامة ، وخصوصها وعمومها بخصوص حقائقها الكاشفة عنها آثارها وعمومها ، وتكشف عن كيفية النسب التي بين حقائقها النسب التي بين مفاهيمها ، فالعلم اسم خاص بالنسبة إلى الحي وعام بالنسبة إلى السميع البصير الشهيد اللطيف الخبير ، والرازق خاص بالنسبة إلى الرحمن ، وعام بالنسبة إلى الشافي الناصر الهادي ، وعلى هذا القياس . فلأسماء الحسنى عرض عريض تنتهي من تحت إلى اسم أو أسماء خاصة لا يدخل فيها اسم آخر ، ثم تأخذ في السعة والعموم ، ففوق كلّ اسم ما هو أوسع منه وأعم ، حتى تنتهي إلى اسم الله الأكبر الذي يسع وحده جميع حقائق الأسماء وتدخل تحته شتات الحقائق برمتها))^(٢). وهكذا يبدأ الولوج في الدّعاء من باب الرحمة ليكون الشروع منه ، ثمّ يترقى الداعي صعوداً بوصف الدّعاء قرآناً صاعداً في مقابل القرآن النازل كما يقول أحد العارفين^(٣)، وهو خط سير الدّعاء ، حتى إذا وصل إلى اسم النور وتجلّى وجه الله بإضاءة كل شيء له ، يكون النداء بما يناسب المقام: (يا نور يا قدوس). وكان الرابط الدّلالي بين تتابع الجمل المكونة لهذا المقطع يتمّ بوساطة علاقة العموم والخصوص ، وما ينتج عنها من حاكمية العام على الخاص ، وهي من ضمن العلاقات الدّلالية

(١) ينظر: أبعاد معرفية جديدة في دعاء كميل ، ص ٢٥٧-٢٥٨ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن ، ٢٩٢/٨ .

(٣) ينظر: العارف الكامل ، ص ١٣٢ .

التي اهتمّ بها الباحثون في علم اللغة النصّي ، لما تقوم به الأسماء العامة والخاصة في خلق التماسك بين أجزاء النصّ^(١) .

وبعد أن افتتح الدّعاء بسؤال الله باسمه مأخوذاً بوصف الرحمة ، وهي أول في الابتداء ، ومنه: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، وختم بالاسم مأخوذاً بوصف النور، وهي آخر في الانتهاء ، ومنه: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾^(٢) ، قال: (يَا أَوَّلَ الْأَوَّلِينَ وَيَا آخِرَ الْآخِرِينَ) حتى يرتبط أوله بآخره وآخره بأوله^(*)، في علاقة تقابلية اختزلت الوجود في الله تعالى وحده . وهو بيان إجمالي لسير الدّعاء التكاملي .

المقطع الثاني: رفع المانع:

((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَهْتِكُ الْعِصَمَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ النَّقَمَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النَّعَمَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَحْبِسُ الدُّعَاءَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ الْبَلَاءَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ ، وَكُلَّ خَطِيئَةٍ أَخْطَأْتُهَا))^(٣) .

كان من غايات المقطع السابق إعداد الأرضية الممهّدة للانطلاق إلى هذه المرحلة ، فبعد أن أقسم الدّاعي على الله بصفاته وأسمائه ، بدأ ببيان المقسم له ، وهو الشيء الذي كان التوسل والقسم

(١) ينظر: لسانيات النصّ النظرية والتطبيق ، ص ١٤٥ .

(٢) سورة الزمر / الآية: ٦٩ .

(*) الأولية والآخرة بالنسبة لله تعالى ليست زمانيتين ، فهو أول الأولين بمعنى لا شيء قبله ، وآخر الآخرين بمعنى لا شيء بعده ، وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الأول والآخر فقال: ((الأول لا عن أول قبله ، ولا عن بدء سبقه ، والآخر لا عن نهاية كما يفعل من صفة المخلوقين ، ولكن قديم أول ، آخر ، لم يزل ولا يزول ، بلا بدء ولا نهاية ، لا يقع عليه الحدث ولا يحول من حال إلى حال ، خالق كل شيء)) (أصول الكافي ، ١/ ١٦٨) ، وعليه فإنّه جلت قدرته ليس له حدّ ، لتنتزه عن الأجزاء والنهايات ، فلا يختص وجوده بوقت دون وقت ، وبأجل دون أجل ، بل هو خالق الوقت والأجل ، لا ابتداء لوجوده ، ولا انتهاء لبقائه . (ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١/ ٢٥٢-٢٥٣) ، وفي بيان ذلك يقول الإمام علي عليه السلام: ((الذي ليست له في أوليته نهاية ، ولا في آخريته حدّ ولا غاية)) . (التوحيد ، ص ٣٣) .

(٣) مصباح المتهجد ، ص ٥٨٤ .

لأجله ؛ لذلك يبدو واضحاً الانسجام والارتباط بين فقرات الدعاء السابقة ، وما بدأ به الدعاء في هذا المقطع^(١)، وهو طلبه غفران الذنوب التي تهتك العصم ((تحذيراً من أن القدرة الإلهية المحيطة بكل شيء إحاطة رحمة وتكفل يمكن أن تتخلى عنه ، وتسلمه إلى نفسه ، وتكسر عنه كل حصانة إيمانية من شأنها أن تحفظه عن أن يتردى في هوة النزعات النفسية والشيطانية التي لا قرار لها))^(٢)، وإذا انفصلت عرى الارتباط بالله بسبب هذه الذنوب ، فقد ترك الإنسان ونفسه الأمانة بالسوء ، فتكون مقدمة وسبباً لمقارفة غيرها من الذنوب ، التي تترتب نتائج بعضها على بعض في (علاقة سببية)، بين الذنب وأثره الوضعي من جهة ، وبين ما يترتب عليها من تمهيد لذنوب آخر من جهة أخرى ، فإذا انتهكت العصم فقد نزلت النعم ، وتغيرت النعم ، وحبس الدعاء ، ونزل البلاء. ويتدرج الداعي في طلباته في علاقة يمكن وصفها (من علاقة الخاص بالعام)^(٣)، فبعد أن خصص الطلب بذكر بعض الذنوب لخصوصيتها والتنبية عليها، عمم الطلب بغفران كل الذنوب والخطايا طمعاً بكرم الله ، وهو القائل: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾^(٤)، ويُلحظ في الآية الكريمة تعلق الغفور بالرحيم ، فإنه الباب الذي منه يؤتى ، وهو من (عادات القرآن) في أغلب فواصله ، ومنه يعرف سرّ ابتداء الدعاء بسؤال الله برحمته قبل طلب المغفرة ، وتبعاً لهذا التدرج النصّي في مسار الدعاء تأتي هذه الخطوة لرفع المانع ؛ ذلك أنّ ((الذنوب والمعاصي تحجب الإنسان عن الله ، وتحبس الدعاء ، ولكي يقف الإنسان بين يدي ربه موقف الدعاء لابدّ أن يجتاز هذه العقبة أولاً))^(٥)، حتى يكون الطريق سالكاً أمامه للمرحلة التالية ، إذ لا بدّ من رفع الموانع قبل بدأ الرحلة .

(١) ينظر: أضواء على دعاء كميل ، ص ١٢٣ .

(٢) أبعاد معرفية جديدة في دعاء كميل ، ص ٢٧٨ .

(٣) من علاقات الانسجام النصّي التي أشار إليها فان دايك ، فيما يتعلق بترتيب الوقائع وترتيب المتتالية. ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ٣٩ .

(٤) سورة الزمر / الآية: ٥٣ .

(٥) الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام ، ص ١٣٥ .

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِذِكْرِكَ ، وَأَسْتَشْفَعُ بِكَ إِلَى نَفْسِكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِجُودِكَ أَنْ تُدْنِيَنِي مِنْ قُرْبِكَ ، وَأَنْ تُوزِعَنِي شُكْرَكَ ، وَأَنْ تُلْهِمَنِي ذِكْرَكَ))^(١) .

يتصل هذا المقطع مع ما سبقه عبر التسلسل والتدرج المنطقي بين قضايا النص ، ومعناه أن يتوافر النص على نوع من التدرج في العرض أو السرد أو التحليل ، وهو ما يجعل القارئ يشعر بأن للنص مساراً معيناً^(٢)، وهو من مظاهر انسجام الخطاب عند "قان دايك"، ويسميه الترتيب العادي للوقائع في الخطاب ، لأن ورود الوقائع في متتالية معينة يخضع لترتيب عادي تحكمه مبادئ مختلفة على رأسها معرفتنا للعالم^(٣)، وهي هنا المعرفة بسياق النص الثقافي . فبعد أن رُفِعَت الموانع أصبح الطريق ممكناً للعبد في التقدم بالقدم الأولى ؛ إذ لم يكن القصد من طلب المغفرة للتجاوز عن الذنب فقط ، وإنما للتقرب إليه ، ووسيلته إلى ذلك: ذكر الله ، وشفاعته إلى نفسه ، وأن يتفضل عليه بجوده ، فيهب له مقام القرب ، ومقام الشكر، ومقام الذكر، وبين هذه المقامات (ترابط موضوعي) في هذه المرحلة من الإعداد، إذ إنّ آلة القرب هي القلب ، وزادها في ذلك أو وقودها هو الشكر والذكر، فبالشكر مزيد من القدرة والطاقة التي تمدّه وتضخّ له وقود السير، قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٤)، ((والجملة معطوفة على ما قبلها . يريد أنّه بعد ما أنعمتني وأعطيتني بالنعمة التي هي قربك ، أسألك أن تلهمني شكرك؛ لأنّه لكلّ نعمة شكر خاص يختصّ بها، وشكر تلك النعمة العظمى موقوف على إلهامه تعالى))^(٥). وفي الذكر ((جلاء للقلوب))^(٦)، فالقلوب الصدئة التي ران عليها عاطلة ومتوقفة ، ولا تستطيع السير في مثل هذا الطريق. والدعاء هنا ((يضع أقدام العبد على أول مراحل المعالجة الفعلية بعد أن استشعر

(١) مصباح المتجهد ، ص ٥٨٤ .

(٢) ينظر: الاتساق والانسجام في رواية سمرقند لأمين معلوف (رسالة ماجستير) ، ص ٥٧ .

(٣) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص ٣٨ .

(٤) سورة إبراهيم / الآية: ٧ .

(٥) شرح دعاء كميل ، ص ١٢٣ .

(٦) نهج البلاغة ، ص ٣٤٢ .

أجواء القطيعة وأحس بفاصل الهجران والبعد ، ولذا فإنه هنا يعيد تصحيح وضعه النفسي ، ويهيئه من أجل أن يبدأ مشواره من طريق الأساليب التفاعلية الإيجابية ، من أجل تبديد آثار القنوط واليأس ، وزرع الأمل ، ويبعثه على التقدم صوب الله تعالى ، وشحنه بطاقة البدء في سؤاله ، وكشف حاله والنظر في أمره ((^(١)) ، وهذا لا يأتي إلا بعد أن يأذن الله له أن يدنو منه ، ويوزعه شكره ، ويلهمه ذكره^(٢) .

المقطع الرابع: الفقر:

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ سُؤَالَ خَاضِعٍ مُتَذَلِّلٍ خَاشِعٍ ، أَنْ تُسَامِحَنِي وَتَرْحَمَنِي وَتَجْعَلَنِي بِقِسْمِكَ رَاضِيًا قَانِعًا وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ مُتَوَاضِعًا ، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ سُؤَالَ مَنْ اشْتَدَّتْ فَاقَتُهُ ، وَأُنْزِلَ بِكَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ حَاجَتُهُ ، وَعَظُمَ فِيمَا عِنْدَكَ رَغْبَتُهُ))^(٣) .

بعد أن سأل بصفات المدعو وتوسل بها ، كرر السؤال هنا ولكن بصفات الداعي ، وقد مر سابقاً في موضوع البنية العليا للدعاء ما ينبغي للداعي أن يظهره عند دعائه من علامات العبودية والتذلل لله ، فهي من أسباب استجابة الدعاء ، قال تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾^(٤)، وقد يكون (مناط الحكم) في استجابة دعاء زكريا عليه السلام أنه كان من الخاشعين ، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾^(٥)؛ ولذلك يكون من ضمن استراتيجيات الخطاب التي يتحرك فيها الدعاء أن يظهر الداعي هنا صفات الخضوع ، والتذلل ، والخشوع ، والقناعة - لأن في عدمها نوعاً من التكبر والاعتراض على المقسم - والتواضع ، وإظهار الفاقة والحاجة ، فتكون علاقة هذا المقطع بغيره من علاقة السبب بالنتيجة ؛ إذ إنَّ الفقر والحاجة من أسباب استئزال رحمة الله ، لما بينهما من علاقة

(١) أبعاد معرفية جديدة في دعاء كميل ، ص ٣٠٨-٣٠٩ .

(٢) ينظر: الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام ، ص ١٣٦ .

(٣) مصباح المتهجد ، ص ٥٨٤ .

(٤) سورة الأعراف / الآية: ٥٥ .

(٥) سورة الأنبياء / الآية: ٩٠ .

تكوينية يطلب فيها كلّ منهما الآخر ويسعى إليه ، فالفقر يستنزل رحمة الله ورحمة الله تطلب مواضع الحاجة والفقر^(١) ، وقد حصر عظيم رغبته فيما عند الله دون غيره ليتبين اتجاه الداعي في سيره . وبهذا الأسلوب فهو يستدرّ عطف المدعو بإظهار ضعفه ومسكنته ليجود عليه بالدنو من قربه . وهو يدخل ضمن القصد العام للدعاء الذي يربط مسار الأحداث الجزئية المختلفة فيما بينها بالنتيجة النهائية التي يجب أن تتحقق ، وهذا القصد العام لأي نصّ هو البنية الكبرى^(٢) .

المقطع الخامس: السحق^(*):

((اللَّهُمَّ عَظُمَ سُلْطَانُكَ وَعَلَا مَكَانُكَ ، وَخَفِيَ مَكْرُكَ وَظَهَرَ أَمْرُكَ ، وَغَلَبَ قَهْرُكَ وَجَرَتْ قُدْرَتُكَ ، وَلَا يُمَكِّنُ الْفِرَارُ مِنْ حُكُومَتِكَ))^(٣) .

يرتبط هذا المقطع بما سبقه بعلاقة التقابل ، وهي علاقة تربط بين طرفين أو موقفين أو حدثين متقابلين^(٤) ، وتعدّ سمة من سمات الحبكة الدلالي ؛ لأنها من أشدّ أبواب التماسك الدلالي اتصالاً بباب المناسبة ؛ فالتقابل في اللغة المواجهة^(٥) ، ومواجهة المعنى بضده تمنح النصّ امتداداً دلالياً يصيب المعنى^(٦) ، وكان حازم القرطاجني قد سبق إلى ذلك عندما ألمح إلى أثر التقابل في تماسك النصّ بقوله: ((وإنما تكون المقابلة في الكلام بالتوفيق بين المعاني التي يطابق بعضها بعضاً ، والجمع بين المعنيين اللذين تكون بينهما نسبة تقتضي لأحدهما أن يذكر مع الآخر من جهة ما بينهما من تباين أو تقارب ، على صفة من الوضع تلائم بها عبارة أحد المعنيين عبارة الآخر كما لاءم كلا المعنيين في ذلك

(١) ينظر: الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام ، ص ٤٠ .

(٢) ينظر: علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات ، ص ١٢٥ .

(*) يعرف السحق بأنه: ((ذهاب تركيب العبد تحت القهر عند عظمة سلطان الحقيقة)) ، معجم اصطلاحات الصوفية ، ص ١٢٠ .

(٣) مصباح المتهجد ، ص ٥٨٤ .

(٤) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية ، ص ١٤٥ .

(٥) ينظر: لسان العرب ، ٢٠/١١ ، مادة (قبل) .

(٦) ينظر: علم لغة النصّ والأسلوب ، ص ٨٦ .

صاحبه))^(١). إنَّ استشعار عظمة السلطان يستدعي حضور صفات الضعف لدى العبد ؛ فيتحقق للنصِّ استمراريته الدلالية بالربط بين الحالين في هذه المقابلة ، وهي محاولة من العبد للاستعطاف واستئزال الرحمة ، فبعد أن أظهر الدّاعي ضعفه ومسكنته ، جعلها في علاقة تقابل مع صفات المدعو ، فأثبت له صفات العظمة والقدرة المطلقة في هذا السياق (سياق المقابلة) . فمن كان سلطانه عظيماً ، ومكانه عالياً ، ومكره خفياً ، وأمره ظاهراً ، وقهره غالباً ، وقدرته جارية ، فالنتيجة تكون: أن لا مفرّ من حكومته، وأنَّ جميع الأشياء خاضعة لربوبيته ومقهورة تحت أراذته ، فالإنسان مهما علا وتكبر ، وأينما ذهب فهو محكوم بهذه الحكومة ، والدّاعي هنا يقرّ ويعترف بهذا الأمر، وبهذا فهو يمهد للمقطع اللاحق من الدّعاء.

المقطع السادس: طلب السّتر:

((اللَّهُمَّ لَا أَجِدُ لِذُنُوبِي غَافِرًا ، وَلَا لِقَبَائِحِي سَاتِرًا ، وَلَا لِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِي الْقَبِيحِ بِالْحَسَنِ مُبَدَّلًا غَيْرَكَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَتَجَرَّأْتُ بِجَهْلِي ، وَسَكَنْتُ إِلَى قَدِيمِ ذِكْرِكَ لِي وَمَنْكَ عَلَيَّ))^(٢) .

مع استشعار عظمة السلطان ونفوذ أمره في المقطع السابق ، لم يبق للدّاعي ملجأ منه إلا إليه، ليغفر ذنبه ، ويستر قبحه ، ويبدل عمله ، وبما أنَّ تحقيق ذلك منحصر فيك يا إلهي ، بعد أن أيقنت أن لا أحد في الوجود يفعلك غيرك ، وقد قلت: ﴿ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٣)، فقد حق القول: لا إله إلاَّ أَنْتَ ؛ لأنَّ في هذا المقام يتجلى الحق سبحانه. ثمَّ بعد أن لجأ الدّاعي إلى الله نادى: سبحانك ، تنزيهاً وتعظيماً ؛ ليخلي ساحة الله من الظلم وينسبه إلى نفسه ، فقد تنوهم النفس أنَّ ما حلَّ بها من الفساد بسببه ، ويؤكد هذا المعنى بحمده والثناء عليه ، على صفاته ، وعلى نعمائه ، ويستعين الدّاعي بعلاقة

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص ٥٢ .

(٢) مصباح المتهجد ، ص ٥٨٤ .

(٣) سورة آل عمران / الآية: ١٣٥ .

السبب والنتيجة في التعبير عن الأسباب التي دفعته للتجروء على ارتكاب المعاصي ، وأولها جهله ، وهو أسلوب يعتذر به الداعي إلى الله لتسوية عمله حتى يفتح له باب التوبة ، وقد قال: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾^(١)، وليربط النص بسياقه القرآني ، فقد ورد التسبيح مقترناً بالحمد في سياق الاستغفار في آيات من القرآن الكريم ، كقوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾^(٢)، وقوله: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾^(٣)، وقوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾^(٤). وأما السبب الآخر لهذا التقصير ، فيرجع إلى عادة الله في الإحسان واللفظ وإسباغ النعم ، مما جعله مطمئناً بحلمه وأناته عليه . وبذلك يسهم (الوصل السببي) في تشكّل نسيج النصّ ونموّه ، بما يضمن استمراريته الدلالية

المقطع السابع: الشكر:

((اللَّهُمَّ مَوْلَايَ كَمْ مِنْ قَبِيحٍ سَتَرْتَهُ ، وَكَمْ مِنْ فَادِحٍ مِنَ الْبَلَاءِ أَقَلَّتَهُ ، وَكَمْ مِنْ عِثَارٍ وَقَيْتَهُ ، وَكَمْ مِنْ مَكْرُوهٍ دَفَعْتَهُ ، وَكَمْ مِنْ ثَنَاءٍ جَمِيلٍ لَسْتُ أَهْلًا لَهُ نَشَرْتَهُ))^(٥) .

بعد أن ذكر الداعي من الله وآلاءه عليه فيما سلف من قديم ذكره على وجه الإجمال في ختام المقطع السابق ، وجعلها من أسباب جراته على الله ، يفصل في هذا المقطع تعداد بعض تلك المنن؛ ليذكر بها نفسه ، ويحذر من الاغترار بستر الله عليه ، وفي الوقت نفسه ليرجو ربه في أن يتجاوز عنه الآن كما تجاوز عنه في القديم . ويمكن تمثيل العلاقة بين المقطعين على النحو الآتي:

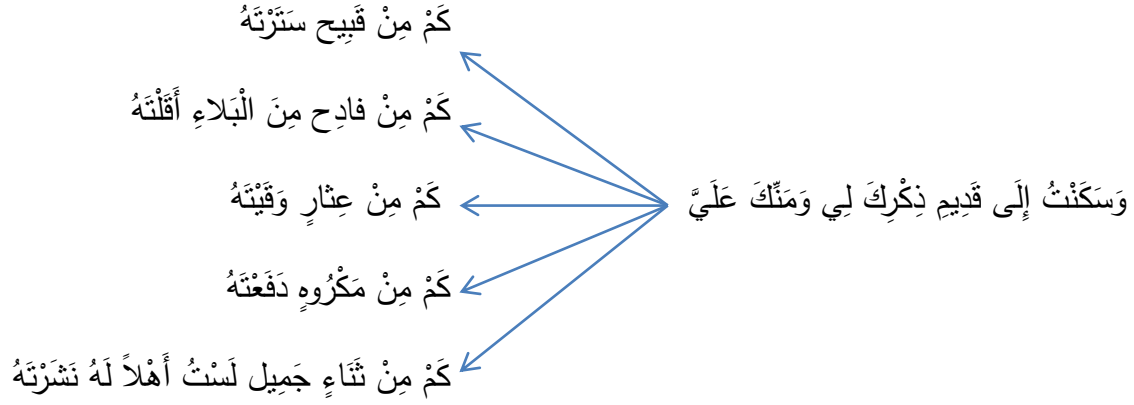
(١) سورة النساء / الآية: ١٧ .

(٢) سورة غافر / الآية: ٥٥ .

(٣) سورة الشورى / الآية: ٥ .

(٤) سورة النصر / الآية: ٣ .

(٥) مصباح المتهدد ، ص ٥٨٤-٥٨٥ .



المقطع الثامن: الاعتذار:

((اللَّهُمَّ عَظُمَ بَلَائِي وَأَفْرَطَ بِي سُوءُ حَالِي ، وَقَصُرَتْ بِي أَعْمَالِي وَقَعَدَتْ بِي أَغْلَالِي،
وَحَبَسَنِي عَنْ نَفْعِي بُعْدُ أَمَلِي ، وَخَدَعَتْنِي الدُّنْيَا بِغُرُورِهَا ، وَنَفَسِي بِجِنَائِيهَا ، وَمِطَالِي))^(١) .

لا يبتعد هذا المقطع عن سياق المقاطع السابقة ، فهو لا يزال يقدم اعتذاره - أو أعذاره -
والأسباب التي أوصلته إلا أن يقول: (عَظُمَ بَلَائِي وَأَفْرَطَ بِي سُوءُ حَالِي)، وهي إشارة إلى ما وصلت
إليه حال الداعي ، فيحاول أن يقدم من الأسباب ما يضيفي قبولاً يشفع له بتقبل هذه الأعذار، وهي
أسباب يمكن استنباطها للنتيجة التي قدّمها قبل ذلك وهي عظم بلائه ، وإن لم تكن بعلامات ظاهرة على
سطح النص ، فتكون العلاقة بين قضايا النص في هذه الفقرة عكسياً بتقديم النتيجة على السبب، وعلى
النحو الآتي:

(١) مصباح المتهجد ، ص ٥٨٥ .

- أَفْرَطَ بِي سُوءُ حَالِي →

- قَصُرَتْ بِي أَعْمَالِي →

- قَعَدْتُ بِي أَغْلَالِي →

- عَظُمَ بِلَاثِي

- حَبَسَنِي عَنْ نَفْعِي بُعْدُ أَمَلِي →

- خَدَعَنِي الدُّنْيَا بِغُرُورِهَا، وَنَفْسِي بِجِنَايَتِهَا، (وَمِطَالِي) (*)

فضلاً على وجود هذه العلاقة بين ركني كل جملة من جمل الأسباب ، فقد تجاوز (الدّاعي) الحدّ في المخالفة ، ومعصية الله ، وكان ذلك بسبب حاله السيء ، وأخلاقه الرذيلة ، ولم يصل إلى الفوز بالجنة والنجاة من العقاب بسبب أنّ أعماله لم تعنه على ذلك ، ولم يأتِ بصالح الأعمال بسبب أنّ ذنوبه قد قيّدته^(١)، وأمتنع عن الاشتغال بما ينفعه ، ولم يرجع إلى الله بالتوبة بسبب طول أمله ، وانخدع بسبب أوهام الدنيا ، ونفسه التي خالفت الحق ، ونقضت العهد ، واتبعت الشهوات .

المقطع التاسع: الالتجاء:

((يَا سَيِّدِي فَأَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ أَنْ لَا يَحْجُبَ عَنْكَ دُعَائِي سُوءُ عَمَلِي وَفِعَالِي ، وَلَا تَفْضَحْنِي

بِخَفِي مَا أَطْلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ سِرِّي ، وَلَا تُعَاجِلْنِي بِالْعُقُوبَةِ عَلَى مَا عَمِلْتُهُ فِي خَلَوَاتِي مِنْ سُوءٍ فِعْلِي

(*) ((من المطل ، وهو اللَّيِّ والتسويق والتعلل في أداء الحقّ ، وتأخير من وقت إلى وقت ، ومقصود الدّاعي: أنّ نفسي قد خدعتني بأن حملتني على مخالفتي لأمر الله ﷻ ، والتسويق في أداء ما أوجبه عليّ من الطاعات، وترك المعاصي)) أسرار العارفين في شرح كلام مولانا أمير المؤمنين ، ص ٢٢٧ .

(١) ((جاء رجل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فقال: يا أمير المؤمنين ، إني قد حرمت الصلاة بالليل؟ فقال أمير المؤمنين ﷺ: أنت رجل قد قيدتك ذنوبك)) فروع الكافي ، ٤٤٧/١ .

وَإِسَاءَتِي ، وَدَوَامَ تَقْرِيطِي وَجَهَالَتِي ، وَكَثْرَةَ شَهَوَاتِي وَغَفْلَتِي، وَكُنِ اللَّهُمَّ بِعِزَّتِكَ لِي فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ رَوْفًا ، وَعَلَيَّ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ عَطُوفًا))^(١) .

لَمَّا وَصَفَ الدَّاعِي طَائِفَةً مِنْ مَنْنِ اللَّهِ وَآلَائِهِ عَلَيْهِ وَأَبْرَزَ نَدْمَهُ مِنْ قِبَائِحِ الْأَعْمَالِ وَالْآثَامِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا ، وَالتَّي أَوْصَلَتْهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَلَاءِ وَسُوءِ الْحَالِ ، صَارَ الْمَقَامَ مَقَامَ الْإِلْتِجَاءِ وَالِاسْتِعَاذَةِ إِلَيْهِ تَعَالَى؛ وَلِذَا قَالَ: " يَا سَيِّدِي "^(٢). مَعَ اسْتِمْرَارِهِ فِي تَتَبُعِ الْمَوَانِعِ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي تَحْجِبُهُ عَنِ اللَّهِ ، وَتَقِفُ عَائِقًا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ ، فَيَرْكُزُ هُنَا عَلَى الْمُنْطَقَةِ الْعَمِيَاءِ أَوْ الْمَخْفِيَةِ مِنْ سُلُوكِهِ ، بَعْدَمَا بَسَطَ الْقَوْلَ فِي الذُّنُوبِ الظَّاهِرَةِ فِيمَا سَبَقَ ، لِيَرْبِطَ بَيْنَهُمَا بِعِلَاقَةِ الْإِسْتِقْصَاءِ أَوْ الْإِضَافَةِ ، وَهِيَ إِحْدَى عِلَاقَاتِ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ الْجُمْلِ دَاخِلِ النَّصِّ ، وَيَقْصِدُ بِهَا تَصْعِيدَ الْمَعْنَى وَوَصُولَهُ إِلَى غَايَتِهِ^(٣)، وَتَتَمَيَّزُ هَذِهِ الْعِلَاقَةُ فَضْلًا عَنْ كَوْنِهَا تَعْمَلُ عَلَى الْمُسْتَوَى الْأَفْقِيِّ فِي رِبْطِ تَتَابُعِ الْجُمْلِ الْمُتَجَاوِرَةِ ، فَإِنَّهَا كَذَلِكَ تَعْمَلُ عَلَى الْمُسْتَوَى الرَّأْسِيِّ فَتَرْبِطُ بَيْنَ جُمْلِ النَّصِّ غَيْرِ الْمُتَجَاوِرَةِ^(٤). فَنَلَاظُ أَنَّ هَذَا الْمَقْطَعَ يَرْتَبِطُ بِمَقَاطِعِ سَابِقَةٍ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ النَّصِّ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي ...)) ، وَوَصُولًا لَهُ: ((فَأَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ أَنْ لَا يَحْجُبَ عَنْكَ دُعَائِي سُوءَ عَمَلِي وَفِعَالِي ...))، مَعَ مَنَاسِبَةِ خَتَامِ الْمَقْطَعِ لِمَا طَلَبَ فِي دُعَائِهِ ((وَكُنِ اللَّهُمَّ بِعِزَّتِكَ لِي فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ رَوْفًا ...))، يَعْنِي: مَعَ مَا أَخْفَيْتَهُ مِنْ عَمَلٍ فِي السِّرِّ ، أَوْ مَا أَظْهَرْتَهُ فِي الْعَلَنِ .

المقطع العاشر: ((مَنْ لِي غَيْرُكَ)):

((إِلَهِي وَرَبِّي مَنْ لِي غَيْرُكَ أَسْأَلُهُ كَشْفَ ضُرِّي وَالنَّظَرَ فِي أَمْرِي ، إِلَهِي وَمَوْلَايَ أَجْرَيْتَ عَلَيَّ حُكْمًا اتَّبَعْتُ فِيهِ هَوَى نَفْسِي وَلَمْ أَحْتَرِسْ مِنْ تَزْيِينِ عَدُوِّي ، فَغَرَّنِي بِمَا أَهْوَى وَأَسْعَدَهُ عَلَيَّ ذَلِكَ

(١) مصباح المتجهد ، ص ٥٨٥ .

(٢) ينظر: شرح دعاء كميل ، ص ١٨٣ .

(٣) ينظر: تحليل الخطاب السياسي ، ص ٢٦٣ .

(٤) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص ٢٠١ .

الْقَضَاءُ فَتَجَاوَزْتُ بِمَا جَرَى عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ مِنْ نَقْضِ حُدُودِكَ ، وَخَالَفْتُ بَعْضَ أَوَامِرِكَ ، فَكَانَ الْحَمْدُ عَلَيَّ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ ، وَلَا حُجَّةَ لِي فِيهَا جَرَى عَلَيَّ فِيهِ قَضَاؤُكَ ، وَالزَّمَنِي حُكْمُكَ وَبَلَاؤُكَ))^(١) .

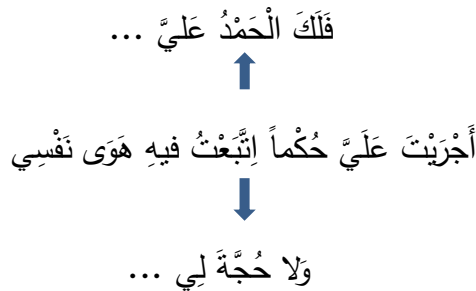
يُعيد الدّاعي في هذا المقطع صوغ محتوى النصّ في بعض فقراته السابقة ، مما يمثل عنده إقراراً أو اعترافاً أو تسويغاً ، وهو أسلوب يلجأ إليه الكاتب في بناء نصّه عندما يريد أن يؤكّد قضية ما ، ويرسخ معناها في ذهن المتلقي . وعلاقة (إعادة الصياغة) هي إحدى العلاقات الدلالية التي تسهم في حبك النصّ ، وهي ذات أهمية على مستوى الجمل بما تتيحه من تكرار المعنى مع إمكانية التنوع على المستويين التركيبي والمعجمي باستعمال تراكييب مختلفة^(٢) ، فأعاد القول ولكن بصياغة تُناسب المقام ، فقلّبه في الإقرار بأن ليس غير الله مجيباً دعوته : (إِلَهِي وَرَبِّي مَنْ لِي غَيْرُكَ أَسْأَلُهُ كَشَفَ ضُرِّي وَالنَّظَرَ فِي أَمْرِي) إعادة صياغة بتناص داخلي مع قوله : (اللَّهُمَّ لَا أَجِدُ لِذُنُوبِي غَافِراً ، وَلَا لِقَبَائِحِي سَاتِراً ، وَلَا لَشَيْءٍ مِنْ عَمَلِي الْقَبِيحِ بِالْحَسَنِ مُبَدِّلاً غَيْرَكَ) ، وقوله في الاعتراف : (إِلَهِي وَمَوْلَايَ أَجْرَيْتَ عَلَيَّ حُكْماً اتَّبَعْتُ فِيهِ هَوَى نَفْسِي وَلَمْ أَحْتَرِسْ مِنْ تَزْيِينِ عَدُوِّي) مع قوله : (سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَتَجَرَّأْتُ بِجَهْلِي) ، وقوله في التبرير لأفعاله : (فَعَزَّنِي بِمَا أَهْوَى وَأَسْعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ الْقَضَاءُ فَتَجَاوَزْتُ بِمَا جَرَى عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ مِنْ نَقْضِ حُدُودِكَ)) مع قوله : (وَحَبَسَنِي عَنْ نَفْعِي بَعْدُ أَمَلِي ، وَخَدَعْتَنِي الدُّنْيَا بِغُرُورِهَا ، وَنَفْسِي بِجِنَايَتِهَا ، وَمِطَالِي) . ويمثّل هذا المقطع تأسيساً لمرحلة جديدة ، فالدّاعي قد بدأ سفره من قوله : ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِذِكْرِكَ ، وَأَسْتَشْفِعُ بِكَ إِلَى نَفْسِكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِجُودِكَ أَنْ تُدْنِيَنِي مِنْ قُرْبِكَ ...)) ، وهو الآن قد تقدّم في سيره حتى وصل الباب ، بدلالة تصدير الخطاب بقوله : (إِلَهِي وَرَبِّي) بحذف حرف النداء (يا) لما في إثباته من الشعور بالبعد عن المخاطب . فقد يحذف حرف النداء لقرب المنادى من المنادي ، سواء كان القرب حقيقياً مادياً ، أم معنوياً فكأنّ المنادى لقربه لا

(١) مصباح المتجهّد ، ص ٥٨٥ .

(٢) ينظر : علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ٢١١ .

يحتاج إلى واسطة لندائه^(١). وهذا السياق ناظر إلى مقام الدّاعي في سير الدّعاء ، فقد يثبت لأغراض أخرى .

وحتى لا تُثار شبهة الجبر قال: (أَجْرَيْتَ عَلَيَّ حُكْمًا اتَّبَعْتُ فِيهِ) ولم يقل اتبعت به ، فالعبارة الثانية تفيد السببية والتسبب ، أمّا قوله (فيه) فإنّ مؤدى العبارة أنّ الحكم فيه فسحة ونطاق يمكنني من اتباع الصالح أو الفاسد ، ولكّني تحركت ناحية الفساد والمعصية ، ولتأكيد هذا المعنى ختم المقطع بقوله: (فَلَاكَ الْحَمْدُ عَلَيَّ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ ، وَلَا حُجَّةَ لِي فِيمَا جَرَى عَلَيَّ فِيهِ قَضَاؤُكَ ، وَالزَّمَنِي حُكْمُكَ وَبَلَاؤُكَ) قاصداً تنزيه الله تعالى عن الظلم بتسببه في المعصية . ويمكن توضيح هذا بالشكل الآتي:



حيث يشير السهم الصاعد جهة الله تعالى بالتنزيه ، على حين يشير السهم النازل نحو العبد بتحميله المسؤولية^(٢) . فتكون العلاقة النصّية بما سبق علاقة الإيضاح والتبيين ، وهي علاقة دلالية تجمع بين كلامين يكون الثاني موضحاً ومبيناً لما أبهم في الكلام الأول ، عندما يكون فيه نوع خفاء والمقام مقام إزالة له^(٣) . وإلى هنا تنتهي مرحلة من الدّعاء بانتهاء الدّاعي من سفره الأول ، ليبدأ مرحلة جديدة ترتبط بما تأسس في المرحلة الأولى .

(١) ينظر: معاني النحو ، ٢٧٨/٤ .

(٢) ينظر: أبعاد معرفية جديدة في دعاء كميل ، ص ٤٩٥-٥٠١ .

(٣) ينظر: علم لغة النصّ والأسلوب ، ص ٨٤ .

المرحلة الثانية: في حرم الله:

المقطع الحادي عشر: الاعتراف:

((وَقَدْ أَتَيْتُكَ يَا إِلَهِي بَعْدَ تَقْصِيرِي وَإِسْرَافِي عَلَى نَفْسِي مُعْتَذِرًا نَادِمًا مُنْكَسِرًا مُسْتَقِيلًا مُسْتَغْفِرًا مُنِيبًا مُقِرًّا مُذْعِنًا مُعْتَرِفًا ، لَا أَجِدُ مَقْرًا مِمَّا كَانَ مِنِّي وَلَا مَفْزَعًا أَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِي ، غَيْرَ قَبُولِكَ عُذْرِي وَإِدْخَالِكَ إِيَّايَ فِي سَعَةٍ مِنْ رَحْمَتِكَ))^(١) .

يمثل هذا المقطع بداية مرحلة جديدة ، وهي لحظة مثول العبد بين يديّ الله في محضر الدعاء ، فبعد أن ابتدأت هجرته من قوله: (إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِذِكْرِكَ ...) ، ها هو الآن على الباب وقد أظهر ذلك بقوله: (وَقَدْ أَتَيْتُكَ) ، ليعلن على التحقيق وبدون شكّ ((أَنَّهُ قَدْ رَجَعَ إِلَى مَوْلَاهُ مُعْتَرِفًا بِذُنُوبِهِ ، نَادِمًا مِنْهَا ، مُنْكَسِرًا مُسْتَقِيلًا ، عَالِمًا أَنَّهُ لَا مَفْرَ لَهُ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا مَفْزَعَ لَهُ فِي ضَرِّهِ وَبُؤْسِهِ إِلَّا اللَّهُ))^(٢) ، وبعد أن طلب من ربه أن يقبل عذره حتى تنتهي فترة الجفاء ، طلب أيضا أن يدخله في سعة من رحمته ليبدأ مرحلة جديدة من العلاقة مع الله ، ومثلما كانت الرحمة بصفاتها العامة الرحمانية مفتاحاً للدعاء عند انطلاقته ، هو يطلب الآن أن تشملها بصفاتها الخاصة الرحيمية^(*) ، فيكون منظورا في عين الله من خلالها .

(١) مصباح المتجهد ، ص ٥٨٥ .

(٢) الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام ، ص ١٣٧-١٣٨ .

(*) ((الرحمة الرحمانية تعمّ جميع الموجودات وتشمل كل النعم ... وأما الرحمة الرحيمية بمعنى التوفيق في الدنيا والدين فهي مختصة بالمؤمنين ... ومن ثمة قال الصادق عليه السلام: الرحمن اسم خاص لصفة عامة والرحيم اسم عام لصفة خاصة)) تفسير الصافي ، ٨١/١ .

المقطع الثاني عشر: القدم الثانية:

((إِلَهِي فَأَقْبِلْ غُذْرِي وَارْحَمْ شِدَّةَ ضُرِّي ، وَفُكَّنِي مِنْ شَدِّ وَثَاقِي ، يَا رَبِّ ارْحَمْ ضَعْفَ بَدَنِي وَرِقَّةَ جِلْدِي وَدِقَّةَ عَظْمِي ، يَا مَنْ بَدَأَ خَلْقِي وَذِكْرِي وَتَرْبِيَّتِي وَبِرِّي وَتَغْذِيَّتِي ، هَبْنِي لِابْتِدَاءِ كَرَمِكَ وَسَالِفِ بَرِّكَ بِي))^(١) .

من متطلبات الحضور بين يدي الله محو آثار المخالفات التي صدرت من الداعي ومازالت تقيده وتقف مانعاً من توجهه إلى الله والحضور بين يديه ، فيطلب منه سبحانه قبول عذره ، وأن يعتق رقبته من قيود الخطيئات ليبدأ سفره الثاني ، ولتحقيق ذلك يستعين بوسائل منها: الاستعطاف: فهذا المخلوق الضعيف لا يقوى على تحمل العذاب ، فضعف بدنه ورقة جلده ودقة عظمه لا تقوى على عذاب الدنيا فكيف تصبر على عذاب الآخرة^(٢)، فيجعل من ضعفه وسيلة لاسترحام ربه، طالباً من الله أن يهبه إلى ابتداء كرمه . فقد بدأنا بالخلق والذكر والبر والتربية والتغذية قبل أن نسأله تعالى ، ومن دون أن نستحق هذا ، فأولى به تعالى أن يبرنا ويكرمنا ونحن نسأله ونطلب منه ، وإذا كان في عمل العبد وجهده عجز وقصور يحجبانه عن الله ، فإنَّ سابق فضله تعالى ورحمته بعبده يشفع له إلى الله^(٣). وقد قيل: ((أَسْخَاءُ مَا كَانَ ابْتِدَاءً ...))^(٤) .

المقطع الثالث عشر: الحب:

((يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي وَرَبِّي ، أَتْرَاكَ مُعَذِّبِي بِنَارِكَ بَعْدَ تَوْحِيدِكَ ، وَبَعْدَمَا انطَوَى عَلَيْهِ قَلْبِي مِنْ مَعْرِفَتِكَ ، وَلَهَجَ بِهِ لِسَانِي مِنْ ذِكْرِكَ ، وَاعْتَقَدَهُ ضَمِيرِي مِنْ حُبِّكَ ، وَبَعْدَ صِدْقِ اعْتِرَافِي وَدُعَائِي خَاضِعاً لِرُبُوبِيَّتِكَ ، هَيْهَاتَ أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُضَيِّعَ مِنْ رَبِّيَّتِهِ ، أَوْ تُبْعِدَ مِنْ أَدْنِيَّتِهِ ، أَوْ تُشَرِّدَ مِنْ

(١) مصباح المتهجد ، ص ٥٨٥ .

(٢) ينظر: أضواء على دعاء كميل ، ص ٢٥٢ .

(٣) ينظر: الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام ، ص ١٤١-١٤٢ .

(٤) نهج البلاغة ، ص ٤٧٨ .

أَوَيْتَهُ ، أَوْ تُسَلِّمَ إِلَى الْبَلَاءِ مَنْ كَفَيْتَهُ وَرَحِمْتَهُ ، وَلَيْتَ شِعْرِي يَا سَيِّدِي وَالْهِي وَمَوْلَايَ ، أَسَلَّطَ
النَّارَ عَلَى وُجُوهِ خَرَّتْ لِعَظَمَتِكَ سَاجِدَةً ، وَعَلَى أَلْسُنِ نَطَقَتْ بِتَوْحِيدِكَ صَادِقَةً ، وَبِشُكْرِكَ مَادِحَةً ،
وَعَلَى قُلُوبٍ اعْتَرَفَتْ بِإِلَهِيَّتِكَ مُحَقَّقَةً ، وَعَلَى ضَمَائِرٍ حَوَّتْ مِنَ الْعِلْمِ بِكَ حَتَّى صَارَتْ خَاشِعَةً ، وَعَلَى
جَوَارِحٍ سَعَتْ إِلَى أَوْطَانِ تَعَبُودِكَ طَائِعَةً ، وَأَشَارَتْ بِاسْتِغْفَارِكَ مُذْعِنَةً ، مَا هَذَا الظَّنُّ بِكَ وَلَا أَخْبِرْنَا
بِفَضْلِكَ عَنْكَ يَا كَرِيمُ))^(١) .

الوسيلة الثانية التي يتوسل بها الداعي في هذه المرحلة هي حبه لله ، بعد أن استعطفه في
الوسيلة السابقة بحبه لنا وهي سالف برّه بنا ، وحبّ العبد لله وسيلة مؤثرة ، فالحب بضاعة لا يردّها الله.
وفي سياق هذه الوسيلة يأتي توحيدنا له تعالى وخشوعنا بين يديه ، وصلاتنا وسجودنا وذكرنا وشهادتنا
واعترافنا له بالربوبية ، وعلى أنفسنا بالعبودية . فكيف يمكن أن يحرق بالنار وجه عبد طال سجوده بين
يديه ، أو يحرق قلب عبد انطوى على حبه ، أو يحرق لساناً طالما ذكره ، وشهد بتوحيده ، ونفى الشرك
عنه^(٢)؟! ويأتي هذا الحوار بين العبد وربّه من خلال (علاقة السؤال بالجواب)، وهذه العلاقة تعمل في
ضوء علاقة الإضافة على حبك النصّ بما تقوم به من دور في بناء الحوار داخل النصّ^(٣). فبعد أن
استفهم الداعي في الجزء الأول من المقطع للإنكار للإبطالي الذي يقتضي أن ما بعده غير واقع^(٤)، يأتي
الجواب في الجزء الثاني من المقطع بقوله: (هَيْهَاتَ أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُضَيِّعَ مَنْ رَبَّيْتَهُ ...)، لترتبط بما
سبق في جملة السؤال: (أَتُرَاكَ مُعَذِّبِي بِنَارِكَ بَعْدَ تَوْحِيدِكَ ...) .

المقطع الرابع عشر: المسكنة:

((يَا رَبِّ وَأَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفِي عَنْ قَلِيلٍ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا وَعُقُوبَاتِهَا ، وَمَا يَجْرِي فِيهَا مِنَ الْمَكَارِهِ
عَلَى أَهْلِهَا ، عَلَى أَنَّ ذَلِكَ بَلَاءٌ وَمَكْرُوهٌ قَلِيلٌ مَكْنُهُ ، يَسِيرٌ بِقَاوُهُ ، قَصِيرٌ مُدَّتُهُ ، فَكَيْفَ احْتِمَالِي لِبَلَاءٍ

(١) مصباح المتهجد ، ص ٥٨٥-٥٨٦ .

(٢) ينظر: الدعاء عند أهل البيت عليه السلام ، ص ١٤٢-١٤٤ .

(٣) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ص ٢٠٧ .

(٤) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ٩١/١ .

الْآخِرَةِ وَخُلُولِ وَقُوعِ الْمَكَارِهِ فِيهَا ، وَهُوَ بَلَاءٌ تَطُولُ مُدَّتُهُ ، وَيَدُومُ مَقَامُهُ ، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْ أَهْلِهِ ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ غَضَبِكَ وَأَنْتِقَامِكَ وَسَخَطِكَ ، وَهَذَا مَا لَا تَقُومُ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، يَا سَيِّدِي فَكَيْفَ بِي وَأَنَا عَبْدُكَ الضَّعِيفُ الدَّلِيلُ ، الْحَقِيرُ الْمِسْكِينُ الْمُسْتَكِينُ))^(١) .

يكرر الداعي في هذا المقطع استعطافه لله ولكن بصورة أخرى ، من خلال عقد مقابلة بين بلاء الدنيا وبلاء الآخرة ، وعلى النحو الآتي:

بلاء الدنيا	بلاء الآخرة
- قَلِيلٌ مَكْنُهُ	- تَطُولُ مُدَّتُهُ
- يَسِيرُ بَقَاؤُهُ	- يَدُومُ مَقَامُهُ
- قَصِيرٌ مُدَّتُهُ	- لَا يُخَفَّفُ عَنْ أَهْلِهِ
- (لا يشترط فيه أن يكون عن غضب وانتقام وسخط الله ، فقد يكون لأسباب أخر)	- يَكُونُ عَنْ غَضَبِ اللَّهِ وَأَنْتِقَامِهِ وَسَخَطِهِ

وعلى عقد هذه المقارنة يُرتب مقايضة منطقية تتماسك في ضوئها أجزاء النص ، ويعرض من خلالها النتيجة الآتية: أن ما لا تقوم له السماوات والأرض من غضبك وانتقامك ، كيف يمكن لي تحمله ومقاومته ؟ والحال إنني عبدك الضعيف ...^(٢) .

ويمكن التمثيل لهذا الاستدلال بالنحو الآتي:

(١) مصباح المتهجد ، ص ٥٨٦ .

(٢) ينظر: شرح دعاء كميل ، ص ٢٣٤ .

المقدمات: ١- إن بلاء الآخرة يكون عن غضب الله وانتقامه وسخطه .

٢- غضب الله وانتقامه وسخطه لا تقوم له السماوات والأرض .

النتيجة: فَكَيْفَ بِي وَأَنَا عَبْدُكَ الضَّعِيفُ الدَّلِيلُ ، الْحَقِيرُ الْمُسْكِينُ الْمُسْتَكِينُ .

المقطع الخامس عشر: الشكوى:

((يا إلهي وربِّي وسَيِّدي وَمَوْلَايَ ، لَأَيِّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَشْكُو، وَلِمَا مِنْهَا أَضِجُ وَأَبْجِي ، لَأَلِيمِ الْعَذَابِ وَشِدَّتِهِ ، أَمْ لَطُولِ الْبَلَاءِ وَمُدَّتِهِ ، فَلَنْ صَيَّرْتَنِي لِلْعُقُوبَاتِ مَعَ أَعْدَائِكَ ، وَجَمَعْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَهْلِ بَلَائِكَ ، وَفَرَقْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّائِكَ وَأَوْلِيائِكَ ، فَهَبْنِي يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَرَبِّي صَبْرْتُ عَلَى عَذَابِكَ ، فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلَى فِرَاقِكَ ، وَهَبْنِي صَبْرْتُ عَلَى حَرِّ نَارِكَ ، فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى كَرَامَتِكَ، أَمْ كَيْفَ أَسْكُنُ فِي النَّارِ وَرَجَائِي عَفْوُكَ))^(١) .

لا يزال الداعي يستعطف ربه ، ويحاول استئصال رحمته بالوسائل المختلفة ، فيتمثل حاله وقد تخلت عنه رحمة الله ، فيصور ذلك متضرعاً وهو بين بلاعين ، بلاء مادي يتمثل في أليم العذاب وشِدَّتِهِ، وطول البلاء ومدَّتِهِ ، وبلاء معنوي يتمثل في مفارقة أولياء الله وأحبائه ، والحشر مع أعدائه وأهل بلائه ، وهو يفترض في بناء حوارِي أَنَّهُ قد يصبر على العذاب المادي ، ولكنه لا يصبر على العذاب المعنوي ليظهر بذلك صدق حبه لله وتوحيده . وبهذا النوع من الحوار من عرض الافتراض وجوابه يحافظ النصّ على استمراريته الدلالية بما يسمى بالحبك الحوارِي الذي يعتمد في سياقه على الاستفهام أو الحديث المباشر، وتبدو الروابط في الأساليب الحوارية من خلال المستويات السطحية اللغوية ، وذلك باستعمال الأدوات والضمائر التي تعدّ من الروابط القوية في اللغة ، فضلاً عن البنية العميقة والتي تتمثل في المضامين والدلالات التي تحملها المستويات السطحية اللغوية^(٢) .

(١) مصباح المتجهد ، ص ٥٨٦ .

(٢) ينظر: أثر الروابط في البناء النصّي (بحث) ، ص ٥٠-٥١ ، وعلم لغة النصّ والأسلوب ، ص ٩٢-٩٣ .

المقطع السادس عشر: الإنابة:

((فَبِعِزَّتِكَ يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أَقْسِمُ صَادِقًا ، لئن تَرَكْتَنِي نَاطِقًا لَأُضِجَنَّ إِلَيْكَ بَيْنَ أَهْلِهَا ضَجِيجَ
الْآمِلِينَ ، وَلَأُصْرُخَنَّ إِلَيْكَ صُرَاخَ الْمُسْتَصْرِخِينَ ، وَلَأُبْكِيَنَّ عَلَيْكَ بُكَاءَ الْفَاقِدِينَ ، وَلَأُنَادِيَنَّكَ أَيْنَ كُنْتَ يَا
وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ ، يَا غَايَةَ آمَالِ الْعَارِفِينَ ، يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ ، يَا حَبِيبَ قُلُوبِ الصَّادِقِينَ ، وَيَا إِلَهَ
الْعَالَمِينَ))^(١) .

الوسيلة الثالثة للدّاعي في هذه المرحلة هي الاضطرار إلى الله والإنابة إليه ، فحينما لا يجد
العبد موضعاً لقضاء حاجته إلا عند الله ، ولا مهرباً إلا إليه ، ولا ملجأً إلا عنده ، وعندما يكون فرار
العبد وهروبه من الله ، ولا يجد ملجأً ومهرباً يحتمي به إلا الله ، يكون هذا من أسباب إجابته تعالى
للدّعاء ، وهو القائل: ﴿ اَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾^(٢) ، فيضجّ إليه تعالى وقد ساقه
ملائكة العذاب إلى جهنم وهو يطلب من الله الأمن ، ويعوذ برحمته من غضبه ، ويستغيثه ،
ويستصرخه، طالباً الرحمة لنفسه منه تعالى . وهذا هو الوجه الأول من القضية في علاقة العبد بالله في
اضطراره إليه ولجؤه إلى امته ورحمته^(٣) .

المقطع السابع عشر: الرجاء:

((أَفْتَرَاكَ سُبْحَانَكَ يَا إِلَهِي وَبِحَمْدِكَ تَسْمَعُ فِيهَا صَوْتَ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُسْجَنُ فِيهَا بِمُخَالَفَتِهِ،
وَذَاقَ طَعْمَ عَذَابِهَا بِمَعْصِيَتِهِ ، وَخُبِسَ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا بِجُزْمِهِ وَجَرِيرَتِهِ ، وَهُوَ يَضِجُ إِلَيْكَ ضَجِيجَ مُؤَمِّلٍ
لِرَحْمَتِكَ، وَيُنَادِيكَ بِلِسَانِ أَهْلِ تَوْحِيدِكَ ، وَيَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِرُبُوبِيَّتِكَ ، يَا مَوْلَايَ فَكَيْفَ يَبْقَى فِي الْعَذَابِ وَهُوَ
يَرْجُو مَا سَلَفَ مِنْ حِلْمِكَ ، أَمْ كَيْفَ تُؤْلِمُهُ النَّارُ وَهُوَ يَأْمُلُ فَضْلَكَ وَرَحْمَتَكَ ، أَمْ كَيْفَ يُحْرِقُهُ لَهَبُهَا وَأَنْتَ
تَسْمَعُ صَوْتَهُ وَتَرَى مَكَانَهُ ، أَمْ كَيْفَ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ زَفِيرُهَا وَأَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفَهُ ، أَمْ كَيْفَ يَتَغَلَّغُلُ بَيْنَ

(١) مصباح المتهجد ، ص ٥٨٦ .

(٢) سورة النمل / الآية: ٦٢ .

(٣) ينظر: الدعاء عند أهل البيت عليه السلام ، ص ١٤٦-١٤٨ .

أَطْبَاقُهَا وَأَنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَهُ ، أَمْ كَيْفَ تَرْجُرُهُ زَبَانِيَّتُهَا وَهُوَ يُنَادِيكَ يَا رَبِّهٗ ، أَمْ كَيْفَ تُنْزِلُهُ فِيهَا وَهُوَ يَرْجُو فَضْلَكَ فِي عِتْقِهِ مِنْهَا فَتَنْزِكُهُ فِيهَا))^(١) .

الوجه الآخر من القضية هو في علاقة الله تعالى بعبده عند اضطراره إليه ، فهل يمكن له سبحانه وهو أرحم الراحمين أن يسمع استعاذة عبد ساقه جهله وطيشه إلى نار جهنم فيتركه في عذابها ، وهو تعالى يعلم صدقه في حبه له ، وتوحيده له ، ولجؤه إليه واضطراره^(٢)؟! وهنا يستعين الداعي بأساليب لتحقيق أهدافه في استئزال رحمة الله ورضاه ، بعضها ظاهر على سطح النص وبعضها الآخر يستنبط من البنية العميقة بالرجوع إلى الدلالة الالتزامية ، مما يجعل القارئ مشاركاً حقيقياً في إنشاء الحبك وتكوينه ، معتمداً في ذلك على خزينه المعرفي ، وهذه الأساليب هي:

أولاً: الإقرار بالذنب ، والداعي يقر باستحقاقه دخول النار، فهو (سَجِنُ فِيهَا بِمُخَالَفَتِهِ ، وَذَاقَ طَعْمَ عَذَابِهَا بِمَعْصِيَّتِهِ ، وَحُبِسَ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا بِجُرْمِهِ وَجَرِيرَتِهِ) ، فهو إذاً إنما استحق دخول النار بسبب "مخالفته" و"معصيته" لمولاه سبحانه وتعالى ، وهو استحق أن يحبس بين أطباقها بسبب "جرمه وجريته"^(٣)، والإقرار بالذنب من الوسائل المنجية من غضب الله ، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام في مناجاته : ((إِنْ كَانَ قَدْ دَنَا أَجْلِي وَلَمْ يُدْنِنِي مِنْكَ عَمَلِي فَقَدْ جَعَلْتُ الْإِقْرَارَ بِالذَّنْبِ إِلَيْكَ وَسَيْلَتِي))^(٤) .

ثانياً: أن ذنبه ليس من النوع الذي لا يمكن غفرانه أو قبول التوبة عنه ، فيقول: " تَسْمَعُ فِيهَا صَوْتَ عَبْدٍ مُسْلِمٍ سَجِنُ فِيهَا بِمُخَالَفَتِهِ " ، والداعي لا يزال حتى وهو في النار يصرّح عن نفسه بأنه مسلم، فهو لم يخرج من الإسلام ، وإنما عصى إذ عصى ، وأذنب إذ أذنب ، وأجرم إذ أجرم وهو مسلم، وكونه كذلك فهو لا يزال يستحق رحمة الله تعالى وغفران ذنوبه^(٥). وقد استعمل لذلك علاقة التدرج من

(١) مصباح المتهجد ، ص ٥٨٦-٥٨٧ .

(٢) ينظر: الدعاء عند أهل البيت عليه السلام ، ص ١٤٨ .

(٣) ينظر: في رحاب دعاء كميل ، ص ٢٦٩ .

(٤) الإقبال بالأعمال الحسنة ، ٢٩٦/٣ .

(٥) ينظر: في رحاب دعاء كميل ، ص ٢٦٩ .

الأعلى إلى ما هو دون تلك المرتبة ، فالداعي أطلق على نفسه صفة الإيمان أولاً ، ومن ثم سمة الإسلام ، فهو فيما سبق هذه الفقرة يخاطب ربّه بالتعبير قائلاً: " أَيْنَ كُنْتَ يَا وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ؟ " فيحسب نفسه واحداً منهم ، وهنا يعبر عن نفسه بأنه مسلم ، وصفة الإيمان أعلى من صفة الإسلام ، وقد استعمل الداعي هذا التدرج ليقول لربّه: بأنني لو لم أعد من المؤمنين فلا أقل أنني مسلم لإظهار الشهادتين ، وللمسلم حرمة ، وهي تتبع من حرمة الإسلام ، فليس له أن يترك التشبث بهذه الوسيلة^(١) ، وقد قال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾^(٢) .

ثالثاً: إنّ الداعي على الرغم من دخوله النار وإقراره باستحقاق ذلك ، إلا أنّه لم يفقد الأمل أو ييأس من رحمة ربّه ، فيضجّ إليه وهو مؤمل لرحمته ولو كان في جهنم ، ولم يشغله العذاب عن دعائه والاستغاثة به ليخرجه من هذا الحال . فالداعي يريد أن يعلمنا أن العلاقة مع الله سبحانه وتعالى يجب أن لا تنقطع حتى ولو كنا في أسوأ الأحوال ؛ لأنّ سبحانه خلاصنا منها ، فهو أرحم الراحمين^(٣) ، وهو عند حسن ظنّ عبده المؤمن^(٤) ، فيخاطب ربّه متشبّثاً بحبل الرجاء: "أَمْ كَيْفَ تُنْزِلُهُ فِيهَا وَهُوَ يَرْجُو فَضْلَكَ فِي عِقَبِهِ مِنْهَا فَتَنْزِلُكَ فِيهَا" ، وحبل الرجاء ممتد مع سعة رحمة الله حتى بين أطباق جهنم^(٥) .

(١) ينظر: أضواء على دعاء كميل ، ص ٣٦٩ .

(٢) سورة النساء / الآية: ٤٨ .

(٣) ينظر: في رحاب دعاء كميل ، ص ٢٦٩ .

(٤) ورد عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه قال: ((أحسن الظن بالله فإن الله سبحانه يقول: أنا عند ظنّ عبدي المؤمن بي، إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً)) أصول الكافي ، ٧٧/٢ .

(٥) روي عن الرسول الكريم ﷺ أنّه قال: ((إِنَّ عَبْدًا فِي جَهَنَّمَ لَيُنَادِي أَلْفَ سَنَةٍ: يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ، فَأْتِنِي بِعَبْدِي هَذَا. فَيَنْطَلِقُ جِبْرِيلُ، فَيَجِدُ أَهْلَ النَّارِ مُكْبِنِينَ يَبْكُونَ، فَيَرْجِعُ إِلَى رَبِّهِ فَيُخْبِرُهُ، فَيَقُولُ انْتَنِي بِهِ، فَإِنَّهُ فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا، فَيَجِيءُ بِهِ، فَيُوقِفُهُ عَلَى رَبِّهِ فَيَقُولُ لَهُ: يَا عَبْدِي كَيْفَ وَجَدْتَ مَكَانَكَ وَمَقِيلَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، شَرٌّ مَكَانٍ، وَشَرٌّ مَقِيلٍ. فَيَقُولُ: رُدُّوْا عَبْدِي. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا كُنْتُ أَرْجُو إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا أَنْ تَرُدَّنِي فِيهَا، فَيَقُولُ: دَعُوا عَبْدِي)) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ٩٩/٢١ - ١٠٠ .

((هَيَّاهُ مَا ذَلِكَ الظَّنُّ بِكَ وَلَا الْمَعْرُوفُ مِنْ فَضْلِكَ ، وَلَا مُشَبَّهٌ لِمَا عَامَلْتَ بِهِ الْمُوَحِّدِينَ مِنْ بَرِّكَ وَإِحْسَانِكَ ، فَبِالْيَقِينِ أَقْطَعُ لَوْلَا مَا حَكَمْتَ بِهِ مِنْ تَغْذِيبِ جَاحِدِيكَ ، وَقَضَيْتَ بِهِ مِنْ إِخْلَادِ مُعَانِدِيكَ ، لَجَعَلْتَ النَّارَ كُلَّهَا بَرْدًا وَسَلَامًا ، وَمَا كَانَتْ لِأَحَدٍ فِيهَا مَقَرًّا وَلَا مَقَامًا ، لَكِنَّكَ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ أَقْسَمْتُ أَنْ تَمْلَأَهَا مِنَ الْكَافِرِينَ ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَأَنْ تُخَلِّدَ فِيهَا الْمُعَانِدِينَ ، وَأَنْتَ جَلُّ ثَنَاؤِكَ قُلْتَ مُبْتَدَأًا ، وَتَطَوَّلْتَ بِالْإِنْعَامِ مُتَكَرِّمًا ، أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ))^(١) .

بعد أن قدّم الدّاعي فيما سبق افتراضه في حالة تخلي رحمة الله عنه ، وعرض مجموعة من تساؤلاته ، يأتي في هذا المقطع جوابه وهو يستبعد حصول ذلك ، في حجة منه تعتمد على استدلال منطقي ، على النحو الآتي:

الكبرى: إنّ الله سبحانه وتعالى يعامل الموحدين بالبرّ والإحسان .

الصغرى: يفرض الدّاعي نفسه أنّه من الموحدين .

النتيجة: أنّه من المشمولين بهذه المعاملة من البرّ والإحسان ؛ إذ أنّ بقاءه في العذاب لا يشبه ما تفضل الله به وعامل موحيه^(٢) .

وحتى لا يتوهم متوهم أنّ الدّاعي في تلك الضراعة والابتهال والمسكنة وتوصيف العذاب والنكال ، كأنّه أساء ظنّه برّبه وضعف اعتقاده بفضله وكرمه ، أتى بما يدفع هذا التوهم ، فقال: "لَوْلَا مَا حَكَمْتَ بِهِ مِنْ تَغْذِيبِ جَاحِدِيكَ ..."^(٣). وقد خصّ العذاب بالجاحدين والمعاندين ؛ إذ أنّ عدالته سبحانه تقتضي أن لا يستوي المؤمنون والفاسقون ، سواء كان من الجن أم من الإنس في إشارة إلى اشتراك

(١) مصباح المتجهّد ، ص ٥٨٧ .

(٢) ينظر: أضواء على دعاء كميل ، ص ٣٧٧ .

(٣) ينظر: شرح دعاء كميل ، ص ٢٥٢ .

الجن مع الإنس في التكليف بالأحكام^(١)، وهو ما يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢).

المرحلة الثالثة: الخاتمة:

المقطع التاسع عشر: الوهاب:

((إلهي وسَيِّدي ، فَاسْأَلُكَ بِالْقُدْرَةِ الَّتِي قَدَّرْتَهَا ، وَبِالْقَضِيَّةِ الَّتِي حَتَمْتَهَا وَحَكَمْتَهَا ، وَغَلَبْتَ مَنْ عَلَيْهِ أَجْرِيَّتَهَا ، أَنْ تَهَبَ لِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَفِي هَذِهِ السَّاعَةِ ، كُلَّ جُزْمٍ أَجْرَمْتُهُ ، وَكُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ ، وَكُلَّ قَبِيحٍ أَسْرَرْتُهُ ، وَكُلَّ جَهْلٍ عَمِلْتُهُ ، كَتَمْتُهُ أَوْ أَعْلَنْتُهُ ، أَخْفَيْتُهُ أَوْ أَظْهَرْتُهُ ، وَكُلَّ سَيِّئَةٍ أَمَرْتُ بِإِثْبَاتِهَا الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ ، الَّذِينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ مَا يَكُونُ مِنِّي ، وَجَعَلْتَهُمْ شُهُوداً عَلَيَّ مَعَ جَوَارِحِي ، وَكُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيَّ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَالشَّاهِدَ لِمَا خَفِيَ عَنْهُمْ وَبِرَحْمَتِكَ أَخْفَيْتُهُ ، وَبِفَضْلِكَ سَتَرْتَهُ ، وَأَنْ تُوفِّرَ حَظِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَنْزَلْتَهُ ، أَوْ إِحْسَانٍ فَضَّلْتَهُ ، أَوْ بَرٍّ نَشَرْتَهُ ، أَوْ رِزْقٍ بَسَطْتَهُ ، أَوْ ذَنْبٍ تَغْفِرُهُ ، أَوْ خَطَاٍ تَسْتُرُهُ ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ ، يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَمَالِكِ رَقِّي ، يَا مَنْ بِيَدِهِ نَاصِيَّتِي ، يَا عَلِيماً (بِضُرِّي) وَمَسْكَنَتِي ، يَا خَبيراً بِفَقْرِي وَفَاقَتِي ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ وَفُضْلِكَ وَأَعْظَمَ صِفَاتِكَ وَأَسْمَائِكَ ، أَنْ تَجْعَلَ أَوْقَاتِي مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِذِكْرِكَ مَعْمُورَةً ، وَبِخِدْمَتِكَ مَوْصُولَةً ، وَأَعْمَالِي عِنْدَكَ مَقْبُولَةً ، حَتَّى تَكُونَ أَعْمَالِي وَأَوْرَادِي كُلُّهَا وَرِداً وَاحِداً ، وَحَالِي فِي خِدْمَتِكَ سَرْمَداً ، يَا سَيِّدِي يَا مَنْ عَلَيْهِ مَعْوَلِي ، يَا مَنْ إِلَيْهِ شَكَوْتُ أَحْوَالِي ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ ، قَوِّ عَلَى خِدْمَتِكَ جَوَارِحِي ، وَاشْدُدْ عَلَى الْعَزِيمَةِ جَوَانِحِي ، وَهَبْ لِي الْجِدَّ فِي خَشْيَتِكَ ، وَالِدَوَامَ فِي الْإِتِّصَالِ بِخِدْمَتِكَ ، حَتَّى أَسْرَحَ إِلَيْكَ فِي مِيَادِينِ السَّابِقِينَ ، وَأُسْرِعَ إِلَيْكَ فِي الْبَارِزِينَ ، وَأَشْتاقَ إِلَى قُرْبِكَ فِي الْمُشْتَاقِينَ ، وَأَدْنُو مِنْكَ دُنُوَ الْمُخْلِصِينَ ، وَأَخَافُكَ مَخَافَةَ الْمُوقِنِينَ ، وَاجْتَمِعْ فِي جِوَارِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ))^(٣).

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن ، ٣٥/٢٠ .

(٢) سورة الذاريات / الآية: ٥٦ .

(٣) مصباح المتعبد ، ص ٥٨٧ .

تبدأ من هذا المقطع المرحلة الثالثة من الدعاء ، وفيها يعرض الدّاعي حاجاته ومطالبه على الله، وهذه الحاجات على طوائف تبدأ من نقطة الحضيض حيث يكون العبد وعمله ، وتنتهي إلى القمة حيث يكون طمع العبد وطموحه في سعة رحمة مولاه ، وعلى النحو الآتي^(١):

الطائفة الأولى: وتبدأ من نقطة الحضيض وفيها يطلب الدّاعي من ربه أن يهب له كلّ ذنوبه وسيئاته ، ما ظهر منها وما بطن حتى يعود سيرته الأولى والبدء من (هذه الليلة) بصفحة جديدة ، في أسلوب يستقصي فيه جميع الألفاظ التي ترمز إلى الذنوب ، حتى لا يبقى من تبعاتها شيء ، ((فالدّاعي في مقام طلب العفو من ربه عن الأعمال الجوارحية والجوانحية ؛ لأتّه في صدد تصفية الحساب مع ربه والخروج معافى من كلّ سوء))^(٢) .

الطائفة الثانية: وفيها يستنزل الدّاعي رحمة الله ، في دعاء شامل واسع بحيث لا يخرج عنها شيء . وإذا كانت الطائفة الأولى طلب بالسلب فهذه الطائفة طلب بالإيجاب ، فقد كان فيما سبق من قوله: " إلهي وسَيِّدي ، فَأَسْأَلُكَ بِالْقُدْرَةِ الَّتِي قَدَّرْتَهَا " إلى قوله: " وَكُلَّ سَيِّئَةٍ أَمَرْتُ بِإِثْبَاتِهَا الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ " في طلب تصفية ما عليه من مخالفات ، وفتح صفحة جديدة من حياته في العلاقة مع الله ، وفي هذه الطائفة يريد الدّاعي أن يخط على صفحته البيضاء الجديدة كل ما يرضي الله ، فيستعين به ويطلب منه أن يوفر حظّه من كلّ خير بما يمكّنه من قطع ما بقي من العمر ؛ ولذلك عطف على ما سبق من قوله: " أَنْ تَهَبَ " قوله: " وَأَنْ تُوفِّرَ حَظِّي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَنْزَلْتَهُ "^(٣) .

الطائفة الثالثة: وهي أطول الفقرات ، وفيها يهتم الدّاعي بإقامة علاقته مع الله على أساس متين من الإخلاص والخوف والخشية والحب والشوق ، فيطلب من الله تعالى أن يجعل أوقاته عامرة بذكره،

(١) ينظر: الدعاء عند أهل البيت عليه السلام ، ص ١٣٩-١٤٠ .

(٢) أضواء على دعاء كميل ، ص ٣٩٨ .

(٣) ينظر: السابق نفسه ، ص ٤١٥ .

وموصولة بخدمته ، وأن يرزقه الجدّ في خشيته ، ويدنيه منه ، ويقربه إليه ، ويرزقه جواره^(١). فالدّاعي بعد أن أتمّ (التخلية) جاء الآن إلى (التحلية) ، فيرتقي في طلباته من طلب الرزق والبرّ والإحسان إلى عالم العبادة والشكر ، والقيام بما يلزمه تجاه ربّه ؛ ولهذا يقدّم مقدّمة تمهيدية ، فيقسم على الله بحقه وقدسّه ، وأعظم صفاته وأسمائه ، أن يأخذ بيده ويوفقه إلى ذلك^(٢) .

المقطع العشرون: الاعتصام:

((اللَّهُمَّ وَمَنْ أَرَادَنِي بِسُوءٍ فَأَرِدْهُ ، وَمَنْ كَادَنِي فَكِدْهُ ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَحْسَنِ عِبِيدِكَ نَصِيباً عِنْدَكَ ، وَأَقْرَبِهِمْ مَنْزِلَةً مِنْكَ ، وَأَخْصِهِمْ زُلْفَةً لَدَيْكَ ، فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ ذَلِكَ إِلَّا بِفَضْلِكَ ، وَجُدْ لِي بِجُودِكَ ، وَاعْظِفْ عَلَيَّ بِمَجْدِكَ ، وَأَحْفَظْنِي بِرَحْمَتِكَ ، وَاجْعَلْ لِسَانِي بِذِكْرِكَ لَهْجاً ، وَقَلْبِي بِحُبِّكَ مُتِمّاً ، وَمَنْ عَلَيَّ بِحُسْنِ إِجَابَتِكَ ، وَأَقْلَنْي عَثْرَتِي وَاعْفِرْ زَلَّتِي ، فَإِنَّكَ قَضَيْتَ عَلَيَّ عِبَادَكَ بِعِبَادَتِكَ ، وَأَمَرْتَهُمْ بِدُعَائِكَ ، وَضَمَنْتَ لَهُمْ الْإِجَابَةَ))^(٣) .

في هذا المقطع يصل الدّاعي إلى القمة في طلباته^(٤)، وهي الطائفة الرابعة ، فبعد أن طلب في الفقرة الأخيرة من المقطع السابق أن يحذو حذو المخلصين والموقنين ، يترقى هنا فيطلب أن يكون من أحسنهم نصيباً عنده ، وأخصهم زلفة لديه ، وقد فصل بين هذه الطلبات وما سبق - مع أنّها من جنس واحد - بقوله: (وَمَنْ أَرَادَنِي بِسُوءٍ فَأَرِدْهُ ، وَمَنْ كَادَنِي فَكِدْهُ) ، للتنبيه على مخاطر هذه المرحلة الفاصلة، وللإشارة إلى أن الوصول إلى هذا المقام يتطلب وقتاً للاستمرار في الرياضة العبادية مما ذكر في المقطع السابق ، مع الثبات في سيره ، وتجنب النكوص لأي سبب كان . وهو مع ما يخصّه ويقع عليه من القيام بالعبادة والذكر، يتوجه إلى الله ﷻ أن يحفظه ويرعاه ممن يريد به السوء من الخارج أو يكيد له ، وأن يقلّله إن عثر ويغفر له إن زلّ ، حتى يحافظ على صراط سيره ، والانتقال من مقام

(١) ينظر: الدعاء عند أهل البيت ﷺ ، ص ١٤٠-١٤١ .

(٢) ينظر: أضواء على دعاء كميل ، ص ٤١٨ .

(٣) مصباح المتجهد ، ص ٥٨٧-٥٨٨ .

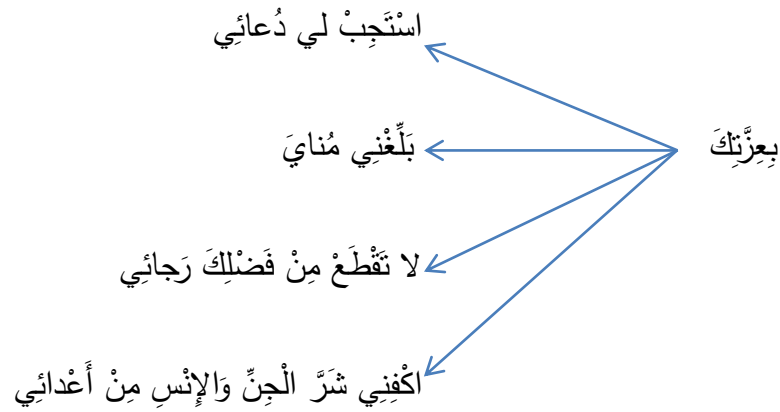
(٤) ينظر: الدعاء عند أهل البيت ﷺ ، ص ١٣٩ .

الخصوص إلى مقام الأخص ؛ وهذا لا يكون إلا بفضل الله تعالى عندما يجد قابلية في القابل ، ولذلك قال: " فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ ذَلِكَ إِلَّا بِفَضْلِكَ " .

المقطع الحادي والعشرون: العطاء:

((فَأَلَيْكَ يَا رَبِّ نَصَبْتُ وَجْهِي ، وَأَلَيْكَ يَا رَبِّ مَدَدْتُ يَدِي ، فَبِعِزَّتِكَ اسْتَجِبْ لِي دُعَائِي وَبَلِّغْنِي مُنَايَ ، وَلَا تَقْطَعْ مِنْ فَضْلِكَ رَجَائِي ، وَاكْفِنِي شَرَّ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ مِنْ أَعْدَائِي ، يَا سَرِيعَ الرِّضَا ، اغْفِرْ لِمَنْ لَا يَمْلِكُ إِلَّا الدُّعَاءُ ، فَإِنَّكَ فَعَالٌ لِمَا تَشَاءُ ، يَا مَنْ اسْمُهُ دَوَاءٌ ، وَذِكْرُهُ شِفَاءٌ ، وَطَاعَتُهُ غِنَى ، إِرْحَمْ مَنْ رَأْسُ مَالِهِ الرَّجَاءُ ، وَسِلَاحُهُ الْبُكَاءُ ، يَا سَابِغَ النِّعَمِ ، يَا دَافِعَ النِّقَمِ ، يَا نُورَ الْمُسْتَوْحِشِينَ فِي الظُّلَمِ ، يَا عَالِمًا لَا يُعْلَمُ ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَافْعَلْ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَالْأَنْمَةِ الْيَامِينَ مِنْ آلِهِ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا))^(١) .

قدّم الجار والمجرور " إلیک " للحصر، ففي هذا المقام تنتقي الأغيار، وقد حدّد استعانته باسم العزيز لقضاء حوائجه ، وهي:



والذي يبدو أنّ اسم العزيز هو الذي يستوفي قضاء هذه الحاجات فجاء به للمناسبة ، فالعزيز هو الغالب الذي لا يغلبه شيء ، أو من عنده ما عند غيره من غير عكس^(٢). فالدّاعي بعد هذه الرحلة

(١) مصباح المتهجد ، ص ٥٨٨ .

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن ، ١٩٦/١٩ .

الطويلة من الدّعاء يريد من الله سبحانه وتعالى أن يحقق له دّعاءه ، فصحيح ((أن الله أمر بالدّعاء
 وضمن الإجابة ، ولكن ذلك ليس لازماً عليه في التلبية ، بل له الكلمة الأخيرة في كلّ شيء تبعاً
 للمصالح والمفاسد . والدّاعي يخشى هذه الجهة من التخلف ؛ لذلك أقسم على ربّه بعزّته أن يحقق أمله ،
 ويستجيب دّعاءه ، ويوصله إلى ما يتمناه من رضا ربّه))^(١) . وقد كرّر الاستجارة من أعدائه ، وطلب
 الحفظ منهم ، وقبل هذا لم يكن ، ففي القمة يكثر الأعداء الذين يحاولون إرجاعه إلى الهاوية ، فقابل
 شرّهم باسم العزيز للغلبة عليهم ، وحتى يضمن الإجابة قدّم فقره بين يدي ربّه ، فهو لا يملك عملاً
 يتقرب به إلى الله سوى الدّعاء ، وقد قال: ﴿ قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾^(٢) . وختم الدّعاء مثلاً
 يقتضي أدبه بالثناء على الله ﷻ ، والصلاة على نبيه وآله الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين) ، ولأته
 غير أهل لشيء ترك الأمر إليه، فقال: " وَأَفْعَلُ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ " ، وقد قيل: ((إِلَهِي مِنِّي مَا يَلِيقُ
 بِلُؤْمِي وَمِنْكَ مَا يَلِيقُ بِكَرَمِكَ))^(٣) .

(١) أضواء على دعاء كميل ، ص ٤٣١-٤٣٢ .

(٢) سورة الفرقان / الآية: ٧٧ .

(٣) مفاتيح الجنان ، ص ٤٧٣ .

الخاتمة

الغائمة:

بعد هذه الرحلة الممتدة بين أعماق علم اللغة النصّي وآفاق أدعية الإمام علي عليه السلام، رصد الباحث جملة من النتائج ، وكانت على النحو الآتي:

١- جُمعت أدعية الإمام علي عليه السلام في مراحل متأخرة على مرات ، وكان العنوان العام الجامع بينها اسم (الصحيفة العلوية)، ولكن من بعض الإشارات التاريخية لا يُستبعد وجود صحيفة تضمها قبل ذلك ، حتى وإن كانت قد تقتصر على بعضها .

٢- بقي مصطلح (النصّ) ملتصقاً بمعناه اللغوي ، وأن المصطلح الحديث للنصّ هو مصطلح جديد على الثقافة العربية ، ولعلّ أقرب مصطلح يقابله في التراث هو المتن . وهذا من المفارقات الغربية ، فعلى الرغم من أن الحضارة العربية حضارة (نصّ) إلا أنها لم تستعمل هذه اللفظة بهذه الدلالة إلا متأخراً .

٣- مثل مفهوم النصّ إشكالية معقّدة وكبيرة ؛ لارتباطه بحقول معرفية مختلفة من لسانيات وسميائيات ونظريات نصّية ، وتداخل مع مصطلحات آخر منها الخطاب ، وقد حاول البحث أن يفكّ هذا التداخل بينهما ، وأن يجد بعد أن عرض مفهوم النصّ في الاتجاهات المختلفة تعريفاً له ، هو: ((النصّ بنية لغوية مغلقة مجردة، ذات علاقات تماسك متنوعة ، تُفكّك في عملية إعادة بناء وإنتاج إلى دلالة أو دلالات ملائمة للسياق عند تحققها في الاتصال)) .

٤- على الرغم من أنّ معظم الدارسين يشيرون إلى ريادة "زليج هاريس" في تحول الدراسات اللسانية من نحو الجملة إلى نحو النصّ في بحثه (تحليل الخطاب)، إلا أنّ إرهابات هذا التحول بدأت قبل ذلك ، وفي التراث العربي يوجد ما يشير إلى وجود الظاهرة (النصّية) في بعض دراساتهم، فضلاً على صدور بعض الدّعوات النصّية المبكرة من علماء عرب كالأستاذ أمين الخولي في كتابه (فن القول)، والأستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو) .

٥- حاول البحث أن يظهر المائز بين مفهوم السَّبْك وإجراءاته ومفهوم الحَبْك الذي تداخل عند بعضهم .

٦- من عناصر السَّبْك التي أسهمت في تماسك نصّ الدّعاء الإحالة ، وبعد بيان مفهومها في الدّراسات النصّيّة قدّم البحث تعريفاً لها ، هو: ((علاقة تخاطبية بين عنصر محيل يتوقف تفسيره على معرفة عنصر محال إليه مُفسّر له ، لما بينهما من مناسبة يحددها سياق الخطاب)) .

٧- كان للضمائر في أدعية الإمام عليه السلام الأثر الأهم في تماسك النصّ بالإحالات المتنوعة لها ، سواء أكانت إحالات في داخل النصّ قبلية وبعدية أم خارجية مقامية ، مع توظيف نوع الضمير بما يناسب سياق الدّعاء وموضوعه ، فتكون بدلالة الحضور أو بدلالة الغيبة .

٨- قد يقتضي مضمون الدّعاء التدرج في الإحالة بالضمائر من الغيبة صعوداً إلى الحضور انسجاماً مع بنية الدّعاء الدلالية .

٩- في الإحالة بأسماء الإشارة قد ينزل القريب منزلة البعيد ، فيشير إليه بما يدل على البعد، والبعيد منزلة القريب ، فيشير إليه بما يدل على القرب ، وهذا يخضع لقصد المرسل فيما يريد إعلامه .

١٠- قد يتوقف فهم الإحالة الإشارية على السياق غير اللغوي عندما تكون الإحالة مقامية، مما يتطلب من المتلقي البحث في خارج النصّ للتعرف على المحال عليه ، وبذلك يرتبط النصّ بسياقه التداولي .

١١- تنوعت الإحالة بأدوات المقارنة في أدعية الإمام علي عليه السلام بصنفيها العامة وما يندرج تحتها من علاقة التطابق ، وعلاقة التشابه ، وعلاقة الاختلاف ، والمقارنة الخاصة وما يندرج تحتها من علاقة كميّة ، وعلاقة كيفيّة ، وقد أسهمت جميعها في سبك النصّ ، فضلاً على قصدها الدلالي .

- ١٢- تؤدي الموصولات وظيفة الربط بين أجزاء الجملة ، أو السياق القائم على أكثر من جملة ، وهو ما يجعلها من الوسائل الإحالية التي تسهم بفعالية في سبك النصّ بربط ما قبلها بما بعدها ، أو بربط النصّ بسياقه المقامي . الأمر الذي تجلّى في معظم أدعية الإمام علي عليه السلام .
- ١٣- تعددت أنواع الاستبدال في أدعية الإمام علي عليه السلام ، فنجد الاستبدال الاسمي، والفعلية، والجملي ، وهي وسائل سبك أساسية أسهمت في بناء نصّ الدّعاء .
- ١٤- يعمل الحذف بوصفه إحدى وسائل السّبك النحوي على ربط أجزاء النصّ ، فضلاً على أغراضه البلاغية الأخرى التي تتلاءم وسياق الدّعاء .
- ١٥- تعددت أنواع الربط في نصّ الدّعاء ، فنجد الربط الإضافي ، والاستدراكي ، والسببي، وهي وسائل أسهمت في ترابط العناصر المكوّنة للنصّ في مستواه الخطي المباشر .
- ١٦- أسهمت وسائل السّبك المعجمي في تحقيق التماسك بين أجزاء الدّعاء ، وقد تمثلت في وسيلتين ؛ الأولى: التكرار بأنواعه ، كتكرار العنصر المعجمي نفسه من دون تغيير، والترادف أو شبه الترادف عندما يتكرر المحتوى مع تغيير في التعبير ، والكلمة الشاملة عندما تشير إحدى الكلمات إلى فئة ، والكلمة الأخرى إلى عنصر في هذه الفئة ، والكلمة العامة عندما يكون للكلمة إحالة عامة ، ولها من العموم والشمول ما يسع بكثير عن الشمول الموجود في الاسم الشامل . والوسيلة الثانية: المصاحبة المعجمية أو التضام بعلاقاته المتنوعة ، وهي: التضاد ، وعلاقة التدرج في سلسلة مرتبة ، وعلاقة الجزء بالكل ، وعلاقة الجزء بالجزء ، وعلاقة الصنف العام ، وعلاقة التلازم الذكري . وهذه الوسائل مع وظيفتها في سبك النصّ ، أسهمت أيضاً في تكوين الدّلالة النصّية للدّعاء ، بما تعتمد عليه في معرفة المتلقي المسبقة بالكلمات في سياقاتها المتشابهة .

١٧- حاول البحث أن يقدم بنية عليا للدعاء في ضوء ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في

أحاديثهم ، وقد اتخذ أشكالاً مختلفة بحسب طبيعة الدعاء وغرضه ، فكان لكل غرض منها هيكل تنظيمي يختلف عن الآخر ، والذي يحدّد ذلك هو السياق التداولي .

١٨- أسهمت علاقات الحَبْك النصّي - وهي علاقات ملحوظة تمثل البنية العميقة للعناصر

اللغوية السطحية - في تحقيق الاستمرارية الدلالية للنصّ ، وتفسير كيفية تتابع قضاياها بصورة

منطقية ، وقد تجلّى هذا في دراسة ما اقتصر عليه البحث من علاقات ، وهي: علاقة الإجمال

والتفصيل ، وعلاقة السببية ، وعلاقة المقابلة ، وعلاقة حسن الابتداء بمضمون النصّ .

١٩- حاول البحث أن يُظهر الترابط الموضوعي في دعاء كميل ، في دراسة تطبيقية في

ضوء مفهومات معيار الحَبْك ، بترابط الأحداث في تسلسلها المنطقي ، بوصفه من الأدعية التي

تنحو منحى قصدياً وهادفاً في تركيز جملة من المعاني ، والسير بها سيراً منطقياً، وهو ينتقل

من محور إلى آخر على وفق آلية تدرجية مقصودة ، تبرز فيها دقة الأسلوب وفنية الانتقال .

والحمدُ لله أولاً وآخراً ...

كشّاف

المصادر والمراجع

كشف المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، د. محمود أحمد نحلة ، (ط١) ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠١١م .
- الإبداع الموازي ، التحليل النصّي للشعر ، د. محمد حماسة عبداللطيف ، دار غريب ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠١م .
- أبعاد معرفية جديدة في دعاء كميل ، حسين خليل أبو زيد ، (ط١) ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١١م .
- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ٢٠١١م .
- اجتهادات لغوية ، د. تمام حسان (ت٢٠١١م) ، (ط١) ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٧م .
- الإحالة في نحو النصّ ، د. أحمد عفيفي ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، (د. ت) .
- الاحتجاج ، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (من علماء القرن السادس الهجري) ، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادلي و الشيخ محمد هادي به ، (ط٧) ، دار الأسوة ، طهران ، إيران ، ١٤٣٠هـ .
- إحياء النحو ، إبراهيم مصطفى (ت١٩٦٢م) ، (ط٢) ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
- إحياء علوم الدين ، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي (ت٥٠٥هـ) ، (ط١) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية ، ٢٠١١م .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب ، أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) ، تحقيق: د. رجب عثمان محمد ، (ط١) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٨م .
- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، الشيخ المفيد الإمام أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العُكْبَرِي البغدادي (ت٤١٣هـ) ، (ط١) ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٥م .
- أساس البلاغة ، أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، (ط١) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨م .

- أساسيات علم لغة النصّ ، كلمانير وآخرون ، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري ، (ط١) ، مكتبة
زهراء الشرق ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٨ م .
- أساليب العطف في القرآن الكريم ، د. مصطفى حميدة ، (ط١) ، الشركة المصرية العالمية
للنشر - لونجمان ، ومكتبة لبنان ناشرون ، ١٩٩٩ م .
- أسباب نزول القرآن ، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ) ، تحقيق: السيد أحمد
صقر ، (ط١)، دار الكتاب الجديد لجنة إحياء التراث الإسلامي ، مصر ، ١٩٦٩ م .
- استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، (ط١) ، دار
الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي ، ليبيا ، ٢٠٠٤ م.
- الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، العياشي أدواري ، (ط١) ، دار الأمان ، الرباط،
منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ٢٠١١ م .
- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) ، قرأه وعلق عليه: محمود محمد
شاكر، (ط١) ، دار المدني بجدة ، ١٩٩١ م .
- أسرار العارفين في شرح كلام مولانا أمير المؤمنين ، شرح دعاء كميل ، آية الله السيد جعفر
بحر العلوم ، تحقيق: الشيخ عبدالرحمن الربيعي ، (ط١) ، منشورات الاجتهاد ، ٢٠٠٩ .
- أسرار الليل في شرح دعاء كميل ، الشيخ واثق الشمري ، (ط١) ، دار المتقين ، بيروت ، لبنان،
٢٠١٠ م .
- أسس السيميائية ، دانيال تشاندلر ، ترجمة: د. طلال وهبه ، (ط١) ، المنظمة العربية للترجمة،
بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٨ م .
- الأسلوبية وتحليل الخطاب ، د. منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، دار المحبة،
دمشق ، ٢٠٠٩ م .
- إشكالات النصّ ، جمعان عبد الكريم ، (ط١) ، النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي،
الدار البيضاء ، ٢٠٠٩ م .
- أصول تحليل الخطاب ، محمد الشاوش ، (ط١) ، جامعة منوبة ، تونس ، والمؤسسة العربيّة
للتوزيع ، تونس ، ٢٠٠١ م.
- أصول الكافي ، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، تحقيق: محمد جعفر شمس الدين،
دار التعرف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٩ م .
- الأصول في النحو ، أبو بكر محمد بن سهل السراج (ت٣١٦هـ) ، تحقيق: د. عبدالحسين
الفتلي ، (ط٣)، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٦ م .

- أضواء على دعاء الصباح ، عزالدين بحر العلوم ، (ط١) ، دار الزهراء ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩١ م .
- أضواء على دعاء كميل ، عزالدين بحر العلوم ، (ط٣) ، بغداد ، ١٩٨٧ م .
- الاعتقادات ، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ) ، تحقيق: عصام عبدالسيد ، (ط١) ، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، ١٤١٣ هـ .
- إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محيي الدين الدرويش ، (ط٧) ، دار ابن كثير، دمشق ، اليمامة للطباعة والنشر، دمشق ، ٢٠٠٢ م .
- الأقبال بالأعمال الحسنة، السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت٦٦٤هـ) ، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني ، (ط٢) ، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي لحوزة قم المشرفة ، ١٤١٩ هـ .
- الأمالي ، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) ، تحقيق: بهراد الجعفري وعلي أكبر الغفاري ، (ط١) ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، إيران ، ١٣٨٠ هـ . ش .
- الأمالي للشيخ الصدوق ، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - ، (ط١) ، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة ، ١٤١٧ هـ .
- الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، (ط١) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٧ م .
- الإنصاف في مسائل الخلاف ، أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد ، (ط٤) ، مطبع السعادة ، مصر ، ١٩٦١ م .
- انفتاح النصّ الروائي ، سعيد يقطين ، (ط٣) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب ، ٢٠٠٦ م .
- الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) ، شرح وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، (ط٣) ، دار الجيل - بيروت ، (د.ت).
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ) ، (ط٣) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣ م .
- البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ) ، تحقيق: د. رياض عبدالحميد مراد و محمد حسان عبيد ، (ط٢) ، دار ابن كثير ، دمشق ، سوريا ، ٢٠١٠ م .

- البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيات النصّيّة ، د. جميل عبد المجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٦م .
- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ٢٠٠٦م .
- بلاغة الخطاب وعلم النصّ ، د. صلاح فضل ، (ط١) ، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ، ١٩٩٦م .
- بلاغة النصّ مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، د. جميل عبدالمجيد ، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٩م .
- البلاغة والأسلوبية ، د. محمد عبد المطلب ، (ط٣) ، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان ، ٢٠٠٩م .
- البلد الأمين والدرع الحصين ، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي الكفعمي (ت٩٠٥هـ) ، (ط١) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧م .
- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، الشيخ محمد تقي التستري (ت١٤١٥هـ) ، (ط١) ، دار أمير كبير، طهران ، إيران ، ١٩٧٧م .
- البيان في تفسير القرآن ، السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت١٤١٣هـ) ، (ط٤) ، دار التوحيد ، الكويت، ١٩٧٩م .
- البيان في ضوء أساليب القرآن ، د. عبدالفتاح لاشين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر، ١٩٩٨م .
- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، تحقيق: عبد السلام هارون، (ط٧) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة مصر ، ١٩٩٨م .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، الجزء الثامن عشر، تحقيق: عبدالكريم العزباوي ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٩م .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، الجزء الثامن والعشرون ، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٩٣م .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، الجزء التاسع والعشرون ، تحقيق: د. عبدالفتاح الحلو، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٩٧م .

- تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣) ، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار ، (ط٤) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٠ م .
- تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية: د. عبدالحليم النجار ، (ط٥) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، (د.ت) .
- تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) ، تحقيق: د. حفني محمد شرف ، لجنة إحياء التراث ، وزارة الأوقاف ، جمهورية مصر العربية ، ٢٠١٢ م .
- التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، حسن المصطفوي ، (ط٣) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٩ م .
- تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين ، (ط٤) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠٥ م .
- تحليل الخطاب السياسي في ضوء نظرية الاتصال اللغوي ، د. حمدي النورج ، (ط١) ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ٢٠١٤ م .
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، د. محمد مفتاح ، (ط٤) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠٥ م .
- التحليل اللغوي للنصّ مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ، كلاوس برينكر ، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري ، (ط١) ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ٢٠٠٥ م .
- الترادف في اللغة ، د. حاكم مالك الزيايدي ، (ط٢) ، دار المدينة الفاضلة ، بغداد ، العراق ، ٢٠١٢ م .
- التصوير الفني في القرآن الكريم ، سيد قطب ، (ط٢٠) ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، ٢٠١٠ م .
- تطور علم اللغة منذ ١٩٧٠ م ، جرهارد هلبش ، ترجمه وقدم له: د. سعيد حسن بحيري ، (ط١) ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٧ م .
- تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض ، (ط١) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٣ م .
- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) ، (ط١) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٠ م .

- تفسير التحرير والتتوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م .
- تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ) ، (ط٣) ، مكتبة الصدر ، طهران ، إيران ، ١٤١٥هـ .
- تفسير الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، (ط١) ، دار هجر ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠١م .
- تفسير العياشي ، الشيخ أبو النصر، محمد بن مسعود بن محمد بن العياش (ت٣٢٠هـ) ، (ط١) ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩١م .
- تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب) ، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) ، (ط١) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١م .
- التفسير القيم ، شمس الدين ابن القيم (ت٧٥١هـ) ، جمعه: محمد أويس الندوي ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، (د.ت) .
- تفسير الكشاف ، الإمام أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، صححه: محمد عبد السلام شاهين، (ط٤) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٦م .
- تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت١١١٢هـ) ، تحقيق: السيد هاشم المحلاتي ، (ط٤) ، مؤسسة اسماعيليان ، قم ، ١٤١٢هـ .
- تقابلات النصّ وبلاغة الخطاب ، محمد بازي ، (ط١) ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٠م .
- التلقي والتأويل ، بيان سلطة القارئ في الأدب ، محمد عزام ، (ط١) ، دار الينابيع ، دمشق ، ٢٠٠٧م .
- التماسك النصّي للاستخدام اللغوي في شعر الخنساء ، د. إبراهيم محمد عبدالله مفتاح ، (ط١)، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ٢٠١٥م .
- التناص في الخطاب النقدي والبلاغي ، د. عبدالقادر بقشي ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ٢٠٠٧م .
- تهذيب الأحكام ، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق: محمد جعفر شمس الدين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٧م .
- تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت٣٧٠هـ) ، الجزء الثالث ، تحقيق: د. عبدالحليم النجار و محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (د.ت) .

- تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، الجزء الثاني عشر ، تحقيق: أحمد عبدالعليم البردوني و علي محمد البجاوي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (د.ت) .
- التوحيد ، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني ، (ط٩) ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المشرفة إيران، ١٤٢٧ هـ .
- جامع الأخبار أو معارج اليقين في أصول الدين ، الشيخ محمد بن محمد السبزواري (من أعلام القرن السابع الهجري) ، تحقيق: علاء آل جعفر ، (ط١) ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٣ م .
- جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع ، السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، تحقيق: جواد قيومي ، (ط١) ، مؤسسة الآفاق ، إيران ، ١٣٧١ .
- حاشية الصبان على شرح الأشموني ، محمد بن علي الصبان (ت١٢٠٦هـ) ، تصحيح: إبراهيم شمس الدين ، (ط٢) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٨ م .
- الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة ، صدر الدين محمد الشيرازي (ت١٠٥٠هـ)، (ط٤)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٠ م .
- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ) ، تحقيق: محمد علي النجار ، (ط٥)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٠ م .
- خصائص التراكيب ، د، محمد محمد أبو موسى ، (ط٤) ، مكتبة وهبة ، القاهرة، مصر، ١٩٩٦ م .
- الخطاب في نهج البلاغة ، د، حسين العمري ، (ط١) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ٢٠١٠ م .
- الخطاب وخصائص اللغة العربية ، أحمد المتوكل ، (ط١) ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، والدار العربية ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٠ م .
- الخطيئة والتكفير ، عبد الله الغدّامي ، المركز الثقافي العربي ، (ط٦) ، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٦ م .
- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، د. سعيد حسن بحيري ، (ط١) ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٥ م .
- درس السيميولوجيا ، رولان بارت ، ترجمة: عبدالسلام بنعبد العالي ، (ط٤) ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠١٦ م .

- دروس في أصول فقه الإمامية ، د. عبدالهادي الفضلي ، (ط٢) ، الغدير ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٦ م .
- الدروع الواقية ، السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس ، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المشرفة ، إيران ، (د. ت) .
- دستور معالم الحكم ، القاضي محمد بن سلامة القضاعي (ت٤٥٤هـ) ، قدّم له: السيد عبدالزهره الحسيني الخطيب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١ م .
- الدعاء ، حقيقته ، آدابه ، آثاره ، علي موسى الكعبي ، مركز الرسالة ، (د. ت) .
- الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام ، الشيخ محمد مهدي الآصفي ، (ط٤) ، منشورات جامعة المصطفى عليه السلام العالمية ، إيران ، ١٤٢٩ هـ .
- دعائم الإسلام ، القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت٣٦٣هـ) ، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ١٩٦٣ م .
- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) ، قرأه وعلق عليه ، محمود محمد شاكر ، (ط٣) ، دار المدني بجدة ، ومطبعة المدني بمصر ، ١٩٩٢ م .
- دليل السالك إلى ألفية ابن مالك ، عبدالله بن صالح الفوزان ، (ط١) ، دار المسلم ، الرياض ، السعودية ، ١٩٩٨ م .
- دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان ، ترجمة: د. كمال بشر ، (ط١٢) ، دار غريب ، القاهرة ، مصر ، (د. ت) .
- ديوان الأفوه الأودي ، تحقيق: د. محمد التونجي ، (ط١) دار صادر، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨ م .
- ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرحه وقدم له: الأستاذ علي حسن فاعور ، (ط١) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨ م .
- ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلام الشننمري ، تحقيق: دريّه الخطيب و لطفي الصقّال ، (ط٢) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠ م .
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، الشيخ آغا بزرك الطهراني (ت١٣٨٩هـ) ، (ط٣) ، دار الأضواء، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣ م .
- الرسالة ، محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ) ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، (ط١) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٩٣٨ م .
- الرواية والتراث السردى ، د. سعيد يقطين ، (ط١) ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٦ م .

- روضة الكافي ، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني ، تحقيق: محمد جعفر شمس الدين ، (ط٢)، دار التعرف للطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧م .
- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ، المولى محمد تقي المجلسي (ت١٠٧٠هـ)، تحقيق: علي بناه الاشتهادي ، حسين الموسوي الكرمانى ، الناشر: بنياد فرهنگ اسلامي حاج محمد حسين كوشانيور ، (د.ت) .
- رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين ، السيد علي خان المدني (ت١١٢٠هـ)، تحقيق: السيد محسن الحسيني الأميني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة، إيران، (د.ت) .
- شرح ابن عقيل ، بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت٧٦٩هـ) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت - صيدا ، ٢٠٠٢م .
- شرح أدعية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، الشيخ باقر شريف القرشي (ت١٤٣٣هـ) ، تحقيق: مهدي باقر القرشي، (ط٤) ، دار المعارف ، ٢٠١١م .
- شرح أصول الكافي ، محمد صالح المازندراني (ت١٠٨٦هـ) ، منشورات المكتبة الإسلامية ، طهران ، إيران، (د.ت) .
- شرح التسهيل ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، جمال الدين محمد بن عبدالله بن عبدالله ابن مالك الجبائي الأندلسي (ت٦٧٢هـ) ، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ، وطارق فتحي السيد، (ط١) ، بيروت، لبنان ، ٢٠٠١م .
- شرح التصريح على التوضيح ، الشيخ خالد بن عبدالله الأزهرى (ت٩٠٥هـ) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، (ط٢) ، دار الكتب العلمية ، بيروت و لبنان ، ٢٠٠٦م .
- شرح دعاء الصباح ، مُلاً هادي السبزواري (ت١٢٨٩هـ) ، تحقيق: نجفلى حبيبي ، (ط١)، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٧م .
- شرح دعاء كميل ، الشيخ عبدالأعلى السبزواري (ت١٣٢٤هـ) ، تحقيق: محمد باقر بابانيا، (ط١) ، آستانه ، قم ، ١٣٨٧ .
- شرح الرضيّ على الكافية ، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي (ت: نحو٦٨٦هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر ، جامعة قاريونس ، ١٩٧٨م .
- شرح كتاب سيبويه ، أبو سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ) ، تحقيق: أحمد حسن مهدي ، وعلي سيد علي ، (ط١) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٨م .
- شرح المفصل ، موفق الدين يعيش ابن علي بن يعيش (ت٦٤٣هـ) ، المطبعة المنيرية بمصر، (د.ت) .

- شرح منازل السائرين ، كمال الدين عبدالرزاق القاساني (ت: نحو ٧٣٠هـ) ، تحقيق: محسن بيدارفر ، (ط٣)، منشورات بيدار ، قم المقدسة ، ١٤٢٧هـ .
- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، (ط١)، دار الجيل، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧م .
- شرح نهج البلاغة ، كمال الدين ميثم بن علي البحراني (ت٦٧٩هـ) ، (ط١) ، دار الثقلين، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩م .
- الصحيفة العلوية الجامعة ، محمد باقر الموحّد الأبطحي الأصفهاني ، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ، (ط ١) ، قم المقدسة ، إيران ، ١٤٢٣هـ .
- الصحيفة العلوية المباركة ، الشيخ عبدالله صالح السماهيجي (ت١١٣٥هـ) ، (ط١) ، بيروت، ٢٠٠٢م .
- الصواعق المحرقة ، أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٣هـ) ، تحقيق: عبد الرحمن بن عبدالله التركي وكامل محمد الخراط ، (ط١) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧م .
- ضدّ التفكيك ، جون إليس ، ترجمة وتقديم: حسام نايل ، (ط١) ، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، ٢٠١٢م .
- طروس: الأدب على الأدب ، ضمن كتاب آفاق التناسية المفهوم والمنظور، جبرار جينيت، ترجمة: محمد خير البقاعي ، (ط١) ، جداول ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٣م .
- ظاهرة الحذف في الدرس النحوي ، د. طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية ، ١٩٨٢م .
- ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي ، د. سعيد حسن بحيري ، (ط١) ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٦م .
- العارف الكامل الميرزا محمد علي الشاه آبادي ، تحقيق وتأليف: مؤسسة العلوم والمعارف الإسلامية ، ترجمة: كمال السيد ، وأحمد العبيدي ، (ط٢) ، مركز الغدير ، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٨م .
- عدّة الأصول ، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق: محمد رضا الأنصاري القمي ، (ط١) ، مطبعة ستارة، قم ، ١٤١٧هـ .

- عدّة الداعي ونجاح الساعي ، أحمد بن فهد الحلي (ت ٨٤١هـ) ، صححه وعلق عليه: أحمد الموحدي القمي، (ط١) ، دار الكتاب الإسلامي ، إيران ، ١٩٨٧م .
- عقائد الإمامية ، الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣هـ)، تحقيق: عبدالكريم الكرمانى، (ط١٠) ، مؤسسة الرافد للمطبوعات ، العراق ، ٢٠١٤م .
- العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) ، تحقيق: د. محمد سعيد العريان، (ط٢) ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، مصر ، ١٩٥٣م .
- العلاماتية وعلم النصّ ، إعداد وترجمة: منذر عياشي ، (ط١) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠٤م.
- علل الشرائع ، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، (ط١)، دار المرتضى ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٦م .
- علم اللغة العام ، فردينان دي سوسور ، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز ، بيت الموصل، ١٩٨٨م .
- علم لغة النصّ والأسلوب ، د. نادية رمضان النجار ، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية ، مصر ، ٢٠١٣م .
- علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق ، د. صبحي إبراهيم الفقي، (ط١) ، دار قباء ، القاهرة، ٢٠٠٠م .
- علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات ، د. سعيد حسن بحيري ، (ط١) ، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ، القاهرة ، ١٩٩٧م .
- علم لغة النصّ نحو آفاق جديدة ، نقلها إلى العربية: د. سعيد حسن بحيري ، (ط١) ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٧م .
- علم اللغة النصّي النظرية والتطبيق ، د. مصطفى صلاح قطب ، (ط١) ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ٢٠١٤م .
- علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، د. عزة شبل محمد ، (ط١) مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٧م .
- علم النصّ ، جوليا كريستيفا ، ترجمة: فريد الزاهي ، (ط٢) ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء، المغرب ، ١٩٩٧م .
- علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات ، فان دايك ، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري ، (ط٢)، دار القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٥م.

- علم النصّ ونظرية الترجمة ، البروفسور يوسف نور عوض ، (ط ١) ، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة ، ١٤١٠ هـ .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد ، (ط ٢) ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٥٥ م .
- عيار الشعر ، محمد بن احمد بن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢ هـ) ، شرح وتحقيق: عباس عبدالستار، مراجعة: نعيم زرزور ، (ط ٢) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥ م.
- غرر الحكم ودرر الكلم ، الشيخ عبدالواحد بن محمد بن عبد الواحد الآمدي ، (ط ٢) ، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي لحوزة قم المشرفة ، ١٤٢٠ هـ .
- فرائد السمطين ، الشيخ ابراهيم بن محمد بن المؤيد الجويني (ت ٧٣٠ هـ) ، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي ، (ط ١) ، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠ .
- فروع الكافي ، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني ، تحقيق: محمد جعفر شمس الدين، دار التعرف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٩ م .
- الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق: محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة ، القاهرة، مصر ، (د. ت) .
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧ هـ) ، تحقيق: د. إحسان عباس و د. عبدالمجيد عابدين ، دار الأمانة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ن لبنان ، ١٩٧١ م .
- الفضة المضيئة في شرح الشذرة الذهبية ، أحمد بن محمد العاتكي (ت ٨٧٠ هـ) ، تحقيق: د. هزاع سعد المرشد ، (ط ١) ، السلسلة التراثية ، الكويت ، ٢٠٠٣ م .
- الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام ، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، (ط ٢) ، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، ٢٠١٠ م .
- فلاح السائل ، السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، طبعة إيران ، (د. ت).
- فن القول ، أمين الخولي ، تقديم: د. صلاح فضل ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٩٦ م .
- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، د. سعد عبدالعزيز مصلوح ، (ط ٢) ، عالم الكتب، القاهرة ، مصر ، ٢٠١٠ م .
- في رحاب دعاء كميل ، السيد محمد حسين فضل الله ، دار الملاك ، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٩ م.

- في نظرية الأدب وعلم النصّ ، إبراهيم خليل ، (ط١) ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ٢٠١٠م.
- القارئ في النصّ ، مقالات في الجمهور والتأويل ، سوزان روبين سليمان ، وإنجي كروسمان، ترجمة: د. حسن ناظم ، وعلي حاكم صالح ، (ط١) ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م .
- قرب الإسناد ، الشيخ أبو العباس عبدالله بن جعفر الحميري (من أعلام القرن الثالث الهجري)، (ط١) ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم المقدسة ، إيران ، ١٤١٣هـ .
- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، أحمد المتوكل ، (ط١) ، منشورات الاختلاف، الجزائر ، ومنشورات ضفاف ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٣م .
- كامل الزيارات ، الشيخ أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت٣٨٦هـ) ، تحقيق: الشيخ جواد الفيومي ، (ط٥) ، نشر الفقاهة ، قم ، ١٤٢٩هـ .
- كتاب الخصال، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي تحقيق: علي أكبر الغفاري ، (ط٥) ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة، إيران، ١٤١٦هـ .
- كتاب سليم بن قيس الهلالي (ت٧٦هـ) ، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئي، (ط١) ، نشر الهادي ، قم ، إيران ، ١٤١٥هـ .
- كتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ) ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ، (ط١)، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) .
- كتاب الطبقات الكبير ، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ) ، تحقيق: د. علي محمد عمر ، (ط١) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠١م .
- كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٠هـ) ، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٤م .
- كتاب الغيبة ، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق: الشيخ عبادالله الطهراني، والشيخ علي أحمد ناصح ، (ط٣) ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، إيران ، ١٤٢٥هـ .
- كتاب الغيبة ، الشيخ محمد بن إبراهيم النعماني (من أعلام القرن الرابع الهجري) ، تحقيق: علي أكبر الغفاري ، مكتبة الصدوق ، طهران ، ١٣٩٧هـ .

- كتاب المحاسن ، الشيخ أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤هـ أو ٢٨٠هـ) ، (ط ٢) ، دار الكتب الإسلامية ، قم المشرفة إيران ، (د. ت) .
- كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر ، أبو القاسم علي بن محمد الخزاز القمي (من أعلام القرن الرابع الهجري) ، تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الخوئي ، انتشارات بيدار ، إيران ، (د. ت) .
- الكلمة دراسة لغوية معجمية ، د. حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، ١٩٩٨ م .
- الكلّيات ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسينيّ القرميّ الكفويّ (ت ١٠٩٤هـ) ، تحقيق: د. عدنان درويش و محمد المصري ، (ط ٢) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١١ م .
- كمال الدين وتمام النعمة ، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، تحقيق: علي أكبر الغفاري ، (ط ٢) ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، إيران ، ١٣٩٥ هـ .
- كنز العمال ، علاء الدين علي المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ) ، تحقيق: الشيخ بكري حياني و الشيخ صفوة السقا ، (ط ٥) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٥ م .
- لذّة النصّ ، رولان بارت ، ترجمة: د. منذر عياشي ، (ط ١) ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، سورية ، ١٩٩٢ م .
- لسان العرب ، ابن منظور (ت ٧١١هـ) ، تحقيق: ياسر سليمان أبو شادي و مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر ، (د. ت) .
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د. طه عبدالرحمن ، (ط ١) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٩٨ م .
- لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء ، د. نعمان بوقرة ، (١) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٢ م .
- لسانيات النصّ ، النظرية والتطبيق ، مقامات الهمذاني أنموذجاً ، ليندة قيّاس ، (ط ١) مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٩ م .
- لسانيات النصّ عرض تأسيس ، كيرستن آدمستيك ، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري ، (ط ١) ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٩ م .

- لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي ، (ط٢) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠٦م .
- اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ، د. أحمد المتوكل ، (ط٢) ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بنغازي ، ليبيا ، ٢٠١٠م .
- اللغة الثانية ، فاضل ثامر ، (ط١) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٩٤م .
- اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسّان ، (ط٥) ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٦م .
- اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز ، ترجمة: د. عباس صادق الوهاب ، مراجعة: د. يوثيل عزيز ، (ط١) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧م .
- مبادئ في اللسانيات ، د. خولة طالب الإبراهيمي ، (ط٢) ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، ٢٠٠٦م .
- مجالس ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت٢٩١هـ) ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ، (ط٥) ، دار المعرف ، مصر ، (د.ت) .
- مجمع البحرين ، الشيخ فخرالدين الطريحي (ت١٠٨٥هـ) ، (ط١) ، مؤسسة البعثة ، قم ، ١٤١٤هـ .
- مجمع البيان ، الإمام السيد أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) ، (ط١) ، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٩ .
- مدخل إلى البراجماتية اللغوية ، يورج مايباور ، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري ، (ط١) ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، مصر ، ٢٠١٤م .
- مدخل إلى اللسانيات ، د. محمد محمد يونس علي ، (ط١) ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٤م .
- مدخل إلى علم اللغة النصّي ، فولفجانج هاينه من ، وديتر فيهفيجر ، ترجمة: د. فالح بن شبيب العجمي ، جامعة الملك سعود ، ١٩٩٩م .
- مدخل إلى علم النصّ ، مشكلات بناء النصّ ، زتسيسلاف واورزيناك ، ترجمه وعلق عليه: د. سعيد حسن بحيري ، (ط١) ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣م .
- مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه ، محمد الأخضر الصبيحي ، (ط١) ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ٢٠٠٨م .

- مدخل إلى علم لغة النصّ ، روبرت ديبو غراند ، ولفغانغ دريسلر ، د. إلهام أبو غزالة ، وعلي خليل حمد ، (ط٢) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ م .
- مدخل لجامع النصّ ، جيرار جينيت ، ترجمة: عبد الرحمن أيوب ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ودار توبقال للنشر ، (د. ت) .
- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ) ، (ط٣)، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، إيران ، ١٤١٢ هـ .
- المرايا المحدّبة من البنيوية إلى التفكيك ، د. عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة الكويت، العدد: ٢٣٢ ، نيسان ، ١٩٩٨ م .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ)، اعتنى به وراجعته: كمال حسن مرعي ، (ط١) ، المكتبة العصرية ، بيروت، لبنان ، ٢٠٠٥ م .
- المزار الكبير ، الشيخ محمد بن المشهدي (ت٥٩٤هـ) ، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، (ط١) ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المشرفة إيران ، ١٤١٩ هـ .
- مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل ، ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت١٣٢٠هـ) ، (ط٣)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، ١٩٩١ م .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) ، تحقيق: شعيب الارنؤوط وآخرين ، (ط١) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨ م .
- مصباح الزائر ، السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس ، (ط١)، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، قم المشرفة ، إيران ، ١٤١٧ هـ .
- مصباح الكفعمي ، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن العاملي الكفعمي (ت٩٠٥هـ)، مؤسسة النعمان ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢ م .
- مصباح المتعبد ، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، صححه الشيخ حسين الأعلمي ، (ط١) ، مؤسسة الأعلمي، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨ م .
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت٧٧٠هـ)، تحقيق: د. عبدالعظيم الشناوي ، (ط٢) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، (د. ت) .
- المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم ، د. خليفة الميساوي ، (ط١) ، دار الأمان ، الرباط، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، منشورات ضفاف ، بيروت ، ٢٠١٣ م .

- المصنف لابن أبي شيبة ، أبو بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم أبو شيبة العبسي (ت ٢٣٥هـ) ، تحقيق: أسامة بن إبراهيم بن محمد ، (ط ١) ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٨ م .
- معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) ، تحقيق: الأستاذ محمد علي النجار وآخرين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١ م .
- معاني القرآن وإعرابه ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ) ، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٥ م .
- معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي ، (ط ٢) ، دار الفكر ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠٣ م .
- المعايير النصية في السور القرآنية ، د. يسري نوفل ، (ط ١) ، دار النابغة للتوزيع والنشر ، مصر ، ١٩١٤ م .
- المعايير النصية في القرآن الكريم ، د. أحمد محمد عبدالراضي ، (ط ١) ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر ، ٢٠١١ م .
- معجم اصطلاحات الصوفية ، عبدالرزاق الكاشاني (ت ٧٣٠هـ) ، تحقيق: د. عبدالعال شاهين ، (ط ١) ، دار المنار ، القاهرة ، ١٩٩٢ م .
- المعجم الأوسط ، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد و عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٥ م .
- معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٣هـ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٧ م .
- معجم التعريفات ، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، تحقيق: محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، مصر ، (د.ت) .
- معجم اللسانيات الحديثة ، د. سامي عياد حنّا ، ود. كريم زكي حسام الدين ، ود. نجيب جريس ، (ط ١) ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧ م .
- معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩ م .
- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، (ط ٤) ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، ٢٠٠٤ م .

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، تحقيق: د. عبد اللطيف محمد الخطيب ، (ط١) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، ٢٠٠٠م .
- مفاتيح الجنان ، الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ) ، (ط١) ، الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة ، ٢٠١٣هـ .
- مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف السكاكي (ت ٦٢٦هـ) ، تحقيق: د. عبد الحميد هندوي، (ط٢)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١١م .
- مفتاح الفلاح في شرح دعاء الصباح ، السيد محمد كلانتر ، (ط٢) ، مؤسسة دار النشر - الإسلام ، إيران ، ٢٠٠٥م .
- مفتاح الفلاح ومصباح النجاح في شرح دعاء الصباح ، الشيخ إسماعيل بن محمد حسين بن محمد رضا بن علاء الدين محمد المازندراني (ت ١١٧٣هـ) ، مخطوطة ، مكتبة مجلس الشورى الإسلامي ، إيران ، رقم: ١٢٨٩ .
- المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ، ضبطه وراجعته: محمد خليل عيتاني ، (ط٤) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥م .
- المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد (ت ٢٨٥هـ) ، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٠م .
- مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ، (ت ٥٦٨هـ) تحقيق: الشيخ محمد السماوي ، (ط١) ، أنوار الهدى ، قم المشرفة ، إيران ، ١٤١٨هـ .
- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: الشيخ قاسم محمد النوري ، (ط٣) ، مكتبة دار الفجر ، دمشق ، ٢٠١٠م .
- مكارم الأخلاق ، رضي الدين الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري) ، مكتبة الألفين، الكويت ، (د. ت) .
- من النص إلى الفعل أبحاث في التأويل ، بول ريكور ، ترجمة: محمد برادة - حسان بورقية، (ط١) ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، ٢٠٠١م .
- المنزعة البديع في تجنيس أساليب البديع ، أبو محمد القاسم الأنصاري السجلماسي (من أعلام القرن الثامن الهجري) ، تحقيق: علال الغازي ، (ط١) ، مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب، ١٩٨٠م .
- المنطق ، الشيخ محمد رضا المظفر ، (ط٣) ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ١٣٨٨هـ .

- من لا يحضره الفقيه ، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، تحقيق: محمد جعفر شمس الدين ، (ط٢) ، دار التعرف للمطبوعات ، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت١٣٢٦هـ)، تحقيق: علي عاشور ، (ط١) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٨م .
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبو الحسن حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ) ، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة ، (ط٤) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٧م.
- مهج الدعوات ومنهج العبادات ، السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس ، قدم له وعلق عليه: الشيخ حسين الأعلمي ، (ط١) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان، ١٩٩٤م .
- الموافقات في أصول الشريعة ، أبو إسحاق الشاطبي (ت٧٩٠هـ) ، تحقيق: الشيخ عبدالله دراز ، (ط٢)، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٧٥م .
- مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري (ت١٤١٤هـ)، (ط٥)، منشورات دار التفسير ، قم ، إيران ، ٢٠١٠م .
- موسوعة النظريات الأدبية ، د. نبيل راغب ، (ط١) ، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان ، مصر ، ٢٠٠٣م .
- ميخائيل باختين المبدأ الحوارية ، تزفيتان تودوروف ، ترجمة: فخري صالح ، (ط٢) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٦م .
- الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ) ، تحقيق: الشيخ إِيَاد باقر سلمان، (ط١) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٦م .
- نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي ، د. أحمد عفيفي ، (ط١) ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠١م .
- نحو النصّ إطار نظري ودراسات تطبيقية ، عثمان أبو زنيد ، (ط١) ، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن ، ٢٠١٠م .
- نحو النصّ بين النظرية والتطبيق ، د. يوسف أحمد جاد الرب ، دار غريب ، القاهرة ، مصر، ٢٠١٥م .
- نسيج النصّ ، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّاً ، الأزهر الزنّاد ، (ط١) ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٣م .

- النصّ الغائب ، تجليات التناصّ في الشعر العربي ، محمد عزّام ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١ م .
- النصّ والأسلوبية بين النظرية والتطبيق ، عدنان بن ذريل ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ٢٠٠٠ م .
- النصّ والخطاب ، شتيفان هابشايد ، ترجمة: د. موفق محمد جواد المصلح ، (ط١) ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، العراق ، ٢٠١٣ م .
- النصّ والخطاب والاتصال ، د. محمد العبد ، (ط١) ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة ، ٢٠٠٥ م .
- النصّ والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة : د. تمام حسان ، (ط٢) ، عالم الكتب، القاهرة ، ٢٠٠٧ م .
- النصّ والسلطة والحقيقة ، د. نصر حامد أبو زيد ، (ط٥) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠٦ م .
- النصّ والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، فان دايك ، ترجمة: عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠١٣ م .
- النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية ، ماري آن بافو ، وجورج إليا سرفاتي، ترجمة: محمد الراضي ، (ط١) ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٢ م .
- نظرية التناص ، جراهام ألان ، ترجمة: د. باسل المسالمة ، (ط١) ، دار التكوين ، دمشق، سوريا ، ٢٠١١ م .
- نظرية علم النصّ ، د. حسام أحمد فرج ، (ط٢) ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٩ م .
- نظرية النصّ ضمن كتاب آفاق التناصية المفهوم والمنظور ، رولان بارت ، تعريب وتقديم: د. محمد خير البقاعي، (ط١) ، جداول للنشر والترجمة والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٣ م .
- نقد الشعر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) ، تحقيق: كمال مصطفى ، (ط٣) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٨ م .
- نهج البلاغة ، وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي ابن الحسن الموسوي من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام ، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: د. صبحي الصالح ، (ط٤) ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني، ٢٠٠٤ م .
- نهج البلاغة الثاني ، جمعه ورتبه الشيخ جعفر الحائري، (ط١)، دار الهجرة ، إيران، ١٤١٠ هـ .

- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ، الشيخ محمد باقر المحمودي (ت ١٤٢٧هـ) ، (ط ١) ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران ، ١٤١٨ هـ .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق: د. عبدالعال سالم مكرم ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠١ م .
- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ) ، (ط ٢) ، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) ، قم المشرفة ، إيران ، ١٤١٤ هـ .
- ينابيع المودة ، الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (١٢٩٤هـ) ، (ط ١) ، مؤسسة الأعلمي للطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧ م .

البحوث والدراسات:

- الإبداع والإتباع بين البلاغة العربية وعلم النصّ ، محمد عبدالرضا محيسن ، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، ٢٠١٢ م .
- الإبلاغية في الشاهد الشعري ، نادر عبدالرحمن محمد الوقفي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة مؤتة، ٢٠٠٧ م .
- اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النصّ ، د. سعيد حسن بحيري ، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، السعودية ، ج ٣٨، مج ١٠ ، ٢٠٠٠ م .
- الاتساق والانسجام في رواية سمرقند لأمين معلوف ، لمياء شنوف ، رسالة ماجستير، جامعة منتوري - قسنطينة ، كلية الآداب واللغات ، ٢٠٠٨ م / ٢٠٠٩ م .
- أثر الروابط في البناء النصّي ، د. فايز أحمد محمد الكومي ، مجلة علوم اللغة ، دار غريب، القاهرة ، مصر ، المجلد/١١ ، العدد/٣ ، ٢٠٠٨ م .
- أثر النحو في تماسك النصّ ، عابد بوهادي ، مجلة دراسات ، الجامعة الأردنية ، المجلد/٤٠ ، العدد/١ ، ٢٠١٣ م .
- الإحالة الضميرية في اللغة العربية مقارنة تطبيقية في ضوء نحو النصّ (مقالات خالد المالك في الحوار والاختلاف أنموذجاً) ، د. نوال بنت سليمان الثنيان ، مجلة علوم اللغة ، دار غريب، القاهرة ، مصر ، المجلد/١٣ ، العدد/٣ ، ٢٠١٠ م .
- الإحالة النصية وأثرها في تحقيق تماسك النصّ القرآني ، أ. عبدالحميد بوتريعة ، مجلة الأثر، الجزائر ، العدد/١٦ ، ٢٠١٢ م .

- الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النصّ القرآني ، نائل محمد إسماعيل ، مجلة جامعة الأزهر بغزة ، المجلد/١٣ ، العدد ١ (B) ، ٢٠١١ م .
- الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب (Cohesion in English) لـ هاليداي، ورقية حسن (رسالة ماجستير) ، شريفة بلحوت ، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات ، ٢٠٠٥/٢٠٠٦ م .
- الاستلزام التخاطبي بين البلاغة العربية والتداوليات الحديثة ضمن كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة) ، أحمد المتوكل ، (ط٢) ، عالم الكتب الحديث ، إريد ، الأردن ، ٢٠١٤ م .
- الاشتراك اللغوي والمعنى السياقي ، محمد شندول ، مجلة اللسانيات ، الجزائر، العدد/ ١٩-٢٠ ، ٢٠١٣ - ٢٠١٤ م .
- التكرار النصّي عند أبي مسلم البهلاني ، ضمن كتاب (لسانيات النصّ وتحليل الخطاب)، عيسى بن محمد بن عبدالله السليمانى ، بحوث المؤتمر الدولي الأول في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب ، الجمعية المغربية لللسانيات النصّ وتحليل الخطاب ، جامعة ابن زهر ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، أكادير ، المملكة المغربية ، (ط١) ، دار كنوز المعرفة ، عمان ، الأردن، ٢٠١٣ م.
- ثلاثة مفاهيم نقدية بين التراث والحداثة ، ضمن كتاب (قراءة جديدة لتراثنا النقدي)، د. عبدالمك مرتاض ، أبحاث ومناقشات الندوة التي أقيمت في نادي جدة الأدبي الثقافي في الفترة من ١٩ إلى ٢٤/١١/١٩٨٨م ، كتاب النادي الأدبي بجدة ٥٩ ، ١٩٩٠ م .
- الحد بين النصّ والخطاب ، ربيعة العربي ، مجلة علامات ، المغرب ، العدد/٣٣ ، ٢٠١٠ م .
- ظاهرة الربط في التركيب والأسلوب العربي ، ضمن كتاب (مقالات في اللغة والأدب)، د. تَمَام حَسَّان ، (ط١) ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٦ م .
- علم النصّ أسسه المعرفية وتجلياته النقدية ، د. جميل عبد المجيد ، مجلة عالم الفكر ، الكويت، المجلد/٣٢ ، العدد/٢ ، ٢٠٠٣ م .
- القارئ في النصّ ، نظرية التأثير والاتصال ، نبيلة إبراهيم ، مجلة فصول، مصر، المجلد/٥، العدد/١ ، ١٩٨٤ م .
- ما هو النصّ ، نهلة الأحمد ، مجلة عالم المعرفة ، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، السنة/٤٠ ، العدد/٤٥١ ، نيسان ، ٢٠٠١ م .
- مسارات التحول من لسانيات الجملة إلى لسانيات النصّ ، ضمن كتاب (لسانيات النصّ وتحليل الخطاب) ، رشيد عمران ، بحوث المؤتمر الدولي الأول في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب،

- الجمعية المغربية للسانيات النصّ وتحليل الخطاب ، جامعة ابن زهر ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، أكادير ، المملكة المغربية ، (ط ١) ، دار كنوز المعرفة ، عمان ، الأردن، ٢٠١٣م.
- مساهمات بولر وبارتليت وبنفسست في علم لغة النصّ ، ب. نرليش و د. كلارك ، ترجمة: د. عبدالمنعم السيد أحمد جدامي ، مجلة علوم اللغة ، القاهرة ، المجلد/١٤ ، العدد/١ ، ٢٠١١م .
 - مفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النصّية ، جمعان عبدالكريم ، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، السعودية ، ج ٦١ ، مج ١٦ ، مايو ٢٠٠٧م .
 - من النصّ إلى النصّ المترابط ، د. سعيد يقطين ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد/٣٢ ، العدد/٢ ، ٢٠٠٣م .
 - نحو أجرومية للنصّ الشعري ، دراسة في قصيدة جاهلية ، د. سعد مصلوح ، مجلة فصول، مصر ، المجلد/١٠ ، العددان/١-٢ ، ١٩٩١م.
 - نحو تحديد المصطلحات ، التناص .. الأدب المقارن .. السرقات الأدبية ، إبراهيم نمر موسى، مجلة علامات في النقد ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، السعودية ، ج٦٤ ، مج ، ١٦ ، ٢٠٠٨م .
 - نحو دراسة نحوية للخطاب: قضية الإضمار، ضمن كتاب (لسانيات النصّ وتحليل الخطاب)، ريم الهمامي ، بحوث المؤتمر الدولي الأول في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب ، الجمعية المغربية للسانيات النصّ وتحليل الخطاب ، جامعة ابن زهر ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، أكادير ، المملكة المغربية ، (ط ١) ، دار كنوز المعرفة ، عمان ، الأردن، ٢٠١٣م.
 - النص المفتوح التفكيك أنموذجاً ، أ. محمد عزّام ، مجلة الموقف الأدبي ، دمشق ، العدد/٣٩٨ ، السنة الرابعة والثلاثون ، حزيران ، ٢٠٠٤م .

(Textual cohesion in the prayers of Imam Ali (P.U.H)) is the title of the first section; it clarifies the concept of cohesion within two chapters. The first chapter is entitled (the grammatical cohesion), it includes four topics following the studied grammatical cohesion: references:- textual and situational with their elements, substitution:- nominal, verbal and phrasal, ellipsis:- prepositional, nominal, verbal and phrasal, and junction:- additional, rectification and causative, respectively.

In the second chapter the researcher studies the (lexical cohesion) within two topics where the first one deals with reiteration, as a device of the lexical cohesion, such as word repetition, synonym, comprehensive word and general word. The second topic focuses on another device which is collocation represented by contradictory, the relation with an ordered series, part to a whole relation, part to part relation and so on.

The phonetic cohesion had not been referred to because the researcher believed that the phonetic cohesion alone does not achieve the text textuality which means the significant continuity, its reference does not achieve the significance junction and that some of its terms come under different titles.

The second section is entitled(the textual coherence the prayers of Imam Ali (P.U.H)) it includes two chapters:- (concept of coherence and its relations), it includes three topics to exhibit the concept of coherence, its meaning in the textual studies and the receiver role in its forming, the concept of the greater structure and the higher structure and the textual cohesion relations. All these topics are associated applications on selected samples of the prayers of Imam Ali(P.U.H).

The second chapter is an applied study of the textual cohesion on (Kumail) prayer as one of the prayers that move logically from one topic to another. The research attempts to reveal the text plan to connect its issues on the interior levels via the receiver's vision as a partner in producing meaning.

The conclusion includes the most important results of the study.

Abstract

Prayer for Ahlul-Bait is a school of all life affairs, not only the religious worship aspect; in their prayers there is the cognitive aspect represented by theology and doctrine sciences, and the social aspect which deals with the tiny details of Man social life, directing the path of Man's relation with his God, with himself and with his society. This research aims to study this rich heritage in the term of the different linguistic and critical method to reveal some of its linguistic structure as well as its artistic and aesthetic characteristics.

One of these methods we have the textual linguistic which considers text, written and verbal, a field of its research as one linguistic unit, represents the linguistic interaction nature among the theologians, which is accomplished by logistic achievements that go beyond the sentence to the text with its system and harmony, to describe the different aspects of the linguistic use forms and the linguistic contact forms, clarifying their interior and external connection. Van Diech had described the textual linguistic by saying(an interfered specialization science) as it not restricted to certain theory or method.

This study depends on investing the textual linguistic data and devices in an applied approach to the prayers of Imam Ali (P.U.H) which are literary texts carry the rhetorical style and sweat meaning. To document and authenticate the texts , researcher refers to the famous prayers' book and their ancient resources.

The study consists of a preface, two sections, each of two chapters, preceded by an introduction and followed by a conclusion.

The preface is entitled(basic topics), it gives a brief idea about the prayers of Imam Ali (P.U.H) and the stages of their collection, there are some hints that they had been collected and written previously. The researcher exhibits the concept of text in the Arab heritage and its significances development from the linguistic concept to its current status as well as the associations of the traditional significance usage. Moreover, the preface refers to text concept in the modern linguistic lesson in addition to its different schools and its interference with speech term. Finally it attempts to put a definition for text to represent all what had been mentioned.



Prayers of Imam Ali (P.U.H)
A study in the Text Linguistics

A Thesis

Submitted

by:-

Mohammed Abdul-Ridha Mhaisin Al-Kinany

To:-

The Council of the College of Arts / University of Kufa
As A Partial Fulfillment of The Requirements for Ph.D. Degree in the
Arabic Language and its Literatures

Supervised by :-

Asst. Prof. Dr. Adil- abdul-Jabbar Zair

2017A.D
1438A.H